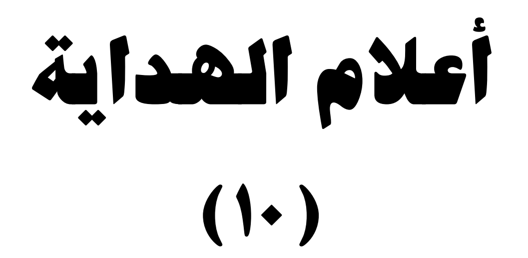

بسم الله الرحمن الرحیم



أعلام الهداية

(١٠)

الإمام عليّ بن موسىٰ

الرضا (عليه السلام)

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ـ قم



اسم الكتاب: أعلام الهداية (١٠) / الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

تأليف: لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: سيرة وتاريخ

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الخامسة المحقّقة؛ منقّحة ومزيدة

المطبعة: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٩ هـ

ردمك: ISBN: 978-964-529-353-4

ردمك الدورة: 978-964-529-358-9

www.ahl-ul-bayt.org

E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

فهرس اجمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المجمع

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبوالقاسم المصطفىٰ محمّد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل ، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه .

وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته ؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها .

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها ،كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ اُخرىٰ .

قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[١].

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٢].

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣].

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤].

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[٥].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللَّهِ﴾[٦].

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٧].

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٨] . وحيث لا تتحقّق

---

(١) الأنعام (٦) : ٧١ .

(٢) الأحزاب (٣٣) : ٤

(٣) البقرة (٢): ٢١٣ .

(٤) آل عمران (٣) : ١٠١ .

(٥) سبأ (٣٤) : ٦ .

(٦) القصص (٢٨) : ٥٠ .

(٧) يونس (١٠) : ٣٥ .

(٨) الذاريات (٥١): ٥٦ .

العبادة الحقيقية من دون المعرفة، صارت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الإنسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛كي تتمّ عليه الحجّة ، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الإرشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة .

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدىٰ العصور والقرون ، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء ،كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه ، لئلّا يكون للناس على الله حجّة ، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1] .

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية

---

(١) الرعد (١٣) : ٧.

بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في :

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الإصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً : ﴿ٱللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(١) و ﴿ٱللّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾(٢).

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن أُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والإنحراف معاً، قال تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيَما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾(٣) .

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى:﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(٤) والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٥).

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ، وهذه المهمّة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّىٰ بالعصمة.

---

(١) الأنعام (٦) : ١٢٤ .
(٢) آل عمران (٣) : ١٧٩ .
(٣) البقرة (٢) : ٢١٣ .
(٤) الجمعة (٦٢): ٢ .
(٥) الأحزاب (٣٣) : ٢١ .

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية فـي نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّـانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يـتولّىٰ إدارة شـؤون الأُمّـة عـلىٰ أسـاس الرسـالة الربّـانية للـبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تـامةً بالنفوس وبـطبقات المـجتمع والتـيارات الفكـرية والسـياسية والاجـتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكـفاءة العـلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمّة لها بـحيث يـتنافىٰ مـع أهـداف الرسالة وأغراضها.

وقد سلك الأنبياء السـابقون وأوصـياؤهم المـصطفون طـريق الهـدايـة الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مـبدئه وعـقيدته، ولم يـتراجـعوا لحـظة، ولم يتلكؤا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ عـلى مـدى العـصور بـرسالة خاتم الأنبياء محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) فـي هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نـتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية ، وكـانت حـصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء.

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والإنحراف.

٣ ـ تكوين اُمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة.

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء.

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (صلى الله عليه وآله).

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري:

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر.

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته.

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتولي مهمة إدامة الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّىٰ هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى**

يردا عليّ الحوض».

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الاُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت(عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأُمّة ووجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) ، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأُمّة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمّة جمعاء.

وتبلورت سيرة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمّة عليهم والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله لنيل مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق إليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر علىٰ طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّىٰ ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالىٰ، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير.

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء

قبساتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق ، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق .

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمّد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمّد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر** عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختص هذا الكتاب بدراسة **حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا**(عليه السلام)، ثامن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو المعصوم العاشر من أعلام الهداية والذي تمثلت في حياته كل جوانب الشريعة، فكان نبراساً ومثلاً أعلى للبشرية بعد خاتم المرسلين وآبائه الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

في الختام نتقدم بجزيل الشكر للمؤلف فضيلة الأخ السيّد منذر الحكيم ومساعده في التأليف الأخ السيّد سعيد كاظم العذاري الذي شارك في إعداد قسط من موادّ هذا الجزء الخاص الإمام الرضا(عليه السلام) والأخ الفاضل الشيخ حكمت الرحمة الذي اهتمّ بإكمال تخريج وتوثيق النصوص للطبعة المحققة هذه، والأخ الفاضل حسين الصالحي للتدقيق ولمساهمته في المقابلة مع الأخ الفاضل جواد الطاهر الذي راجعه لغوياً، والأخ العزيز قاسم البغدادي لصف الحروف والإخراج الفني وسائر العاملين الساهرين على تحقيق أهداف الرسالة في المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) .

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام الرضا (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصيّة الإمام الرضا(عليه السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصيّة الإمام الرضا(عليه السلام)

الفَصلُ الأَوّلُ

الإمام الرضا (عليه السلام) في سطور

الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) هو الثامن من أئمّة أهـل البـيت(عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

وهم الثقل الذي لا يفارق القرآن الكريم، ولا يضل المتمسك بهما معاً، وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق .

وقد ولد هذا الإمام العظيم ـ الذي بشّر بـه رسـول الله (صلى الله عليه وآله) ـ فـي عـصر المنصور العبّاسي وبعد استشهاد جدّه الصادق (عليه السلام) ونشأ في أكرم بيت مـن بيوتات قريش ألا وهـو البـيت الهـاشمي العـلوي ،بـيت الإمـامة والشـهادة. وترعرع في أحضان أبيه الكاظم(عليه السلام) وعاش معه أكثر مـن ثـلاثة عـقود ، وعاصر فيها كلّاً من المنصور والمهدي والهادي والرشـيد مـن خـلفاء بـني العبّاس الذين لم يألوا جُهداً في إطفاء نور هذا البيت الرفيع .

وبرز الإمام الرضا (عليه السلام) على مسرح الحـياة السـياسية الإسـلاميّة كألمـع سياسي عرفه التاريخ الإسلامي في عصره.

لقد كان الرضا(عليه السلام) صلباً في مواقفه السياسيّة وصريحاً كلّ الصـراحـة . ولم تخدعه الأساليب الخبيثة والمزيّفة التي سلكها أذكى الخلفاء العـبّاسيين وهو المأمون الذي رشّحه للخلافة أوّلاً. ثم فرض عليه قبول ولاية العهد ثـانياً في عصر كانت الانتفاضات العلويّة تزلزل عرش الأكاسرة العبّاسيين .

إنّ دوافع المأمون غير النزيهة لم تخف على الإمام الرضـا (عليه السلام)،كـما لم

تخف عليه متطلبات الظرف الذي كان يعيشه صلوات الله عليه ،وقد أُكره على قبول ولاية العهد، ولكنّه فوّت الفرص الذهبيّة التي كان يطمع المأمون بتحقيقها من خلال إكراهه على قبول ولاية العهد . فاغتنم الإمام الرضا(عليه السلام) هذا الظرف الذهبي الذي جاءت به ولاية العهد على الوجه الأكمل بهدف نشر معالم الإسلام الحقّ وتثبيت دعائم أُطروحة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، متحدِّياً كل الخطوط الفكرية والمذهبية المنحرفة آنذاك .

وقد أدرك المأمون عمق الخطر الذي كان يحيق به وبحكومته من خلال تواجد الإمام الرضا(عليه السلام) في مركز حكمه،كما لاحظ نموّ وشموخ خطّ الولاء لأهل البيت (عليهم السلام). فلم يجد بدّاً بحسب مقاييسه الباطلة من القضاء على شخص الإمام واغتياله بطريقة خبيثة .

وقد استشهد هذا الإمام العظيم بعد أن أرسى قواعد الرسالة والمذهب الحقّ لفهم الإسلام وتبليغه،كما ربّىٰ عدّة أجيال من العلماء النابهين الذين حملوا مشعل الهداية في تلك الظروف العصيبة التي عانت منها الأُمّة الإسلاميّة في ظلّ الحكم العبّاسي .

وأسفرت مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) العلميّة عن تخريج كوكبة من العلماء الذين كان عددهم يناهز الثلاثمائة .

والذي يراجع مسند الإمام الرضا (عليه السلام) ويلاحظ النصوص التي وصلتنا عنه يعرف حجم نشاطه العلمي ويلمس عمق المستوى الذي بلغته مدرسة الإمام الفكرية وما أبدعه هذا الإمام العظيم من قواعد وأساليب لتحقيق أهداف مدرسة أهل البيت للوصول إلى القمة التي كانت تستهدفها حركة أهل البيت الرساليّة في مجالي العلم والسياسة معاً .

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصيّة الإمام الرضا (عليه السلام)

إنّ شخصيّة الإمام أبي محمّد الرضا (عليه السلام) قد احتلت عواطف العلماء والمؤلّفين في كلّ جيل وعصر، وتمثّل ذلك في جمل الثناء والتعظيم على شخصيّته، وإليك بعض ما ورد من الثناء عليه :

الإمام الكاظم (عليه السلام) :

لقد أشاد الإمام الكاظم (عليه السلام) بولده الإمام الرضا ، وقدّمه على السادة الأجلّاء من أبنائه ، وأوصاهم بخدمته ، والرجوع إليه في اُمور دينهم، فقال لهم:

«هذا أخوكم عليّ بن موسى عالم آل محمّد (صلى الله عليه وآله)، فاسألوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإنّي سمعت أبي جعفر بن محمّد (عليه السلام) غير مرّة يقول لي : إنّ عالم آل محمّد(صلى الله عليه وآله) لفي صلبك، وليتني أدركته فإنّه سميُّ أمير المؤمنين...»[1].

المأمون :

وأعلن المأمون العبّاسي فضل الإمام الرضا(عليه السلام) في كثير من المناسبات:

١ ـ قال المأمون للفضل بن سهل وأخيه : «ما أعلم أحداً أفضل من هذا

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٦٤/٢ ـ ٦٥، الصراط المستقيم: ١٦٤/٢، وعن إعلام الورىٰ في كشف الغمّة: ١١١/٣، واللفظ للأوّل.

الرجل ـ يعني الإمام عليّ بن موسى ـ على وجه الأرض»[١].

٢ ـ أشاد المأمون بالإمام الرضا (عليه السلام) أيضاً في رسالته التي بعثها للعبّاسيين الذين نقموا عليه بولاية العهد للإمام (عليه السلام) قائلاً:

«ما بايع له المأمون ـ أي للإمام الرضا ـ إلّا مستبصراً في أمره عالماً بأنّه لم يبق أحد على ظهرها ـ أي على ظهر الأرض ـ أبين فضلاً، ولا أظهر عفّة، ولا أورع ورعاً، ولا أزهد زهداً في الدنيا، و لا أطلق نفساً، ولا أرضى في الخاصّة والعامّة، ولا أشدّ في ذات الله منه، وأنّ البيعة له لمُوافقة رضى الربّ»[٢].

قال أبو الصلت عبدالسلام الهروي، وهو من أعلام عصره:

«ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا، ولا رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد، علماء الأديان، وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي منهم أحد إلّا أقرّ له بالفضل وأقرَّ على نفسه بالقصور...»[٣].

وقال زعيم الشيعة الشيخ محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي الملَقَّب بالشيخ المفيد:

«وكان الإمام بعد أبي الحسن موسى بن جعفر(عليهما السلام) ابنه أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا(عليهما السلام) لفضله على جماعة اخوته، وأهل بيته، وظهور علمه وحلمه وورعه واجتهاده، واجتماع الخاصّة والعامّة على ذلك فيه، ومعرفتهم

(١) الإرشاد: ٢٦١/٢، إعلام الورى بأعلام الهدىٰ: ٧٣/٢، مقاتل الطالبيين: ٣٧٥، الفصول المهمّة: ١٠٠٥/٢.

(٢) الطرائف: ٢٧٩.

(٣) إعلام الورىٰ: ٦٤/٢ وعنه في كشف الغمّة: ١١٠/٣ ـ ١١١، واللفظ للأوّل.

به منه»[١].

وقال جمال الدين أحمد بن عليّ النسّابة، المعروف بابن عنبة، عند ذكره عقب الإمام الرضا: «ويكنى أبا الحسن ولم يكن في الطالبيّين في عصره مثله، بايع له المأمون بولاية العهد، وضرب اسمه على الدراهم والدنانير، وخطب له على المنابر»[٢].

وقال جمال الدين، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي: «الإمام أبو الحسن الهاشمي العلوي، الحسيني، كان إماماً عالماً... وكان عليّ هذا سيّد بني هاشم في زمانه، وأجلّهم، وكان المأمون يعظّمه ويبجّله ويخضع له، ويتغالى فيه، حتى جعله وليّ عهده ..»[٣].

وقال صفي الدين الخزرجي: «كان ـ أي الإمام الرضا ـ سيّد بني هاشم، وكان المأمون يعظّمه، ويجلّه، وعهد له بالخلافة، وأخذ له العهد ..»[٤].

قال ابن حجر: «قال ابن السمعاني: كان الرضا من أهل العلم والفضل مع شرف النسب..»[٥].

قال اليافعي: «الإمام الجليل المعظَّم، سلالة السادة الأكارم: أبو الحسن عليّ بن موسى الكاظم... أحد الأئمة الاثني عشر، أولي المناقب الذين انتسبت الإمامية إليهم، وقصروا بناء مذهبهم عليه..»[٦].

والذهبي الذي عرف بالبغض والعداء لأهل البيت (عليهم السلام) لم يسعه إلّا

(١) الإرشاد: ٢٤٧/٢، وعنه في كشف الغمّة: ٦٣/٣.

(٢) عمدة الطالب: ١٩٨.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ١٧٤/٢.

(٤) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٢٧٨.

(٥) تهذيب التهذيب: ٧ / ٣٤٠، وانظر أنساب السمعاني ٣: ٧٤.

(٦) مرآة الجنان: ٢ / ١١.

الاعتراف بفضل الإمام الرضا (عليه السلام)، بقوله:

«الإمام أبو الحسن بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر ابن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي العلوي .. وكان سيّد بني هاشم في زمانه، وأجلّهم، وأنبلهم، وكان المأمون يعظّمه، ويخضع له ويتغالى فيه، حتى أنّه جعله ولي عهده..»[1].

قال الشبراوي: «كان رضي الله عنه كريماً جليلاً، مهاباً موقّراً وكان أبوه موسى الكاظم (عليه السلام) يحبّه حبّاً شديداً»[2].

مدحه أبو نؤاس ـ الشاعر المشهور ـ الذي كان قد ترك مدحه إعظاماً له، وقد أجاد فيما قال، حين عوتب على عدم مدحه الإمام الرضا(عليه السلام) بعد توليته لولاية العهد فقال مجيباً:

قيل لي أنت أوحد الناس طرّاً — في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع — يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى — والخصال التي تجمّعن فيه
قلت : لا اهتدي لمدح إمام — كان جبريل خادماً لأبيه[3]

وخرج الإمام الرضا(عليه السلام) يوماً على بغلة، فدنا منه أبو نؤاس، وسلّم عليه وقال له : «ياابن رسول الله! قد قلت فيك أبياتاً وأحب أن تسمعها مني».

فقال له : «**هات**». فانبرى أبو نؤاس قائلاً :

مطهّرون نقيّات ثيابهم — تجري الصلاة عليهم كلّما ذكروا

(١) تاريخ الإسلام، حوادث وفيات (٢٠١ ـ ٢١٠ هـ): ص ٢٧٠.
(٢) الإتحاف بحب الأشراف: ٣١٢.
(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢/١٥٤،كشف الغمّة: ٣/١١١، الأئمة الاثنا عشر، لابن طولون: ٩٨ ـ ٩٩، واللفظ للثاني.

من لم يكن علويّاً حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وماجاءت به السور[١]

وأعجب الإمام (عليه السلام) بهذه الأبيات فقال لأبي نؤاس :

«قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد ..».

ثم التفت الى غلامه فقال له : هل معك من نفقتنا شيء؟ فقال له: ثلاثمائة دينار، فقال : أعطها إيّاه. فلما ذهب الى بيته ، قال لغلامه : لعلّه استقلّها، يا غلام سق إليه البغلة[٢].

وهام دعبل الخزاعي في الإمام الرضا(عليه السلام)، وكان مما قاله فيه :

لقد رحل ابن موسى بالمعالي وسار بيسره العلم الشريف
وتابعه الهدى والدين كلّاً كما يتتبع الالف الأليف[٣]

(١) خلاصة الذهب المسبوك لعبدالرحمن قنينو: ٢٠٠ .

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٥٥/٢، إعلام الورىٰ: ٦٥/٢، كشف الغمّة: ١١١/٣، الإتحاف بحب الأشراف: ٣٢٠ ـ ٣٢١، الفصول المهمّة: ٩٨١/٢، واللفظ لكشف الغمّة، وانظر الأبيات الشعرية أيضاً مع بعض التفاوت في: وفيات الأعيان: ٢٧١/٣، الوافي بالوفيات: ١٥٥/٢٢ وغيرها.

(٣) ديوان دعبل : ١٣٢ .

الفصل الثالث

مظاهر من شخصيّة الإمام الرضا (عليه السلام)

لقد كانت شخصيّة الإمام الرضا (عليه السلام) ملتقى للفضائل بجميع أبعادها وصورها، فلم تبق صفة شريفة يسمو بها الإنسان إلّا وهي من نزعاته، فقد وهبه الله كما وهب آباءه العظام وزيّنه بكل مكرمة، وحباه بكل شرف وجعله علماً لأُمّة جدّه، يهتدي به الحائر، ويسترشد به الضال، وتستنير به العقول.

إنّ مكارم أخلاق الإمام الرضا(عليه السلام) نفحة من مكارم أخلاق جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي امتاز على سائر النبيّين بهذه الكمالات، فقد استطاع(صلى الله عليه وآله) بسمو أخلاقه أن يطور حياة الإنسان، وينقذه من أحلام الجاهلية الرعناء، وقد حمل الإمام الرضا(عليه السلام) أخلاق جدّه، وهذا إبراهيم بن العبّاس يقول عن مكارم أخلاقه:

«ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا(عليه السلام)، وشاهدت منه ما لم أشاهده من أحد، وما رأيته جفا أحداً بكلامه قط، ولا رأيته قطع على أحدٍ كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجليه بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه، وما رأيته تفل قط، ولا رأيته يقهقه في ضحكه، بل كان ضحكه التبسّم، وكان إذا خلا ونصبت مائدته أجلس على مائدته مماليكه ومواليه حتى البوّاب والسائس، وكان قليل النوم بالليل كثير السهر، يحيي

أكثر لياليه من أوّلها الى الصبح، وكان كثير الصوم، ولا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: «**ذلك صوم الدهر**» وكان كثير المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر ذلك يكون في الليالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدّقوه»[1] .

ومن معالي أخلاقه أنّه مع تقلّده ولاية العهد التي هي أرقى منصب في الدولة الإسلاميّة إلّا أنّه لم يأمر أحداً من مواليه وخدمه في الكثير من شؤونه وإنّما كان يقوم بذاته في خدمة نفسه، حتى قيل : إنه احتاج الى الحمّام فكره أن يأمر أحداً بتهيئته له، ومضى إلى حمّام في البلد لم يكن صاحبه يظن أنّ ولي العهد يأتي الى الحمّام في السوق فيغسل فيه، وإنما حمامات الملوك في قصورهم .

ولما دخل الإمام الحمّام كان فيه جندي، فأزال الإمام عن موضعه، وأمره أن يصب الماء على رأسه، ففعل الإمام ذلك، ودخل الحمّام رجل كان يعرف الإمام فصاح بالجندي هلكت، أتستخدم ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟! فذعر الجندي، ووقع على الإمام يقبل أقدامه، ويقول له متضرّعاً :

«هلّا عصيتني إذ أمرتك؟».

فتبسّم الإمام في وجهه وقال له ، برفق ولطف :

«**إنّها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أُثاب عليه**»[2].

ومن سموّ أخلاقه أنّه إذا جلس على مائدة أجلس عليها مماليكه حتى السائس والبوّاب وقد أعطى بذلك درساً لهم، لقاء التمايز بين الناس، وأنهم جميعاً على صعيد واحد، ويقول إبراهيم بن العبّاس : سمعت عليّ بن موسى

---

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢/١٩٧ـ١٩٨، إعلام الورىٰ: ٢/٦٣، مناقب آل أبي طالب: ٣/٤٦٩ ـ ٤٧٠، واللفظ للثاني.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٢/١٥٦ ـ ١٥٧، نور الأبصار: ٢٣٢ ـ ٢٣٣ واللفظ للثاني.

الرضا(عليه السلام) يقول : **«حلفت بالعتق، ألا أحلف بالعتق إلّا أعتقت رقبة، وأعتقت بعدها جميع ما أملك، إن كان يرى أنه خير من هذا** ـ وأومأ الى عبد أسود من غلمانه ـ **بقرابتي من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، إلّا أن يكون له عمل صالح فأكون أفضل به منه»**[1].

وقال له رجل : والله ما على وجه الأرض أشرف منك أباً .

فقال (عليه السلام) : **«التقوى شرفهم، وطاعة الله أحظتهم»** .

وقال له شخص آخر : أنت والله خير الناس ...

فردّ عليه قائلاً: **«لا تحلف يا هذا! خير مني من كان أتقى لله تعالىٰ، وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]»**[3].

زهده :

ومن صفات الإمام الرضا (عليه السلام) الزهد في الدنيا، والاعراض عن مباهجها وزينتها، وقد تحدث عن زهده محمّد بن عباد حيث قال :كان جلوس الرضا في الصيف على حصير، وفي الشتاء على مسح[4]، ولبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزيّن لهم[5].

والتقى به سفيان الثوري ـ وكان الإمام قد لبس ثوباً من خز ـ فأنكر عليه ذلك وقال له : لو لبست ثوباً أدنى من هذا. فأخذ الإمام (عليه السلام) يده برفق، وأدخلها في كُمّه فإذا تحت ذلك الثوب مسح، ثم قال له :

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٦٢/٢ وعنه في بحار الأنوار : ٤٩ / ٩٥ ـ ٩٦ .
(٢) الحجرات (٤٩): ١٣.
(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام) : ٢٦١/٢ وعنه في بحار الأنوار: ٢٢٤/٩٣.
(٤) المسح : الكساء من الشعر .
(٥) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ١٩٢، إعلام الورى: ٦٤/٢، المناقب: ٤٧٠/٣ واللفظ للأوّل.

«يا سفيان! الخزّ للخلق، والمسح للحقّ»[١].

وحينما تقلّد ولاية العهد لم يحفل بأي مظهر من مظاهر السلطة، ولم يقم لها أي وزن، ولم يرغب في أي موكب رسمي، حتى لقد كره مظاهر العظمة التي كان يقيمها الناس لملوكهم.

سخاؤه:

ولم يكن شيء في الدنيا أحبّ الى الإمام الرضا(عليه السلام) من الإحسان الى الناس والبر بالفقراء. وقد ذكرت بوادر كثيرة من جوده وإحسانه، وكان منها ما يلي:

١ ـ أنفق جميع ما عنده على الفقراء، حينما كان في خراسان، وذلك في يوم عرفة فأنكر عليه الفضل بن سهل، وقال له: إنّ هذا لمغرم ...

فأجابه الإمام(عليه السلام): **«بل هو المغنم لا تعدّنّ مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً»**[٢].

إنّه ليس من المغرم في شيء صلة الفقراء والإحسان الى الضعفاء ابتغاء مرضاة الله تعالى، وإنّما المغرم هو الإنفاق بغير وجه مشروع كإنفاق الملوك والوزراء الأموال الطائلة على المغنّين والعابثين.

٢ ـ وفد عليه رجل فسلّم عليه، وقال له: «رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك(عليهم السلام)، مصدري من الحجّ، وقد افتقدتُ نفقتي، وما معي ما أبلغ مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني الى بلدي، ولله عليَّ نعمة فإذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك فلستُ موضع صدقة، فقال له: **اجلس رحمك الله.** وأقبل على الناس يحدّثهم حتى تفرّقوا، وبقي هو وسليمان الجعفري،

(١) المناقب: ٣/ ٤٧٠.

(٢) المناقب: ٣/ ٤٧٠ وعنه في بحار الأنوار: ٤٩/ ١٠٠.

وخيثمة وأنا»، فاستأذن الإمام منهم ودخل الدار وبقي ساعة ثم خرج وردّ الباب وأخرج من أعلى الباب صرّة، وقال : «أين الخراساني؟ فقال:ها أنا ذا، فقال(عليه السلام) : **خُذ هذه المائتي دينار واستعن بها في مؤونتك ونفقتك، ولا تصدّق بها عني».** وانصرف الرجل مسروراً قد غمرته نعمة الإمام. والتفت إليه سليمان فقال له: جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت، فلماذا سترت وجهك عنه؟»

فأجابه الإمام (عليه السلام) : «**مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله) : المستتر بالحسنة يعدل سبعين حجّة، والمذيع بالسيئة مخذول ... أما سمعت قول الأوّل:**

متى آته يوما لأطلب حاجة رجعت الى أهلي ووجهي بمائه»[1]

٣ ـ وكان إذا أكل أتي بصحفة فتوضع بقرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام ممّا يؤتى به، فيأخذ من كل شيء شيئاً فيضع في تلك الصحفة ثم يأمر بها الى المساكين، ويتلو قوله تعالى: ﴿فَلاَ ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾[2] ثم يقول : «**علم الله عزّ وجلّ أنه ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة فجعل لهم السبيل الى الجنّة**»[3].

٤ ـ وروي: أن فقيراً قال له : «أعطني على قدر مروّتك».

فأجابه الإمام(عليه السلام) : «**لا يسعني ذلك**» .

والتفت الفقير الى خطأ كلامه فقال ثانياً : «على قدر مروّتي».

وهنا قابله الإمام(عليه السلام) ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً له: «**اذن فنعم**» .

ثم قال: «**يا غلام! أعطه مائتي دينار**»[4].

---

(١) الكافي: ٢٣/٤ و ٢٤ و مناقب آل أبي طالب: ٤٧٠/٣، وعن الكافي في بحار الأنوار : ١٠١/٤٩ ، ح ١٩. واللفظ للأوّل.

(٢) سورة البلد (٩٠): ١١ .

(٣) المحاسن للبرقي : ٣٩٢/٢ ، ح ٣٩، والكافي: ٥٢/٤ واللفظ للثاني.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٤٧٠/٣ وعنه في بحار الأنوار: ١٠٠/٤٩، وفي كشف الغمّة للإربلي: ١٦١/٣، ونسبها للإمام الجواد(عليه السلام) .

٥ ـ ومن معالي كرمه ما رواه أحمد بن عبيدالله عن الغفاري، قائلاً: «كان لرجل من آل أبي رافع ـ مولىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) ـ يقال له: طيس، عليَّ حقّ فتقاضاني، وألحَّ عليَّ، وأعانه الناس، فلما رأيت ذلك صليت الصبح في مسجد الرسول(صلى الله عليه وآله) ثم توجهت نحو الرضا (عليه السلام) وهو يومئذٍ بالعريض، فلما قربت من بابه إذا هو قد طلع على حمار، وعليه قميص ورداء فلما نظرت إليه، استحييت منه، فلمّا لحقني وقف ونظر إليّ، فسلمت عليه ـ وكان شهر رمضان ـ فقلت: جعلني الله فداك، إنّ لمولاك طيس عليّ حقّاً وقد والله شهرني، وأنا أظنّ في نفسي أنّه يأمره بالكف عنّي، ووالله، ما قلت له كم له عليّ، ولا سميت له شيئاً. فأمرني بالجلوس إلى رجوعه، فلم أزل حتى صلّيت المغرب، وأنا صائم فضاق صدري وأردت أن أنصرف، فإذا هو قد طلع عليَّ وحوله الناس، وقد قعد له السؤال وهو يتصدق عليهم، فمضىٰ ودخل بيته، ثم خرج ودعاني فقمت إليه ودخلت معه فجلس وجلست فجعلت أحدّثه عن ابن المسيّب، وكان أمير المدينة وكان كثيراً ما أحدّثه عنه فلما فرغت قال: **لا أظنّك أفطرت بعد،** فقلت : لا ، فدعا لي بطعام ووضع بين يديّ، وأمر الغلام أن يأكل معي فأصبت والغلام من الطعام، فلمّا فرغنا قال لي: **ارفع الوسادة وخذ ما تحتها،** فرفعتها، وإذا دنانير فأخذتها ووضعتها في كُمّي، وأمر أربعة من عبيده أن يكونوا معي حتى يبلغوني منزلي... ، فصرت الى منزلي ودعوت بالسراج ونظرت الى الدنانير، وإذا هي ثمانية وأربعون ديناراً، وكان حقّ الرجل عليّ ثمانية وعشرين ديناراً، وكان فيها دينار يلوح فأعجبني حسنه فأخذته وقربته من السراج فإذا عليه نقش واضح: **حقّ الرجل ثمانية وعشرون**

ديناراً وما بقي فهو لك»[١].

تكريمه للضيوف: كان (عليه السلام) يكرم الضيوف، ويغدق عليهم بنعمه وإحسانه وكان يبادر بنفسه لخدمتهم، وقد استضافه شخص، وكان الإمام يحدّثه في بعض الليل فتغيّر السراج فبادر الضيف لإصلاحه فوثب الإمام، وأصلحه بنفسه، وقال لضيفه: **«إنّا قوم لا نستخدم أضيافنا»**[٢].

عتقه للعبيد: ومن أحب الأُمور الى الإمام الرضا(عليه السلام) عتقه للعبيد، وتحريرهم من العبودية، ويقول الرواة: إنّه أعتق ألف مملوك[٣].

إحسانه الى العبيد: وكان الإمام (عليه السلام) كثير البر والإحسان الى العبيد، وقد روى عبدالله بن الصلت عن رجل من أهل (بلخ)، قال: كنت مع الإمام الرضا(عليه السلام) في سفره الى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه، من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة، فأنكر عليه ذلك وقال له:

«مه أنّ الربّ تبارك وتعالى واحد، والأُم واحدة، والأب واحد والجزاء بالأعمال...»[٤].

إنّ سيرة أئمة أهل البيت(عليهم السلام) كانت تهدف الى الغاء التمايز العرقي بين الناس، وأنهم جميعاً في معبد واحد لا يفضل بعضهم على بعض إلّا بالتقوى والعمل الصالح.

---

(١) الكافي: ٤٨٦ ـ ٤٨٨، ح ٤، الإرشاد: ٢٥٥/٢ ـ ٢٥٧، وعنه في كشف الغمّة: ٦٧/٣ ـ ٦٨، وعنه أيضاً في بحار الأنوار: ٩٧/٤٩ ـ ٩٨، ح ١٢، واللفظ للأوّل.

(٢) الكافي: ٢٨٣/٦، وعنه في بحار الأنوار: ١٠٢/٤٩، ح ٢٠.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف: ٣١٢.

(٤) الكافي: ٢٣٠/٨، وعنه في بحار الأنوار: ١٠١/٤٩، ح ١٨.

علمه :

والشيء البارز في شخصية الإمام الرضا (عليه السلام) هو إحاطته التامة بجميع أنواع العلوم والمعارف، فقدكان بإجماع المؤرخين والرواة أعلم أهل زمانه، وأفضلهم وأدراهم باحكام الدين، وعلوم الفلسفة والطب وغيرها من سائر العلوم، وقد تحدّث عبدالسلام الهروي عن سعة علومه، وكان مرافقاً له، يقول:

«ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا، ولا رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد، علماء الأديان، وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلّا أقرّ له بالفضل، واقرّ له على نفسه بالقصور، ولقد سمعت عليّ بن موسى الرضا(عليهما السلام) يقول : **كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم، وبعثوا اليّ بالمسائل فأُجيب عنها**»[1].

لقدكان الإمام أعلم أهل زمانه،كماكان المرجع الأعلى في العالم الإسلامي الذي يرجع إليه العلماء والفقهاء فيما خفي عليهم من أحكام الشريعة، والفروع الفقهيّة .

قال إبراهيم بن العبّاس : «ما رأيت الرضا يسأل عن شيء قط إلّا علم، ولا رأيت أعلم منه بماكان في الزمان الأوّل، الى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه...»[2].

(١) إعلام الورىٰ: ٦٤/٢ وعنه في كشف الغمّة: ١١٠/٣ ـ ١١١ وعنه أيضاً في بحار الأنوار: ١٠٠/٤٩ .

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ١٩٣، إعلام الورى: ٦٣/٢، وعنه في كشف الغمّة: ١١٠/٣، الفصول المهمّة: ٩٩٨/٢، واللفظ للأوّل.

قال المأمون : «ما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل ـ يعني الإمام الرضا ـ على وجه الأرض...»[١]

معرفته بجميع اللغات :

وظاهرة أُخرى من علومه هي : معرفته التامة، وإحاطته الشاملة بجميع اللغات، قال أبو إسماعيل السندي: «سمعت بالسند أن لله في العرب حجّة، فخرجت منها في الطلب، فدُلِلت على الرضا (عليه السلام) فقصدته فدخلت عليه وأنا لا أُحسن العربية كلمة، فسلّمت عليه بالسندية، فرد عليَّ بلغتي، فجعلت أُكلمه بالسندية، وهو يجيبني بالسندية فقلت له : إنّي سمعت بالسند أنّ لله حجّة في العرب، فخرجت في الطلب، فقال ـ بلغتي ـ(عليه السلام): **نعم، أنا هو، ثم قال: فسل عمّا تريد** فسألته عمّا أردته...»[٢] .

وقد أكّد هذه الظاهرة الكثيرون ممن اتصلوا بالإمام، يقول أبو الصلت الهروي :كان الرضا (عليه السلام) يكلم الناس بلغاتهم، فقلت له في ذلك فقال :

«يا أبا الصلت أنا حجّة الله على خلقه، وماكان الله ليتخذ حجّة على قوم، وهو لا يعرف لغاتهم. أوَما بلغك قول أمير المؤمنين (عليه السلام): أوتينا فصل الخطاب، وهل هو إلّا معرفته اللغات»[٣].

وروى ياسر الخادم فقال :كان لأبي الحسن(عليه السلام) في البيت صقالبة، وروم، وكان أبو الحسن قريباً منهم فسمعهم بالليل يتراطنون بالصقلبية

---

(١) الإرشاد: ٢٦١/٢، إعلام الهدى: ٧٣/٢، مقاتل الطالبيين: ٣٧٥، الفصول المهمّة: ١٠٠٥/٢.

(٢) الخرائج والجرائح: ٣٤٠/١، ح ٥، الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ٤٩٨، وعن الخرائج في كشف الغمّة: ٩٧/٣، وعنه أيضاً في بحار الأنوار: ٤٩ / ٥٠، ح ٥١ .

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٥١/٢، إعلام الورى: ٧٠/٢، المناقب : ٣ / ٤٤٦ واللفظ للآخير.

والرومية، ويقولون : إنّا كنّا نفصد كل سنة في بلادنا، ثمّ ليس نفصد ها هـنا، فلمّا كان من الغد وجّه أبو الحسن إلى بعض الأطباء فقال له: افصد فلاناً عرق كذا، وافصد فلاناً عرق كذا[١].

الإمام(عليه السلام) والملاحم :

وأخبر الإمام الرضا (عليه السلام) عن كثير من الملاحم والأحداث قبل وقوعها، وتحققت بعد ذلك على الوجه الأكمل الذي أخبر به، وهـي تـؤكد ـ بـصورة واضحة ـ أصالة ما تذهب إليه الشيعة مـن أنّ الله تـعالى قـد مـنح أئـمة أهـل البيت (عليهم السلام) المزيد من الفضل والعلم، كما منح رسله، ومن بين ما أخـبر بـه ما يلي :

١ ـ روى الحسين بن بشار فقال : «قال الرضـا (عليه السلام) : **إنّ عـبدالله ـ يـعني المأمون ـ يقتل محمّداً ـ يعني الأمين ـ** فقلت له : عبدالله بن هارون يقتل محمّد بن هارون، قال لي: **نعم، عبدالله الذي بخراسان يقتل مـحمّد بـن زبـيدة الذي هـو بـبغداد فقتله»**[٢] وكان يتمثل بهذا البيت :

وانّ الضـغن بـعد الضـغن يـفشو عـليك، ويـخرج الداء الدفـينا[٣]

ولم تمض الأيام حتى قتل المأمون أخاه الأمين .

٢ ـ ومن بين الأحداث التي أخبر عنها : أنّه لما خرج مـحمّد بـن الإمـام الصادق بمكة، ودعا الناس الى نـفسه، وخـلع بـيعة المأمـون، قـصده الإمـام

---

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٥٠/٢، إعلام الورى: ٧٠/٢، المناقب: ٣٦٢/٤ واللفظ للأخير، والفَصد: ضرب العِرق للحجامة.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٢٦/٢، إعلام الورى: ٥٦/٢، دلائل الإمامة: ٣٦٧، المناقب: ٤٤٧/٣، واللـفظ للأوّل.

(٣) المناقب: ٣ / ٤٤٧، وعنه في بحار الأنوار: ٣٤/٤٩.

الرضا، وقال له : **يا عم لا تكذب أباك، ولا أخاك** ـ يعني الإمام الكاظم(عليه السلام) ـ **فإنّ هذا الأمر لا يتم**، ثم خرج، ولم يلبث محمّد إلّا قليلاً حتى لاحقته جيوش المأمون بقيادة الجلودي، فانهزم محمّد ومن معه، وطلب الأمان، فآمنه الجلودي، وصعد المنبر وخلع نفسه، وقال : إنّ هذا الأمر للمأمون وليس لي فيه حقّ[1].

٣ ـ روى الحسين نجل الإمام موسى (عليه السلام) قال : «كنّا حول أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، ونحن شبّان من بني هاشم إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلوي وهو رثّ الهيئة فنظر بعضنا الى بعض وضحكنا من هيئته، فقال الرضا : **سترونه عن قريب كثير المال، كثير التبع**، فما مضى إلّا شهر ونحوه، حتى ولي المدينة وحسنت حاله»[2].

٤ ـ روى محول السجستاني فقال : «لما ورد البريد باشخاص الرضا (عليه السلام) الى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول‌الله (صلى الله عليه وآله)، فودعه مراراً كل ذلك يرجع الى القبر، ويعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدمت إليه، وسلمت عليه، فردّ السلام، وهنأته، فقال : **ذرني فإني أخرج من جوار جدّي، وأموت في غربة، وأُدفن في جنب هارون**، قال : فخرجت متبعاً طريقه، حتى مات بطوس ودُفن إلى جنب هارون»[3].

وتحقق ما أخبر به فقد مضى الى خراسان، ولم يعد منها واغتاله المأمون العبّاسي، ودفن الى جانب هارون .

٥ ـ روى صفوان بن يحيى قال : لما مضى أبو إبراهيم ـ يعني الإمام

---

(١) انظر عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٢٤/٢ وعنه في كشف الغمّة: ٩٣/٣ ـ ٩٤، وعنه في بحار الأنوار: ٢٤٦/٤٧ ـ ٢٤٧ باب ٣٠، ح ٥ .

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٢٥/٢ ـ ٢٢٦، إعلام الورى: ٦٥/٢، نور الأبصار: ٢٤٣، واللفظ للثاني.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٣٤/٢، وعنه في بحار الأنوار: ١١٧/٤٩.

الكاظم(عليه السلام) ـ وتكلم أبو الحسن (عليه السلام) خفنا عليه من ذلك، فقيل له : إنّك قد أظهرت أمراً عظيماً، وأنّا نخاف عليك هذا الطاغية ـ يعني هارون ـ فقال(عليه السلام): **«ليجهد جهده فلا سبيل له عليّ»**[١].

وتحقق ذلك فإن هارون لم يتعرّض له بسوء، وقد اكّد الإمام هذا المعنى لبعض أصحابه، فقد روى محمّدبن سنان قال : قلت لأبي الحسن الرضا في أيام هارون: إنّك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيك، وسيف هارون يقطر الدم ـ أي من دماء أهل البيت وشيعتهم ـ فقال (عليه السلام) : **«جرّأني على هذا ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة، فاشهدوا أني لست بنبي، وأنا أقول لكم : إنّ أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أني لست بإمام»**[٢].

لقد أعلن (عليه السلام) غير مرّة أنّ هارون لا يعرض له بسوء، وأنه يدفن الى جانب هارون، فقد روى حمزة بن جعفر الأرجاني: خرج هارون من المسجد الحرام من باب، وخرج الرضا من باب فقال الرضا (عليه السلام) ـ وهو يعني هارون ـ : **«ما أبعد الدار وأقرب اللقاء، يا طوس، يا طوس؛ ستجمعني وإيّاه»**[٣].

وأكّد الإمام دفنه بالقرب من هارون في كثير من الأحاديث فقد روى موسى بن هارون قال : رأيت عليّ بن موسى الرضا في مسجد المدينة، وهارون يخطب، فقال (عليه السلام) : **«أتروني وإياه ندفن في بيت واحد»**[٤].

---

(١) الكافي: ٤٨٧/١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٤٦/٢، الإرشاد: ٢٥٥/٢، الفصول المهمّة: ٩٧٥/٢، واللفظ للأوّل.

(٢) الكافي: ٢٥٧/٨، المناقب: ٤٥١/٣، واللفظ للأوّل.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٣٣/٢، إعلام الورى: ٥٩/٢، الفصول المهمّة: ٩٧٦/٢، الإتحاف بحبّ الأشراف: ٣١٦ واللفظ للثاني.

(٤) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٤٧/٢، كشف الغمّة: ٩٦/٣، نور الأبصار: ٢٤٤، الإتحاف بحبّ الأشراف واللفظ للأوّل.

٦ ـ ومن الأحداث التي أخبر عنها نكبة البرامكة، فقد روى مسافر أنه كان مع أبي الحسن عليّ الرضا، فمرّ يحيى بن خالد البرمكي، وهو مغطٍ وجهه بمنديل من الغبار، فقال (عليه السلام): **«مساكين هؤلاء ما يدرون ما يحل بهم في هذه السنة»**.

وأضاف الإمام قائلاً: **«وأعجب من هذا هارون وأنا كهاتين، وضمَّ إصبعيه»**.

قال مسافر: فوالله ما عرفت معنى حديثه حتّى دفنّاه معه[1].

٧ ـ روى محمّد بن عيسى عن أبي حبيب النباجي فقال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام، قد وافى النباج [2] ونزل بها في المسجد الذي ينزله الحاج كلّ سنة وكأني مضيت إليه، وسلّمت عليه، ووقفت بين يديه، ووجدت عنده طبقاً من خوص نخل المدينة فيه تمر صيحاني، فكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني فعدّدته فكان ثمانية[3] عشرة تمرة، فتأولت أنّي أعيش بعدد كل تمرة سنة فلمّا كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمر بين يدي للزراعة حتى جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا(عليه السلام) من المدينة ونزوله ذلك المسجد، ورأيت الناس يسعون إليه، فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبيّ(صلى الله عليه وآله) وتحته حصير مثل ما كان تحته، وبين يديه طبق خوص فيه تمر صيحاني، فسلمت عليه، فرد السلام عليَّ، واستدناني فناولني قبضة من ذلك التمر فعدّدته فإذا هو بعدد ما ناولني رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت له: زدني منه يابن رسول الله، فقال: **«لو زادك رسول الله(صلى الله عليه وآله) لزدناك»**[4].

---

(١) الكافي: ٤٩١/١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٤٥/٢، الإرشاد: ٢٥٨/٢، نور الأبصار: ٢٤٣، الفصول المهمّة: ٩٧٦/٢ واللفظ للأوّل.

(٢) النباج: منزل لحجاج البصرة.

(٣) والصحيح في النحو «ثمان عشرة».

(٤) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٢٧/٢، إعلام الورى: ٥٤/٢ عن الحاكم وعنه نور الأبصار: ٢٤٢ ـ ٢٤٣، جامع كرامات الأولياء: ٢ / ٣١١، واللفظ للأوّل.

٨ ـ روى بكر بن صالح قال: «قلتُ للرضا (عليه السلام): امرأتي أخت محمّد بن سنان بها حمل فادع الله أن يجعله ذكراً، قال: **هما اثنان**، قلت في نفسي: هما محمّد وعليّ، بعد انصرافي، فدعاني بعد، فقال: **سمِّ واحداً عليّاً والأُخرىٰ أُمّ عمر** فقدمت الكوفة وقد ولد لي غلام وجارية في بطن، فسميت كما أمرني»[١].

عبادته وتقواه:

ومن أبرز ذاتيات الإمام الرضا (عليه السلام) انقطاعه الى الله تعالى، وتمسّكه به، وقد ظهر ذلك في عبادته، التي مثلت جانباً كبيراً من حياته الروحية التي هي نور، وتقوى وورع، يقول إبراهيم بن عبّاس في حديث: «...كان(عليه السلام) قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أوّلها الى الصبح وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر...»[٢].

ويقول الشبراوي عن عبادته إنه: كان صاحب وضوء وصلاة، ليله كلّه يتوضّأ ويصلّي، ويرقد ثم يقوم فيتوضأ، ويصلّي ويرقد هكذا الى الصباح[٣].

لقد كان الإمام (عليه السلام) أتقى أهل زمانه، وأكثرهم طاعة لله تعالى. لنقرأ ما يرويه رجاء بن أبي الضحّاك عن عبادة الإمام، إذ كان المأمون قد بعثه الى الإمام ليأتي به الى خراسان، فكان معه في المدينة المنورة الى مرو يقول:

والله ما رأيت رجلاً كان اتقى لله منه، ولا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته ولا أشدّ خوفاً لله عزّ وجلّ عنه وكان إذا أصبح صلّى الغداة فإذا سلّم جلس في

---

(١) الخرائج والجرائح: ٣٦٢/١، الثاقب في المناقب: ٢١٤، الفصول المهمّة: ٩٧٧/٢، نور الأبصار: ٢٤٣، واللفظ للأوّل.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٩٨/٢، إعلام الورى: ٦٣/٢، وقريب منه في المناقب: ٤٧٠/٣.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف: ٣١٢.

مصلاه يسبح الله، ويحمده ويكبره، ويهلله، ويصلي على النبيّ (صلى الله عليه وآله) حتى تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة يبقى فيها حتى يتعالى النهار، ثم أقبل على الناس يحدثهم، ويعظهم الى قرب الزوال، ثم جدد وضوءه، وعاد الى مصلاه، فإذا زالت الشمس قام فصلّى ست ركعات يقرأ في الركعة الأُولى الحمد، وقل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية الحمد وقل هو الله، ويقرأ في الأربع كلّ ركعة الحمد لله، وقل هو الله أحد، ويسلّم في كل ركعتين ويقنت فيهما في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، ثم يؤذّن ويصلّي ركعتين ثم يقيم، ويصلي الظهر، فاذا سلّم سبّح الله وحمّده، وكبّره، وهلّله ما شاء الله، ثم سجد سجدة الشكر، يقول فيها مائة مرة شكراً لله، فإذا رفع رأسه قام فصلى ست ركعات، يقرأ في كلّ ركعة الحمد، وقل هو الله أحد، ويسلم في كل ركعتين، ويقنت في ثانية كلّ ركعتين قبل الركوع وبعد القراءة، ثم يؤذن، ثم يصلي ركعتين ويقنت في الثانية، فإذا سلّم قام وصلى العصر، فإذا سلّم جلس في مصلاه يسبّح الله، ويحمّده، ويكبّره، ويهلّله ما شاء الله، ثم سجد سجدة يقول فيها مائة مرة: حمداً لله، فإذا غابت الشمس، توضأ وصلّى المغرب ثلاثاً بأذان وإقامة، وقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، فإذا سلّم جلس في مصلّاه يسبّح الله ويحمّده، ويكبّره، ويهلّله ما شاء الله، ثم يسجد سجدة الشكر، ثم يرفع رأسه ولم يتكلم، حتى يقوم ويصلّي أربع ركعات بتسليمتين، ويقنت في كلّ ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، وكان يقرأ في الأُولى من هذه الأربع الحمد وقل يا أيّها الكافرون، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد ويقرأ في الركعتين الباقيتين الحمد وقل هو الله، ثم يجلس بعد التسليم في التعقيب ما شاء الله، ثم يفطر، ثم يلبث حتى يمضي من الليل قريب من الثلث، ثم يقوم فيصلي العشاء الآخرة أربع ركعات، ويقنت في الثانية قبل الركوع وبعد

القراءة فإذا سلّم جلس في مصلاه يذكر الله عزّ وجلّ ويسبّحه ويحمّده ويكبّره ويهلّله ما شاء الله، ويسجد بعد التعقيب سجدة الشكر ثم يأوي الى فراشه .

فإذاكان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار،فاستاك [استعمل السّواك] ثم توضّأ ثم قام الى صلاة الليل، فيصلّي ثمان ركعات ويسلّم في كل ركعتين، يقرأ في الأولين منها في كلّ ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة.

ثمّ يصلّي صلاة جعفر بن أبي طالب أربع ركعات يسلّم في كلّ ركعتين، ويقنت في كلّ ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد التسبيح، ويحتسب بها من صلاة الليل، ثم يقوم فيصلي الركعتين الباقيتين، يقرأ في الأُولى الحمد وسورة الملك، وفي الثانية الحمد لله وهل أتى على الإنسان، ثم يقوم فيصلّي ركعتي الشفع، يقرأ في كلّ ركعة منهما الحمدلله مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات، ويقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، فإذا سلم قام فصلّى ركعة الوتر يتوجه فيها ويقرأ فيها الحمد مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات وقل اعوذ برب الفلق مرة واحدة، وقل اعوذ برب الناس مرة واحدة، ويقنت فيها قبل الركوع وبعد القراءة، ويقول في قنوته :

«اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، اللهمّ إهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك انّه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربّنا وتعاليت ...».

ثم يقول : **«استغفر الله وأسأله التوبة»** سبعين مرة، فإذا سلّم جلس في التعقيب ما شاء الله، فإذا قرب الفجر قام فصلّى ركعتي الفجر يقرأ في الأُولى الحمد وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، فإذا طلع

الفجر أذّن وأقام وصلّى الغداة ركعتين، فإذا سلّم جلس في التعقيب حتى تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة الشكر حتى يتعالى النهار ...»[١].

لقد سرى حب الله في قلب الإمام، وتفاعل في عواطفه ومشاعره حتى صار من خصوصيات شخصيّته.

تسلّحه بالدعاء :

ومن مظاهر حياة الإمام الروحية تسلحه بالدعاء الى الله والتجاؤه إليه في جميع أُموره، وكان يجد فيه متعة روحية لا تعادلها أية متعة من متع الحياة.

وأُثرت عن الإمام الرضا (عليه السلام) كوكبة من الأدعية الشريفة كان من بينها ما يلي :

١ ـ قال(عليه السلام): «**يا من دلّني على نفسه، وذلّل قلبي بتصديقه، أسألك الأمن والإيمان في الدنيا والآخرة**»[٢].

وحفل هذا الدعاء على إيجازه، بظاهرة من ظواهر التوحيد وهي أنّ الله تعالى دلّ على ذاته، وعرّف نفسه لخلقه، وذلك بما أودعه، وأبدعه في هذا الكون من العجائب والغرائب، وكلّها تنادي بوجوده .

٢ ـ وقال(عليه السلام): «**اللهمّ أعطني الهدى وثبّتني عليه، واحشرني عليه آمناً، أمن مَن لا خوف عليه، ولا حزن ولا جزع إنك أهل التقوى، وأهل المغفرة**»[٣].

لقد دعا الإمام (عليه السلام) بطلب الهداية، والإنقياد الكامل الى الله الذي هو من أعلى درجات المقربين والمنيبين إلى الله تعالىٰ.

---

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٩٤/١ ـ ١٩٥ وعنه في بحار الأنوار: ٤٩ / ٩٢ ـ ٩٣ مع تفاوت يسير في الألفاظ، واللفظ المنقول من العيون، وفي الحديث بقية الى بيان بعض أذكاره وعباداته وقرائته لبعض السور في صلواته المندوبة .

(٢) الكافي: ٢ / ٥٧٩ .

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٦٣/١، إعلام الورىٰ: ١٨٨/٢، واللفظ للثاني.



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

نشأة الإمام الرضا (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مراحل حياة الإمام الرضا (عليه السلام)

الفصل الثالث :

الإمام الرضا في ظل أبيه الكاظم (عليهما السلام)

الفَصلُ الأوّلُ

نشأة الإمام الرضا (عليه السلام)

انحدر الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) من سلالة طاهرة مطهّرة، ارتقت سلّم المجد والكمال، وكان أبناؤها قمة في جميع مقومات الشخصية الإنسانية؛ في الفكر والعاطفة والسلوك، فهم نجوم متألّقة في المسيرة الإنسانية، والقدوة الشامخة في تاريخ الإسلام، استسلموا لله واقتدوا برسول الله(صلى الله عليه وآله) وكانوا عِدلاً للقرآن الكريم .

أبوه الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) الوارث لجميع الخصال والمآثر الحميدة لأبيه جعفر الصادق(عليه السلام) كما وصفه ابن حجر الهيتمي قائلاً : «وارثه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم»[1].

وأُمّه أم ولد سمّيت بأسماء عديدة منها : نجمة، وأروىٰ، وسكن، وسمان، وتكتم، وهو آخر أساميها[2]، ولما ولدت الرضا (عليه السلام) سمّاها الإمام الكاظم(عليه السلام) بالطاهرة[3].

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢/٥٩٠.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٢٦، الاختصاص للمفيد: ١٩٧.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٢٤، ٢٦، الاختصاص: ١٩٧، المناقب: ٣/٤٧٥ ـ ٤٧٦.

ولد (عليه السلام) في مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) سنة (١٤٨ هـ)[١]، وقيل سنة (١٥١ هـ) وقيل : (١٥٣ هـ)[٢]، والقول الأوّل هو الأشهر[٣] .

وحينما ولد هنّأ أبوه أُمَّه قائلاً لها : «**هنيئاً لكِ يا نجمة كرامة ربّكِ**»، فناولته إياه في خرقة بيضاء، فأذَّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنّكه به، ثم ردّه إليها وقال :«**خذيه، فإنّه بقية الله تعالىٰ في أرضه**»[٤]، وسمّاه باسم جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد لقّب بألقاب كريمة أشهرها: الرضا، الصابر، الزكي، الوفي، سراج الله، قرة عين المؤمنين، مكيدة الملحدين، الصدّيق ، والفاضل[٥].

وأشهر كناه : أبو الحسن. وللتمييز بين الإمام الكاظم (عليه السلام) والرضا (عليه السلام) يقال للأب: أبو الحسن الماضي، وللأبن : أبو الحسن الثاني[٦] .

ولد (عليه السلام) بعد ستة عشر عاماً من سقوط الدولة الأُموية وتأسيس الدولة العبّاسية، في ظروف اتّسع فيها الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) وتجذرت مفاهيمهم في عقول الأغلبية العظمىٰ من المسلمين، وكان التعاطف معهم قائماً على قدم وساق ، وذلك واضح من حوار هارون العبّاسي مع الإمام الكاظم (عليه السلام) حيث قال له : أنت الذي تبايعك الناس سرّاً؟، فأجاب (عليه السلام) : «**أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم**»[٧].

---

(١) الكافي: ٤٨٦/١، الإرشاد: ٢٤٧/٢، إعلام الورى: ٤٠/٢.

(٢) شذرات الذهب : ٢ / ٧٦، وقد ردّد بين القولين، وقد ذكر القول الأخير جماعة منهم الصدوق في العيون: ٢٨/١، وعنه ابن شهر آشوب في المناقب: ٤٧٦/٣ وغيرهم.

(٣) إذ عليه أغلب العلماء والمحققين ورجّحه الشيخ الكليني أعلىٰ الله مقامه في الكافي: ٤٨٦/١ .

(٤) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٢٩ ـ ٣٠، وعنه في كشف الغمّة: ٩٠/٣.

(٥) انظر المناقب: ٤٧٥/٣، نور الأبصار: ٢٣٢، مطالب السؤول: ١٢٩/٢.

(٦) وهذا واضح لمن تتبع الأخبار والروايات.

(٧) الصواعق المحرقة: ٥٩٢/٢، الإتحاف بحبّ الأشراف: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

وكانت الأنظار متوجّهة الىٰ الوليد الجديد الذي سيكون له شأن في المسيرة الإسلامية؛ لترعرعه في أحضان العلم والفضائل والمكارم.

وكان الرضا (عليه السلام) كثير الرضاع، تام الخَلق، فقالت اُمّه : أعينوني بمرضع، فقيل لها : أنقص الدرّ؟! فقالت : ما أكذب، والله ما نقص الدرّ، ولكن عليّ ورد من صلواتي وتسبيحي، وقد نقص منذ ولدت[(١)].

وفي ظلّ المكارم والمآثر ترعرع الإمام الرضا (عليه السلام)، وتجسّدت فيه جميع القيم الصالحة بعد أن نهلها من المعين الزاخر بالتقوىٰ والإخلاص والسيرة الصالحة مقتدياً بأبيه الكاظم للغيظ وأجداده العظام، وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يحيطه برعاية فائقة وعناية خاصّة .

فعن المفضّل بن عمر قال : «دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)، وعليّ ابنه في حجره، وهو يقبّله ويمصّ لسانه ويضعه علىٰ عاتقه ويضمه إليه، ويقول : **بأبي أنت وأُمي ما أطيب ريحك وأطهر خلقك وأبين فضلك!** قلت : جعلت فداك لقد وقع في قلبي لهذا الغلام من المودّة ما لم يقع لأحد إلّا لك، فقال (عليه السلام) : **يا مفضل هو منّي بمنزلتي من أبي** (عليه السلام) **ذريةٌ بعضها من بعض والله سميع عليم**، قال: قلت : هو صاحب هذا الأمر من بعدك ؟ قال :**نعم**»[(٢)].

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يحيط ابنه الرضا (عليه السلام) بالمحبة والتقدير والتكريم ويخاطبه بلقبه وكنيته، فعن سليمان بن حفص المروزي قال : «كان موسى بن جعفر بن محمّد ... يسمّي ولده عليّاً(عليه السلام): الرضا، وكان يقول : «**اُدعوا إليَّ ولدي الرضا، وقلت لولدي الرضا، وقال لي ولدي الرضا**، وإذا خاطبه قال

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٢٨، وعنه في بحار الأنوار: ٥/٤٩.
(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٤٠، وعنه في بحار الأنوار: ٢٠/٤٩.

له : **يا أبا الحسن»**[١].

وكان يلهج بذكره ويثني عليه ويذكر فضله ليوجّه الأنظار إلى دوره الرائد في المستقبل القريب وكان يبتدئ بالثناء على ابنه عليّ ويطريه، ويذكر من فضله وبرّه ما لايذكر من غيره،كأنه يريد أن يدلّ عليه[٢].

* * *

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٢٣، وعنه في كشف الغمّة: ٨٩/٣، وعنه أيضاً في بحار الأنوار: ٤/٤٩ .

(٢) انظر عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٣٨، وعنه في بحار الأنوار: ١٨/٤٩.

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام الرضا (عليه السلام)

تنقسم حياة الإمام الرضا (عليه السلام) إلى قسمين رئيسين كحياة سائر الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

القسم الأوّل: مرحلة ما قبل التّصدي للإمامة واستلام زمام القيادة الربّانيّة.

القسم الثاني: مرحلة التّصدي للقيادة الشرعيّة حتى الشهادة.

وينقسم كلّ قسم منهما إلى مراحل متعددة حسب طبيعة الظروف التي تكتنف حياة كلّ واحد منهم.

والإمام الرضا (عليه السلام) قد عاش في كنف أبيه حوالي ثلاثين سنة على أقل التقادير، وستّاً وثلاثين سنة على أكبر التقادير. وهي مرحلة ما قبل التصدي للإمامة.

وخلالها عاصر كلّاً من المنصور والمهدي والهادي والرشيد. وتبدأ هذه المرحلة بولادته سنة (١٤٨ هـ) حتى استشهاد أبيه في سنة (١٨٣ هـ).

وبعد التصدي للإمامة بعد استشهاد أبيه عاصر كلّاً من هارون الرشيد ومحمّد الأمين وعبدالله المأمون.

وكانت ولاية عهده في عهد المأمون.

ومن هنا أمكن تقسيم هذه الفترة الى مرحلتين متميّزتين:

١ ـ مرحلة التصدي للإمامة الإلهية حتى ولاية العهد .

٢ ـ مرحلة قبول ولاية العهد قسراً حتى الشهادة في سبيل الله.

وبهذا تصبح حياة الإمام الرضا (عليه السلام) ذات مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : من الولادة حتى استشهاد والده الإمام الكاظم (عليه السلام) سنة (١٨٣ هـ) .

المرحلة الثانية : تبدأ باستشهاد والده سنة (١٨٣ هـ) وتنتهي بولاية العهد سنة (٢٠٠ هـ).

المرحلة الثالثة : تبدأ بفرض ولاية العهد عليه سنة (٢٠٠ هـ) وتنتهي بقتله على يد المأمون العبّاسي سنة (٢٠٣ هـ) .

* * *

الفصل الثالث

الإمام الرضا في ظلّ أبيه الكاظم (عليهما السلام)

في المرحلة التاريخيّة التي عاشها الإمام الرضا مع أبيه (عليهما السلام) برزت عدّة ظواهر كانت ذات تأثير علىٰ نشاط ومواقف الإمام الرضا (عليه السلام) أثناء تصدّيه للإمامة. ونشير الى أهمها كما يلي:

١ ـ الإنحراف الفكري والديني :

لقد تعدّدت التيارات المنحرفة في تلك الفترة مثل تيّار المشبّهة والمجسّمة والمجبّرة والمفوّضة، وتيّار القياس والاستحسان والرأي، وحابىٰ بعض الفقهاء الحكّام الطغاة فكانت هذه الفترة خطيرة جدّاً إذ كانت الأجواء مليئة بالاختلافات الفقهيّة والتوتر السياسي الخانق.

٢ ـ الفساد الأخلاقي والمالي :

وعاصر الإمام الرضا (عليه السلام) وهو في ظلّ أبيه حكّاماً يتلاعبون بأموال المسلمين ويرونها ملكاً لهم، لا يردعهم أيّ تشريع أو نقد وإنما كان الإنفاق قائماً علىٰ أساس هوىٰ الحاكم العبّاسي ورغباته الشخصية أو رغبات زوجاته وإمائه[1].

---

(١) وقد امتلأت كتب التاريخ بمجون حكّام بني العبّاس، وبذخهم بالأموال وإنفاقها على الجواري والمغنيات وإحياء الليالي الحمراء، وتفصيل ذلك يحتاج الى عدّة مجلّدات وبإمكان القارىء أن يراجع تراجم خلفاء بني العبّاس في كتب التاريخ والتراجم ليرى ذلك.

وقد خلّف المنصور عند وفاته ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار[١].

ودخل مروان بن أبي حفصة علىٰ المهدي العبّاسي فأنشده شعراً مدح فيه بني العبّاس وذمّ أهل البيت (عليهم السلام) فأجازه سبعين ألف درهم[٢].

وأرسل عبدالله بن مالك الىٰ المهدي أبياتاً شعرية في جارية مغنّية للمهدي عليها تاج فيه نرجس من ذهب وفضة، فأرسل إليه أربعين ألفاً[٣].

وكان الرشيد مولعاً بالشراب مع جعفر البرمكي ومع اُخته العبّاسة بنت المهدي، وكان يحضرها إذا جلس للشرب ، ثمّ يقوم من مجلسه ويتركهما يثملان من الشراب[٤].

٣ـ الفساد السياسي :

وشاهد الإمام كيفية تعامل العبّاسيين مع الخلافة حيث كانوا يفهمونها علىٰ أنها موروثة لهم من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن طريق عمّه العبّاس، واتّبعوا اُسلوب الاستخلاف دون النظر الىٰ آراء المسلمين ولم يرجعوها الىٰ أهلها الشرعيين الذين نصبهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالىٰ. وأخضع العباسيّون القضاء لسياستهم فاستخدموا الدين ستاراً يموّهون به على الناس إذ أشاعوا أنّهم الولاة من قبل الله تعالىٰ فلا يجوز للناس نقدهم أو محاسبتهم.

(١) مروج الذهب : ٣ / ٣٣٨، سير أعلام النبلاء: ٨٩/٧.

(٢) تاريخ الطبري : ٦ / ٤٠٢، وانظر سير أعلام النبلاء: ٤٠٣/٧، حيث ذكر عطاء المهدي له ولم يذكر سبب ذلك .

(٣) تاريخ الطبري : ٦ / ٤٠٤ .

(٤) انظر تاريخ الطبري٤٨٩/٦ ـ ٤٩٠، الكامل في التاريخ: ١٧٥/٦، وفيات الأعيان: ٣٤٤/١.

٤ ـ تعاطف المسلمين مع أهل البيت (عليهم السلام):

وعاش الإمام الرضا(عليه السلام) وشاهد روح المودّة والتآلف والموالاة التي يحملها الناس لأهل البيت (عليهم السلام) وهي ثمرة طبيعية بجهوده وجهود آبائه السابقين (عليهم السلام)[١].

واعترف بهذا هارون الرشيد نفسه حيث قال للإمام الكاظم (عليه السلام) : أنت الذي تبايعك الناس سرّاً[٢] .

كما عاش الإمام الرضا(عليه السلام) أساليب الرشيد الماكرة واستدعاءاته المتكررة لأبيه الكاظم (عليه السلام) وسجنه الطويل الذي أدّىٰ الىٰ اغتياله .

٥ ـ الحركات المسلّحة :

ومن الظواهر المهمّة البارزة في حياة الإمام الرضا(عليه السلام) مع أبيه كثرة الثورات المسلّحة التي استمرت طول الفترة التي نشأ فيها في كنف أبيه(عليه السلام) ، فمن الثورات المهمّة ثورة الحسين بن عليّ بن الحسن بن الإمام الحسن (عليه السلام) المعروف بصاحب فخ الذي قاد ثورة مسلّحة ضد الوالي العبّاسي في المدينة والتي انتهت بمقتل الحسين وأهل بيته رضوان الله تعالى عليهم.

واستمرت المعارضة المسلّحة ضد الحكم العبّاسي ففي سنة (١٧٦ هـ) خرج يحيىٰ بن عبدالله بن الحسن، فبعث هارون آلاف الجنود لقتاله ثم أعطاه الأمان وحبسه فمات في الحبس[٣].

لقد كانت هذه الثورات انعكاساً طبيعياً للسياسة العبّاسية الظالمة.

هذا ملخّص لأهمّ الأحداث التي برزت في حياة الإمام الرضا(عليه السلام) وهو

---

(١) وهذا واضح لكلّ من يستنطق التاريخ ويقرأ الحقب الزمانية في تلك الفترة التي بدا فيها واضحاً التفاف الناس حول أهل البيت(عليهم السلام)، خصوصاً عند ملاحظة الضجيج الذي يحصل عند استدعاء إمام أو قتله... ممّا يعني أنّ قلوب الجماهير متعلقة بأهل البيت(عليهم السلام) .

(٢) الصواعق المحرقة: ٥٩٢/٢، الإتحاف بحبّ الأشراف: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣) انظر تاريخ الطبري: ٤٤٩/٦ ـ ٤٥٤، الكامل في التاريخ: ١٢٥/٦.

في ظلّ أبيه الكاظم(عليه السلام) لنرىٰ كيف واجهها الإمام (عليه السلام) فيما بعد وكيف مارس مسؤولياته وقت تصدّيه للإمامة في بحوث قادمة إن شاء الله تعالىٰ.

الإمام الكاظم والتمهيد لإمامة الرضا (عليهما السلام):

حدّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إحدى مسؤوليات الإمام بقوله : «**في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين ...**»[1].

والإمام الرضا (عليه السلام) باعتباره أحد أئمة أهل البيت المعصومين (عليهم السلام) مكلّف بهذه المسؤولية، وتتأكد هذه المسؤولية حينما يتصدّى بالفعل لإمامة المسلمين، أمّا في ظل إمامة والده الإمام الكاظم (عليه السلام) فانِ مسؤوليته تكون تبعاً لمسؤولية الإمام المتصدّي، والمتصدّي هو الأولى بتحمّل الأعباء والتكاليف، ويبقى غيره صامتاً إلّا في حدود خاصة، وفي هذا الصدد أجاب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن سؤال حول تعدد الأئمة في وقت واحد، فقال : «**لا، إلّا وأحدهما صامت**»[2].

ففي عهد الإمام الكاظم (عليه السلام) كان الإمام الرضا (عليه السلام) صامتاً بمعنى عدم تصدّيه للإمامة، وعدم اتّخاذ المواقف بشكل مستقل واتّباع مواقف الإمام المتصدّي بالفعل لمنصب الإمامة، والصمت لا يعني التوقف عن العمل الإصلاحي والتغييري داخل الأُمّة، فقد كان (عليه السلام) يعمل ويتحرك داخل الأُمة

---

(١) انظر الحديث بتفاوت بسير في الألفاظ في كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١، قرب الإسناد: ٧٧، الصواعق المحرقة: ٤٤١/٢، جواهر العقدين، القسم الثاني: ٩١/١، ورواه الكليني عن الصادق(عليه السلام) كما في الكافي: ٣٢/١، واللفظ المنقول من الصواعق.

(٢) الكافي : ١ / ١٧٨، كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٤.

تبعاً لمسؤوليته المحدّدة له، فكان (عليه السلام) ينشر المفاهيم والقيم الإسلامية، ويردّ على الأسئلة العقائدية والفقهية وكان يفتي في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ابن نيف وعشرين سنة[١].

ونقل الذهبي أنّ الإمام: أفتى وهو شاب في أيّام مالك[٢].

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في عهد إمامة والده (عليه السلام)، كما كان يروي عن والده وعن أجداده، وينشر أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وروى عنه جماعة من الرواة منهم : أبو بكر أحمد بن الحباب الحِمَيري، وداود بن سليمان بن يوسف الغازي، وسليمان بن جعفر وآخرون[٣].

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يوجّه الأنظار إليه ويُرجع أصحابه إليه، وممّا قاله بحقّه :

«هذا ابني فلان كتابه كتابي، وكلامه كلامي، ورسوله رسولي، وما قال فالقول قوله»[٤].

وكان يقول لبنيه : **«هذا أخوكم عليّ بن موسى عالم آل محمّد فاسألوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم»**[٥].

وكان (عليه السلام) يهيّء الأجواء للإمام الرضا (عليه السلام) ليقوم بالأمر من بعده، وممّا

---

(١) انظر تهذيب التهذيب : ٧ / ٣٣٩، ذيل تاريخ بغداد: ١٣٥/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء : ٩ / ٣٨٨ .

(٣) انظر تهذيب الكمال : ٢١ / ١٤٨، تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٨، هذا وسيأتي أنّ كتب أتباع أهل البيت قد امتلأت بالرواية عن الإمام(عليه السلام) وأنّ عدد الرواة عنه زاد على ثلاثمائة راوٍ.

(٤) الكافي: ٣١٢/١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٣٩/١، الإرشاد : ٢٥٠/٢، الغيبة للطوسي: ٣٧، الفصول المهمّة: ٩٦٨/٢ .

(٥) إعلام الورىٰ : ٦٤/٢ ـ ٦٥، وعنه في كشف الغمّة : ١١١/٣، الصراط المستقيم: ١٦٤/٢، واللفظ للأوّل.

قاله لعلي بن يقطين : « **يا عليّ بن يقطين هذا عليّ سيّد ولدي أما إنّي قد نحلته كنيتي**»[١].

الوصيّة بالإمامة:

الإمامة مسؤولية إلهية كبيرة ولذا فهي لا تكون إلّا بتعيين ونصب من الله ونص ٍ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا اختيار للمسلمين فيها لعدم قدرتهم على تشخيص الإمام المعصوم الذي أكّد الله عصمته بقوله تعالى : ﴿ **لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ** ﴾[٢]، وقد أكّدت الروايات النبويّة على هذه الحقيقة، ومنها ما صرّح به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بداية الدعوة بقوله : «**الأمر إلىٰ الله يضعه حيث يشاء**»[٣].

وصرّح رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غير مرّة بأنّ الأئمة إثنا عشر، وأنّ جميعهم من قريش، وقد ورد النصّ على ذلك بألفاظ عديدة[٤].

ووردت روايات تؤكد أن الأئمة من بني هاشم ومن تلك النصوص قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**بعدي اثنىٰ عشر خليفة ... كلهم من بني هاشم**»[٥].

ووردت روايات عديدة لتفسّر بني هاشم بعلي بن أبي طالب(عليه السلام) وأولاده الحسن والحسين، ثمّ تحصرها بذرية الحسين(عليه السلام)[٦].

ووردت روايات عديدة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذكر فيها أسماء الأئمة

---

(١) الكافي ١: ٣١١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٣١/١، الإرشاد: ٢٤٩/٢، واللفظ للأوّل.

(٢) البقرة(٢): ١٢٤ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٩/٢، تاريخ الطبري : ٢ / ٨٤، الكامل في التاريخ: ٩٣/٢، السيرة النبوية لابن كثير : ٢ / ١٥٩.

(٤) انظر كمال الدين وتمام النعمة: ٦٨، أمالي الصدوق: ٣٨٧، كفاية الأثر للخزاز القمّي: ٤٤، مسند أحمد: ٣٩٨/١، ٤٠٦، صحيح البخاري: ١٢٧/٨، صحيح مسلم: ٣/٦، سنن أبي داود: ٣٠٩/٢ وغيرها كثير.

(٥) ينابيع المودّة: ٣١٥/٢، ٢٩٠/٣ عن مودّة القربىٰ.

(٦) كفاية الأثر : ١٠٠، ١٨٢، ١٩٤، ١٩٩، المناقب: ٢٥٤/١.

الاثـني عشـر، بـعضه عـام وبـعضها خـاص، ومـن هـذه الروايات قـول رسـول‌الله (صلى الله عليه وآله): **«الأئـمة مـن بـعدي اثـناعشر، أوّلهـم عـليّ ورابـعهم عـليّ وثـامنهم علي ...»**[1].

وعلى ضوء ذلك فإنّ الإمامة تعيّن بالوصية، فكلّ إمام يوصي الى الإمام من بعده بعهد معهود من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتناقله كل إمام عن الإمام قبله .

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : **«أترون الأمر إلينا نضعه حيث نشاء ؟ !كلّا والله إنّه لعهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى رجل فرجل، حتى ينتهي الى صاحبه»**[2].

وفي خصوص تعيين الإمام الرضا (عليه السلام) إماماً للمسلمين، فإنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) قد نصَّ عليه تلميحاً وتصريحاً لخاصة أصحابه ليقوموا بدورهم في إثبات إمامته فـي الاُمّـة، ولم يـعلن عـن إمـامته أمـام المـلأ لأن ظـروف الملاحقة والمطاردة من قبل السلطة العباسيّة كانت تحول دون ذلك .

وقد تظافرت النصوص عـلى تـعيين الإمـام الكـاظم (عليه السلام) لابـنه الإمـام الرضا (عليه السلام) إماماً وقائماً بالأمر من بعده .

فعن نعيم بن قابوس قال : قال لي أبو الحسن (عليه السلام) : **«عليّ ابني أكبر ولدي وأسمعهم لقولي وأطوعهم لأمري، ينظر معي في كتابي الجفر والجامعة، وليس ينظر فيه إلّا نبي أو وصيّ نبي»**[3].

وقد صرّح (عليه السلام) بإمامته منذ نشأته الأُولىٰ، ففي رواية قال المـفضل بـن عمر للإمام الكاظم (عليه السلام) : «جعلت فداك لقد وقع في قـلبي لهـذا الغـلام مـن

---

(١) معارج اليقين في أُصول الدين: ٦٢، ولمعرفة الكثير من الروايات في ذلك انظر الكافي: ٥٢٦/١ وما بعدها، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٦٢/١، ٦٦،كفاية الأثر: ١٧، ٥٤، ينابيع المودّة: ٢٨١/٣.

(٢)كمال الدين وإتمام النعمة: ٢٢٢، وعنه في بحار الأنوار: ٧٠/٣٣.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٤٠ ونحوه في الكافي: ٣١١/١ ـ ٣١٢، الإرشاد: ٢٤٩/٢، وعن الكافي في الغيبة للطوسي: ٣٦ .

المودة ما لم يقع لأحد إلّا لك، فقال لي: **يا مفضل هو منّي بمنزلتي من أبي(عليه السلام) ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم،** قال: قلت : هو صاحب هذا الأمر من بعدك؟ قال: **نعم**»[1].

الوصية في المراحل الأُولىٰ (١٥٠ ـ ١٧٨ هـ):

في المراحل الأُولى من تصدّي الإمام الكاظم (عليه السلام) للإمامة نجده يوصي بإمامة ولده عليّ الرضا (عليه السلام) لخاصة أصحابه وللثقات الذين يحفظون الأسرار ولا يبوحون بها في المحافل العامة، وكان يصرّح أحياناً ويلمح أُخرى .

فعن داود بن رزين قال : «جئت الى أبي إبراهيم بمالٍ، فأخذ بعضه،وترك بعضه، فقلت: أصلحك الله، لأيّ شيء تركته عندي؟ قال: إنّ صاحب هذا الأمر يطلبه منك، فلما جاءنا نعيه، بعث إليّ أبو الحسن(عليه السلام) ابنه فسألني ذلك المال، فدفعته إليه»[2].

فالإمام في هذه الرواية لم يصرّح لداود باسم الإمام الموصىٰ إليه وإنّما جعل الأمر لولده الرضا (عليه السلام) ليؤكد له إمامته فيما بعد .

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يجمع بين التلميح والتصريح على إمامة الرضا (عليه السلام) في قول واحد لاختلاف المستويات الفكرية والعقلية في درجة التلقّي والإدراك .

فعن عليّ بن عبدالله الهاشمي قال : «كنّا عند القبر ـ أي قبر رسول‌الله(صلى الله عليه وآله) ـ نحو ستين رجلاً منّا ومن موالينا، إذ أقبل أبو إبراهيم موسى ابن جعفر (عليهما السلام) ويد عليّ ابنه في يده، فقال : **أتدرون من أنا ؟** قلنا : أنت سيّدنا

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٤٠، وعنه في بحار الأنوار: ٢٠/٤٩ .

(٢) الكافي: ٣١٣/١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٣٧/٢، الإرشاد: ٢٥١/٢ ـ ٢٥٢، وعن الكافي في إعلام الورى : ٤٧/٢، الغيبة للطوسي : ٣٩ .

وكبيرنا، فقال: **سمّوني وانسبوني**، فقلنا : أنت موسى بن جعفر بن محمّد، فقال : من هذا معي ؟ قلنا : هو عليّ بن موسى بن جعفر، قال : **فاشهدوا أنّه وكيلي في حياتي ووصيّي بعد موتي**»[١].

وهذا النصّ هو نص بالإمامة وهو في نفس الوقت قابل للتفسير الظاهري وهو الوصية العادية للأب الى الابن، جعله الإمام (عليه السلام) من الألفاظ المتشابهة بسبب سوء الأوضاع السياسية من إرهاب وملاحقة وكبت للحريّات .

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يعلن إمامة الرضا (عليه السلام) أمام بعض الافراد أحياناً، وأمام تجمع من أصحابه وأهل بيته أحياناً أُخرى تبعاً لمتطلّبات الظروف .

فعن داود بن كثير الرقي، قال : «قلت لموسى الكاظم (عليه السلام) جعلت فداك إنّي قد كبرت سنّي فخذ بيدي وأنقذني من النار، مَن صاحبنا بعدك؟ قال: فأشار الى ابنه أبي الحسن الرضا، فقال : **هذا صاحبكم من بعدي**»[٢].

وعن حيدر بن أيوب قال :كنّا بالمدينة في موضع يعرف بالقبا فيه محمّد بن زيد بن عليّ، فجاء بعد الوقت الذي كان يجيئنا فيه، فقلنا له: جعلنا الله فداك ما حبسك ؟ قال : دعانا أبو إبراهيم (عليه السلام) اليوم سبعة عشر رجلاً من ولد عليّ وفاطمة (عليهما السلام)، فأشهدَنا لعليّ ابنه بالوصية والوكالة في حياته وبعد موته، وأنّ أمره جايز عليه وله.

ثم وضّح محمّد بن زيد مقصود الإمام (عليه السلام) فقال : والله يا حيدر لقد عقد له الإمامة اليوم ...»[٣].

وكان يستعمل لتثبيت إمامته ألفاظاً واضحة لا تحتاج الى تأويل، فعن

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٣٦،كفاية الأثر: ٢٧٢، وعن العيون في بحار الأنوار: ١٥/٤٩.
(٢) انظر الرواية في الكافي: ٣١٢/١، الإرشاد: ٢٤٨/٢، الفصول المهمّة: ٩٦٧/٢، واللفظ للإرشاد.
(٣) عيون أخبار الرضا : ١ / ٣٧، وعنه في بحار الأنوار: ١٦/٤٩ ـ ١٧.

عبدالله بن الحارث وأُمّه من ولد جعفر بن أبي طالب أنّه قال : «بعث إلينا أبو إبراهيم (عليه السلام) فجمعنا ثم قال : **أتدرون لم جمعتكم ؟** قلنا : لا، قال : **أشهدوا أنّ عليّاً ابني هذا وصيي والقيّم بأمري وخليفتي من بعدي ... ومن لم يكن له بد من لقائي فلا يلقني إلّا بكتابه»**[1] .

هذا في اجتماعاته الخاصّة بينما كان لا يصرّح بذلك في التجمّعات العامة وإنّما يأتي بألفاظ متشابهة ويترك للمجتمعين حرية التأويل والتفسير لكلامه .

قال حسين بن بشير : «أقام لنا أبو الحسن موسى بن جعفر(عليهما السلام) ابنه عليّاً(عليه السلام) كما أقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) يوم غدير خم، فقال: **يا أهل المدينة** أو قال يا أهل المسجد **هذا وصيي من بعدي»**[2].

وفي رواية أُخرى قال عبدالرحمن بن الحجّاج : أوصى أبو الحسن موسى ابن جعفر(عليهما السلام) الى ابنه عليّ(عليه السلام)، وكتب له كتاباً أشهد فيه ستين رجلاً من وجوه أهل المدينة[3].

وفي سنة (١٧٨ هـ) أخبر محمّد بن سنان بوصيته بإمامة ابنه عليّ الرضا (عليه السلام)[4].

الوصية في مرحلة الاعتقال:

لقد اعتقل الإمام الكاظم (عليه السلام) في سنة (١٧٩ هـ) لعشر ليالٍ بقين من

---

(١) انظر الرواية في الكافي: ٣١٢/١، وفي عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٣٦/١، الإرشاد : ٢٥٠/٢ ، ٢٥١، وعن الكليني في الغيبة: ٣٧ ـ ٣٨، إعلام الورىٰ: ٤٥/٢.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ /٣٧، وعنه في بحار الأنوار: ١٧/٤٩.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٣٧، وعنه في بحار الأنوار: ١٧/٤٩.

(٤) انظر الكافي: ٣١٩/١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٤٠ ـ ٤١، الإرشاد: ٢٥٣/٢.

شوال، أي في اليوم العشرين من شوال سنة (١٧٩ هـ) على رواية[١]، وفي يوم (٢٧) رجب سنة (١٧٩ هـ) كما في رواية أُخرىٰ[٢].

وبعد خمسين يوماً من اعتقاله دخل إسحاق وعليّ ابنا عبدالله بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على عبدالرحمن بن أسلم وهو في مكة ومعهما كتاب الإمام الكاظم (عليه السلام) بخطه فيه حوائج قد أمر بها، فقالا : أمر بهذه الحوائج من هذا الوجه، فإن كان من أمره شيء فادفعه الى ابنه عليّ فإنه خليفته والقيّم بأمره[٣].

وفي طريقه (عليه السلام) الى سجن البصرة أرسل على عبدالله بن مرحوم فدفع إليه كتباً وأمره ان يوصلها الى ابنه عليّ وقال له : فإنّه وصيي والقيّم بأمري وخير بنيّ[٤].

ومن داخل سجن البصرة أرسل كتباً إلى أصحابه يوصي بها الىٰ ابنه الإمام الرضا (عليه السلام) :

فعن الحسين بن مختار قال : خرجت إلينا ألواح من أبي الحسن (عليه السلام) ـ وهو في الحبس ـ عهدي الى أكبر ولدي[٥].

في سنة (١٨٠ هـ) ـ بناءً على رواية بقاء الإمام سنة في البصرة ـ وصل الإمام الكاظم (عليه السلام) الى بغداد، فدخل عليه عليّ بن يقطين فوجد عنده عليّ الرضا (عليه السلام) فقال له : **«يا عليّ بن يقطين هذا عليّ سيّد ولدي، أما إني قد نحلته كنيتي»**.

وحينما حدّث هشام بن الحكم بذلك قال له هشام : أخبرَك أنّ الأمر فيه

---

(١) الكافي: ٤٧٦/١، وعنه في بحار الأنوار: ٢٠٦/٤٨.

(٢) إقبال الأعمال: ٢٧٦/٣، وعنه في بحار الأنوار: ٢٠٧/٤٨.

(٣) انظر عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٤٦، وعنه في بحار الأنوار: ٢٢/٤٩ .

(٤) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٣٦، وعنه في بحار الأنوار: ١٦/٤٩.

(٥) الكافي : ١ / ٣١٢، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٣٩/١، الإرشاد : ٢٥٠/٢ وعن الكافي في الغيبة للطوسي: ٣٦ ـ ٣٧، إعلام الورى: ٤٦/٢ .

من بعده[١].

وفي الفترة بين سنة (١٨١ هـ) وسنة (١٨٣ هـ) كتب من الحبس الى عليّ ابن يقطين: «**إنّ فلاناً ابني سيّد ولدي وقد نحلته كنيتي**»[٢].

إمامة الرضا (عليه السلام) وزمن الاعلان عنها:

إنّ الظروف التي عاشها الإمام الكاظم (عليه السلام) كانت تستدعي الكتمان والسرية في القرار والموقف السياسي وخصوصاً فيما يتعلق بالإمام من بعده لذا نرى أنه كان يتكتم في إعلان ذلك، ولكنه كان قد عيّن زمناً خاصاً للإمام الرضا (عليه السلام) لإعلان إمامته (عليه السلام).

فعن يزيد بن سليط الزيدي قال: «لقينا أبا عبدالله (عليه السلام) في طريق مكة ونحن جماعة، فقلت له: بأبي أنت وأُمّي أنتم الأئمة المطهرون والموت لا يعرى أحد منه، فأحدِث إليّ شيئاً ألقيه من يخلفني، فقال لي: **نعم هؤلاء ولدي وهذا سيّدهم** ـ وأشار الىٰ ابنه موسى (عليه السلام) ـ ... ثم لقيت أبا الحسن ـ يعني موسى بن جعفر(عليه السلام) ـ بعد، فقلت له: بأبي أنت وأُمّي أريد أن تخبرني بمثل ما أخبرني به أبوك، قال: فقال: **كان أبي في زمن ليس هذا مثله، ... إني خرجت من منزلي فأوصيت في الظاهر إلى بنيّ فاشركتهم مع ابني عليّ وأفردته بوصيتي في الباطن ... يا يزيد إنّها وديعة عندك، فلا تخبر بها إلّا عاقلاً أو عبداً امتحن الله قلبه للإيمان أو صادقاً ... وليس له أن يتكلم إلّا بعد هارون بأربع سنين، فإذا مضت أربع سنين فاسأله عمّا شئت يجيبك إن شاء الله تعالى**»[٣].

---

(١) الكافي: ١ / ٣١١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢١/١، الإرشاد: ٢/ ٢٤٩، وعن الكافي في الغيبة للطوسي: ٣٥.

(٢) الكافي: ١ / ٣١٣، يبدو أن الإبهام من الراوي في ظرف نقل الخبر باعتبار حراجة الظرف والمقصود به الإمام الرضا (عليه السلام) فالنص هكذا: إنّ علياً ابني سيّد ولدي.

(٣) انظر الكافي: ٣١٣/١ ـ ٣١٦، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٣٣ ـ ٣٥، وعن الكافي في إعلام الورى: ٤٧/٢ ـ ٥٠، واللفظ للعيون.



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام الرضا (عليه السلام) ومحنة أبيه الكاظم (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مظاهر الإنحراف في عصر الإمام الرضا (عليه السلام)

الفصل الثالث :

دور الإمام الرضا (عليه السلام) قبل ولاية العهد

الفَصلُ الأوّلُ

الإمام الرضا (عليه السلام) ومحنة أبيه الكاظم (عليه السلام)

أدرك هارون الرشيد عمق الارتباط بين الإمام الكاظم (عليه السلام) والمسلمين، ووجد أنّ القاعدة الشعبية للإمام (عليه السلام) تتوسّع بمرور الزمن، فما دام الإمام حيّاً فإنّ المسلمين يقارنون بين منهجين : منهج الإمام الكاظم (عليه السلام) ومنهج هارون، وبالمقارنة يشخّصون النهج السليم المستقيم عن النهج المنحرف .

ومن هنا أدرك خطورة بقاء الإمام (عليه السلام) حرّاً نشيطاً، فأخذ يخطط لسجنه، وتجميد نشاطه والمنع من تأثيره في المسلمين .

إضافة الى ذلك فإنّ مواجهة الإمام (عليه السلام) له في أكثر من موقف واعتراضه عليه أمر لا يمكن لشخصية مثل هارون أن يسكت عنه، كما لم يسكت الإمام على تصرفات هارون العدوانية على الأُمّة الإسلامية وشريعة سيّد المرسلين، وتجلت المعارضة والمواجهة في مواقف وممارسات لم يستطع هارون استيعابها، فحينما كان يقول له : خذ فدكاً، كان الإمام (عليه السلام) يمتنع، فلما ألحّ عليه قال: «**ما آخذها إلّا بحدودها**»، وقد حدّدها له بـ «عدن، وسمرقند، وإفريقية، وسيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية»، وقد وضّح الإمام (عليه السلام) بأنّ فدكاً هي الخلافة المغتصبة، وعند ذلك عزم على قتله[1].

---

(١) انظر ربيع الأبرار : ١ / ٣١٥ ـ ٣١٦، وعنه في تذكرة الخواص: ٤٦٦/٢، وفي المناقب: ٤٣٥/٣، عن أخبار الخلفاء واللفظ للتذكرة.

وسلّم هارون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند قبره قائلاً : السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمّ، فقال الإمام الكاظم (عليه السلام) : «**السلام عليك يا أبت**»، فقال هارون : هذا هو الفخر يا أبا الحسن. ثم لم يزل ذلك في نفسه حتىٰ استدعاه في سنة (١٧٩ هـ) وسجنه فأطال سجنه[1] ثم أفرج عنه بعد ذلك .

وأُدخل الإمام الكاظم (عليه السلام) على هارون مرّة، فقال له ما هذه الدار ؟ فقال (عليه السلام) : «**هذه دار الفاسقين**»[2].

وكثرت الوشايات ضد الإمام (عليه السلام) عند هارون تحرضه عليه وكانت منها وشاية يحيىٰ البرمكي حيث قال له : إنّ الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وإنّ له بيوت أموال[3].

فقام هارون باعتقال الإمام (عليه السلام) سنة (١٧٩ هـ) وبقي في سجن البصرة سنة كاملة كما تقدم .

وفي سنة (١٨٠ هـ) سجن ببغداد، ونقل من سجن الىٰ آخر حتى اغتاله أحد عملائه وهو في السجن .

وكان الإمام الرضا (عليه السلام) يزوره في السنين الأُولىٰ من سجنه كما هو المستفاد من رواية عليّ بن يقطين حول الوصية له[4].

وأمر الإمام الكاظم (عليه السلام) الإمام الرضا (عليه السلام) أن ينام على بابه في كل ليلة ماكان حيّاً الىٰ أن يأتيه خبره، فمكث على هذه الحالة أربع سنين، فلماكان ليلة من الليالي أبطأ عن فراشه ولم يأت فاستوحش العيال، فلماكان من الغد

---

(١) البداية والنهاية : ١٠ / ١٩٧، وانظر أصل القصّة في الإرشاد: ٢٣٤/٢، المناقب: ٤٣٤/٣، تاريخ بغداد: ٣٢/١٣، تهذيب الكمال: ٤٩/٢٩ ـ ٥٠ .

(٢) الاختصاص : ٢٦٢، تفسير العياشي: ٢٩/٢، وعنهما على التوالي في بحار الأنوار: ١٣٦/٦٩، ١٣٨/٤٨.

(٣) مقاتل الطالبيين : ٣٣٤، الغيبة: ٢٨، وعن الغيبة في بحار الأنوار: ٢٢٢/٤٨.

(٤) الكافي : ١ / ٣١١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٣١/١، الإرشاد: ٢٤٩/٢.

أتىٰ الدار ودخل الىٰ العيال وقصد الىٰ أُم أحمد زوجة أبيه، فقال لها : **هات التي أودعك أبي**، فصرخت وقالت : مات والله سيّدي، فكفّها وقال لهـا : **لا تكلمي بشيء ولا تظهريه، حتى يجيئ الخبر الىٰ الوالي**[1].

وقد أوصل محمّد بن الفضل الهاشمي خبر استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى الإمام الرضا (عليه السلام) بأمرٍ منه ودفع إليه بعض الودائع لإرسالها إليه.

وفي اليوم نفسه ذهب محمّد الىٰ البصرة ليبلّغ خبر استشهاد الإمام (عليه السلام) ثم تبعه الإمام الرضا (عليه السلام)بعد ثلاثة أيام مـن وصـوله، فأقـرّ له بـعض أهـل البصرة بالإمامة فرجع في نفس اليوم إلى المدينة.

ثم اتّجه الإمام الرضا (عليه السلام) إلى الكوفة والتـقى بأتـباع أبـيه ثـم عـاد إلى المدينة[2].

ولمّا شاع خبر رحـيل الإمـام الكـاظم (عليه السلام) فـي المـدينة اجـتمع أتـباع أهــل البـيت (عليهم السلام) عـلى بـاب أم أحـمد، واجـتمعوا مـع أحـمد ابـن الإمـام الكاظم(عليه السلام) فذهب بهم إلى أخيه الإمام الرضا (عليه السلام) فبايعوه على الإمامة[3].

ولم يتصدّ الإمام(عليه السلام) علناً لإمامة المسلمين، وإنّما كان الأمر سـرّياً ولم يعلن عنه إلّا بعد أربع سنين طبقاً لوصية أبيه.

وقد عاش الإمام الرضا (عليه السلام) محنة أبيه وانتقالاته من سـجن الى سـجن حتّى استشهاده ولم تكن الظروف مـلائمة، ولم تـوجد مـصلحة فـي إعـلان المعارضة، فبقي الإمام (عليه السلام) يتجرّع الألم ومرارة المحنة كاتماً أنفاسه مراعياً للظروف العصيبة التي تـمر بـالمسلمين عـموماً وبأتـباع أهـل البـيت(عليهم السلام) خصوصاً .

---

(١) انظر الكافي : ١ / ٣٨١ ـ ٣٨٢، وعنه في بحار الأنوار: ٢٤٦/٤٨.

(٢) الخرائج والجرائح : ٣٤١/١ وعنه في بحار الانوار : ٤٩ / ٧٣ .

(٣) المختار من تحفة العالم للسيد جعفر بحر العلوم، الملحق ببحار الأنوار : ٤٨ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

الإنفراج النسبي في عهد هارون:

لقد استشهد الإمام الكاظم مسموماً سنة (١٨٣ هـ)[١] وبإيعاز من هارون الرشيد، وكان هارون يخشىٰ تسرّب خبر السم والاغتيال الى المجتمع الإسلامي . من هنا خطط لتفادي ذلك، وذلك حين جمع القوّاد والكتّاب والقضاة وبني هاشم، ثم كشف عن وجه الإمام (عليه السلام) وقال : أترون أنّ به أثراً وما يدلّ على اغتيال ؟ قالوا: لا [٢].

وأدخل السندي بن شاهك الفقهاء ووجوه أهل بغداد، ليتفحصوا في جثمانه، فنظروا إليه ولا أثر به من جراح أو خنق، وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك، وأخرج الجثمان الطاهر ووضعه على الجسر ببغداد ونودي : هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه[٣].

وبقيت الهواجس محيطة بهارون، حيث كان يحتمل أن تنفجر الأوضاع متمثلة في حركة شعبية واسعة تهدّد سلطانه، لذا اتّخذ أُسلوب التخفيف من محاصرة الإمام الرضا (عليه السلام) وأهل بيته لامتصاص النقمة الشعبية وتقليل ردود الأفعال، ولم يتخذ أيّ إجراء متشدّد مع الإمام (عليه السلام)، ورفض الاستجابة لمن أراد منه قتله، كما نلاحظ في موقفه من عيسى بن جعفر حيث قال لهارون : أُذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب، فإنّك حلفت إنْ ادّعى أحد بعد موسى الإمامة ضربتَ عنقه صبراً، وهذا عليّ ابنه يدّعي هذا الأمر، ويُقال فيه ما يقال في أبيه، فنظر إليه مغضباً فقال : وما ترىٰ ؟! تريد أن

(١) الإرشاد: ٢٥١/٢، ٢٤٢، إعلام الورى: ٦/٢، ٣٣ ـ ٣٤، إثبات الوصيّة: ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤١٤ .

(٣) انظر الإرشاد: ٢٤٢/٢، الغيبة للطوسي: ٣١، إعلام الورى: ٣٤/٢، مقاتل الطالبيين: ٣٣٦، وعن الإرشاد في كشف الغمّة: ٢٧/٣.

أقتلهم كلهم ؟!(١).

وحينما حرّضه خالد بن يحيى البرمكي على قتل الإمام الرضا (عليه السلام) قال هارون : ما يكفينا ما صنعنا بأبيه، تريد أن نقتلهم جميعاً ؟!(٢).

إنّ موقف هارون هذا كان ناجماً عن رغبته في امتصاص النقمة الشعبية أوّلاً، ولم يلاحظ أيّ نشاط معارض لسلطانه من الإمام الرضا (عليه السلام) على الرغم من كثرة الجواسيس والوشايات وشدّة المراقبة له .

التصدّي للإمامة:

وفي الفترة الواقعة بين سنة (١٨٣ هـ) الى سنة (١٨٧ هـ) لم يعلن الإمام الرضا (عليه السلام) عن إمامته، ولم يظهر له أيّ تحرّك علني في المدينة من خطب أو لقاءات عامّة، ولم يسجّل عليه أي حضور في المحافل العامة .

وقد أدرك هارون من خلال أخبار عيونه أنه كان بعيداً عـن الأحـداث، وهذا ظاهر من الرواية التالية التي تقول :

«دخل أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) لسوق، فاشترىٰ كلباً وكبشاً وديكاً، فلما كتب صاحب الخبر إلى هارون بذلك، قال : قد أمنّا جانبه»(٣).

ولم يصدّق هارون الأخبار الواردة عن غير طريق عيونه السرّيّة، كالخبر الذي أورده أحد أحفاد الزبير بن العوّام على هارون من أنّه: قد فتح بابه ودعا الى نفسه ، فقال هارون عند وصول الخبر: واعجباً من هذا ! يكتب أنّ عليّ ابن موسى (عليه السلام) قد اشترى كلباً وكبشاً وديكاً، ويكتب فيه ما يكتب(٤).

---

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ٢٤٦، وعنه في بحار الأنوار: ١١٣/٤٩.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٤٦/٢، المناقب: ٤٧٨/٣، الفصول المهمّة : ٢٤٥، نور الأبصار: ٢٤٣.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ٢٢٢، وعنه في إعلام الورىٰ: ٦٠/٢، وعنه في كشف الغمّة: ١٠٩/٣.

(٤) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٢٢/٢، وعنه في إعلام الورىٰ: ٦١/٢، وعنه في كشف الغمّة: ١٠٩/٣.

فلم يلتفت إلى قول الزبيري، وترك الإمام الرضا (عليه السلام) وشأنه، الى أن مضت أربع سنين من استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) فقام الإمام الرضا (عليه السلام) بالأمر علناً عملاً بوصية من أبيه ـ كما تقدم ـ وكان ذلك في سنة (١٨٧ هـ) وهي السنة التي قام فيها هارون بقتل البرامكة، وكان لقتلهم دور كبير في خلخلة الأوضاع السياسة لأنّهم كانوا أركان الحكومة ومشيّدي صرحها، وبقتلهم انتهت أو خفّت الوشايات على الإمام الرضا (عليه السلام) لأنهم كانوا من أشدّ المحرِّضين على قتل أهل البيت (عليهم السلام)، وهذه الظروف ساعدت الإمام(عليه السلام) على التصدّي للإمامة، فقام بالأمر وهو مطمئن إلى عدم قدرة هارون على سجنه أو قتله، وقد حذّره بعض أنصاره من التصدّي للإمامة وقالوا : إنّك قد أظهرت أمراً عظيماً وإنّا نخاف عليك هذه الطاغية فقال(عليه السلام): «**ليجهد جهده فلا سبيل له عليّ**»[1].

وأجابهم في موقف آخر قائلاً: «**إنْ خُدشت خدشاً من قبل هارون فأنا كذّاب**»[2].

وتصدّي الإمام الرضا (عليه السلام) لا يعني المعارضة السياسية، فقد تصدّىٰ الإمام (عليه السلام) لمحاربة الأفكار والعقائد الهدّامة واهتم بنشر الفكر الإسلامي السليم في مجالي العقيدة والشريعة، وهذا الأمر لا يهمّ هارون مادام الإمام(عليه السلام) لا يعارض سلطانه .

ومما ساعد على هذا الانفراج النسبي هو انتقال هارون إلى الرّي سنة (١٨٩ هـ) ، ثم إلى خراسان سنة (١٩٢ هـ) ، ثم وفاته سنة (١٩٣ هـ)[3].

---

(١) الكافي: ٤٨٧/١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٤٦/٢، الإرشاد ٢: ٢٥٥، الفصول المهمّة: ٩٧٤/٢ ـ ٩٧٥، نور الأبصار: ٢٤٣.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ٢١٣، وعنه في بحار الأنوار: ١١٤/٤٩.

(٣) انظر التواريخ أعلاه في: الكامل في التاريخ: ١٩١/٦، ٢٠٧، ٢١١، البداية والنهاية: ٢١٧/١٠، ٢٢٤، ٢٣١.

الفصل الثاني

مظاهر الإنحراف في عصر الإمام الرضا (عليه السلام)

نستعرض في هذا الفصل مظاهر الإنحراف المختلفة في العهد العبّاسي وفي فترة حكومة هارون وابنه محمّد حتى قتله من قبل جيش أخيه المأمون سنة (١٩٨ هـ) وهي الفترة الواقعة بين سنة (١٨٣ هـ) و (١٩٨ هـ)، ثم نتبعه في فصل آخر ببيان دور الإمام الرضا(عليه السلام) لمعالجة أنواع الإنحراف في هذه الفترة.

الإنحراف الفكري:

لقد راجت التيارات الفكرية المنحرفة في عهد العبّاسيين، ووجدت لها أتباعاً وأنصاراً، وكثر الجدل والمراء وانشغلت الأُمّة بذلك، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على منهج الحكّام العبّاسيين في الترويج لها وتشجيع القائمين عليها؛ لاشغال الأُمّة عن الأحداث والمواقف التي يتخذونها في السياسة والاقتصاد والحياة العامة، و إبعادهم عن ما يثيرهم اتّخاذ الموقف المعارض للسياسات القائمة.

فعلى مستوى أصحاب الديانات نجد اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة وهكذا الملحدين والدهرية وباقي أصناف الزنادقة كان لهم مطلق الحرية في التعبير عن أفكارهم وعقائدهم.

وتعددت المذاهب الإسلامية بتعدد أربابها، وانتشرت الأفكار العقلية الصرفة والفلسفية المثالية، وكثر الجدل في الجبر والتفويض والإرجاء والتجسيم والتشبيه، وتحوّلت المذاهب السياسية الى مذاهب عقائدية. فالزيدية والإسماعيلية كانتا من الحركات والمذاهب السياسية التي تتبنى الجهاد المسلّح فتحوّلت الى مذاهب عقائدية وفكرية، وانتشرت الادّعاءات الباطلة والمُزيّفة ،كادّعاء النبوّة، وكادّعاء أحد الأفراد انه إبراهيم الخليل. ولولا تشجيع الحكّام ومنح الحرية للتيارات والمذاهب المنحرفة لما انتشرت ولما استشرت هذه المذاهب في أوساط المسلمين .

وكان الحكّام يفتعلون الآراء والنظريات أو يتبنونها لاشغال المسلمين بالجدال والنقاش وكثرة القيل والقال، وكانوا يعاقبون المخالفين لآرائهم المتبنّاة بالسجن والقتل على الرغم من عدم وجود تأثير واقعي لتلك الآراء، فقد شجّع هارون على القول بأنّ القرآن قديم، وقام بقتل من يخالف رأيه. فحينما سُئِل عن رجل مقتول بين يديه أجاب : قتلته لأنّه قال القرآن مخلوق[١].

وتغيَّرَ الرأي في عهد ابنه المأمون وناقض قرار والده والتزم بالقول بخلق القرآن وانه ليس قديماً ، وكان يمتحن العلماء في ذلك[٢].

وكان هارون يشجّع على الروايات والأحاديث الكاذبة المنسوبة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخصوصاً روايات واحاديث الخرافة ويعاقب كل من يعارض الترويج لهذه الروايات، ومن الامثلة على ذلك : انه دخل أبو معاوية الضرير على هارون وعنده رجل من وجوه قريش، فجرى الحديث الى ان

(١) البداية والنهاية : ١٠ / ٢٣٤ .

(٢) انظر تاريخ الطبري: ١٨٨/٧، ١٩٧، الكامل في التاريخ: ٤٠٨/٦ و٤٢٣، البداية والنهاية: ٢٨٩/١٠.

ذكر أبو معاوية حديث أبي هريرة المنسوب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنّ موسى لقيَ آدم فقال : أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنّة»، فقال القرشي : أين لقيَ آدم موسى؟! فغضب هارون، وقال : النطع والسيف ،زنديق والله! يطعن في حديث رسول الله»، فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول : منه بادرة، ولم يفهم يا أمير المؤمنين حتى سكّنه[1].

وكان هارون يشجّع ويكرّم العلماء الذين ينسجمون مع آرائه وأهوائه، في الوقت الذي كان يسجن العلماء العظام، والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ويحاصرهم. ومن تشجيعه في هذا المجال انه صبّ الماء على يد أبي معاوية، وقال له : تدري من يصبّ على يديك ؟ قال : لا، قال : أنا، قال أبو معاوية : أنت يا أمير المؤمنين، قال : نعم إجلالاً للعلم[2].

وكان هارون يشجّع الأفكار والآراء والأقوال التي تلبس حكمه لباساً مقدساً، فقد أنشده أحد الشعراء أربعة أبيات لقّب فيها هارون بأمين الله، فأمر له لكلّ بيت بألف دينار، وقال : لو زدتنا لزدناك[3]، فانساق الشعراء وراء الأموال وأخذوا يروّجون لقدسية الحكّام حتى قال أحدهم مادحاً هارون :

حب الخليفة حبّ لا يدين له ... عاصي الإله وشارٍ يلقح الفتنا[4]

وقال سَلْم الخاسر يمدح الأمين وهارون بأبيات منها:

قد بايع الثقلان مهديَّ الهدىٰ ... لمحمّد بن زُبيدة ابنة جعفر
قد وفق الله الخليفة إذ بنىٰ ... بيت الخلافة للهجان الأزهر

---

(١) انظر تاريخ بغداد : ٨/١٤، سير أعلام النبلاء: ٢٨٨/٩..
(٢) انظر تاريخ بغداد: ١٤ / ٩، سير أعلام النبلاء: ٢٨٨/٩.
(٣) مروج الذهب : ٣ / ٣٩٩ .
(٤) تاريخ الخلفاء : ٢٤٩، سمط النجوم العوالي: ٤٢٨/٣.

فأعطته زبيدة جوهراً باعه بعشرين ألف دينار[1].

ومن أجل إبعاد المسلمين عن نـهج أهـل البـيت (عليهم السلام) قـام العـباسيون بمحاصرة الفقهاء المؤيّدين لهم، وشجّعوا على نشوء التيارات الهدّامة، وهـذا واضح من خلال عدم ملاحقتهم لأتباعها وأنصارها.

فقد نشأ تيار الواقفة وتيار الغلاة، ولم يبادر العبّاسيون الى تطويقهما في بداية نشوئهما، سعياً منهم لتشويه منهج أهل البيت (عليهم السلام) وتفتيت كيانهم .

وقام المأمون بترجمة كتب الفلسفة من اليونانية الى العـربية[2] وبـطبيعة الحال تؤدّي الترجمة الى انتشار الأفكار والمصطلحات المنطقية والفـروض الذهنية البعيدة عن الواقع .

وفي عهدهم كثر الافتاء بالرأي، وتفسير القرآن بـالرأي، وراج القـياس الباطل القائم على أساس قياس حكم فرعي بحكم فـرعي آخـر، وأصـبحت الفتاوى تابعة لأهواء الحكّام وشهواتهم، فعن ابن المبارك أنّه قال : لما أفضت الخلافة الى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، إنّ أباك قد طاف بي، فشغف بها، فارسل الى أبي يوسف، فسأله :أعندك في هذا شيء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أوكلّما ادّعت أَمة شيئاً ينبغي أن تصدَّق؟ لا تصدّقها فإنّها ليست بمأمونة، قال ابن المبارك : فلم أدر ممن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يـتحرج عـن حـرمة أبـيه؟! أو مـن هـذه الأَمـة التـي رغـبت بـنفسها عـن أميرالمؤمنين؟! أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها؟! قال : اهتك حرمة أبيك،

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٤٩، وذكر ذلك الخطيب البغدادي إلّا أنّه ذكر البيت الأوّل وبيت آخر قبله، تاريخ بغداد: ١٣٩/٩، وكذا السمعاني في الأنساب: ٣٠٨/٢ ـ ٣٠٩.

(٢) انظر مآثر الانافة في معالم الخلافة : ١ / ٢٠٩ .

واقض شهوتك، وصيره في رقبتي[١].

وعن عبدالله بن يوسف قال : قال الرشيد لأبي يوسف : اني اشتريت جارية وأريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء، فهل عندك حيلة ؟ قال : نعم، تهبها لبعض ولدك، ثم تتزوّجها[٢].

وهكذا أصبح الفقهاء تبعاً للحكّام يفتون بما ينسجم مع أهوائهم ورغباتهم باستثناء الفقهاء من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ممن كانت لديهم شجاعة لمقارعة الظالمين فإنهم كانوا مطاردين وملاحقين من قبل الحكّام وأعوانهم .

ونشر فقهاء البلاط مفاهيم خاطئة عن الزهد ومفاهيم التصوّف المنحرف لإبعاد المسلمين عن التدخل في السياسة أو الإعتراض على مواقف الحكّام، فانتشر التصوّف وانزوى الكثير واعتزلوا الحياة، ولم يقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

التلاعب بأموال المسلمين :

خالف العبّاسيون أُسس النظام الاقتصادي الإسلامي التي تنصّ على أنّ الأموال هي وديعة عند الحاكم وليست ملكاً خاصاً له، وإنّ إنفاقها يجب أن يكون مقيداً بقيود شرعية، فكانوا يتصرّفون بالأموال حسب رغباتهم وشهواتهم، فكانوا ينفقونه لشراء الذمم من أجل تثبيت سلطانهم، وكانوا يعيشون أعلى درجات البذخ والترف، وكان للجواري والمغنين والمتملّقين نصيبٌ كبيرٌ في بيت المال، وقد جيء الى هارون بخراج عظيم وأموال طائلة

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٤٩ .
(٢) المصدر السابق.

من الموصل، فأمر بصرف المال الى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك وتحدّثوا به، فقال أبو العتاهية : أيدفع هذا المال الجليل الى امرأة، ولا تتعلق كفّي بشيء منه، ثم دخل على هارون فانشده ثلاثة أبيات، فأعطاه عشرين ألف درهم، وزاده الفضل بن الربيع خمسة الآف[1].

وأسمعه إبراهيم بن المهدي أُغنية فأمر له بألف ألف درهم[2].

واشترى هارون جارية بسبعين ألف درهم، واشترى لها جوهراً باثني عشر ألف دينار، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئاً إلّا اعطاها[3].

وفي مقابل ذلك نجد أن كثيراً من المسلمين كانوا يعيشون الفقر والحرمان، كما هو ظاهر من حوار رجلين من قريش مع هارون إذ قالا له: نهكتنا النوائب، وأجحفت بأموالنا المصائب[4].

وكان الترف والبذخ من نصيب الحكّام والمقربين لهم، من وزراء وولاة حتى بلغت أموال والي هارون على خراسان ثمانين ألف ألف[5].

وقد وصلت ملكية هارون حداً غير متصور فقد خلّف مائة ألف ألف دينار، ومن الأثاث والجوهر والورق والدواب ما قيمته مائة ألف ألف دينار، وخمسة وعشرون ألف دينار[6].

وسار أولاده على نهجه في البذخ والترف والتلاعب بأموال المسلمين، فقد بنى محمّد الأمين قبة اتخذ لها فراشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج

---

(١) انظر الأغاني : ٤ / ٣٠٥.

(٢) انظر الاغاني : ١٠ / ٣١١.

(٣) انظر الأغاني : ١٦ / ٤٩٧.

(٤) الأغاني : ١٦ / ٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٥) تاريخ الطبري : ٦ / ٥١٢، الكامل في التاريخ: ٢٠٤/٦، البداية والنهاية: ٢٢٢/٣.

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي: وفيات (١٩١ ـ ٢٠٠ هـ)، ص٤٢٩، تاريخ الخلفاء : ٢٤٩.

المنسوج بالذهب الأحمر وغير ذلك من أنواع الإبريسم ...[١].

وفي الوقت الذي يعيش فيه المسلمون أجواء الفقر والحرمان نجد الأمين يتلاعب بالأموال دون قيود، فقد صيدت له سمكة وهي صغيرة فقرّطها حلقتين من ذهب فيهما حبّتا درّ، وقيل ياقوت[٢]، وكان ينفق الأموال على لهوه وعلى جلسائه والخصيان[٣].

وأنفق المأمون في زواجه أموالاً طائلة لا حصر لها، وأمر بإعطاء خراج فارس وكور الأهواز الى والد زوجته يجبى إليه لمدة سنة[٤]، وكان بطانة والي بغداد في عهده ينهبون أموال الناس وممتلكاتهم ولا أحد يمنعهم من ذلك[٥].

الانحراف الأخلاقي:

لعبت أجواء الترف والرفاهية دوراً كبيراً في انتشار وتفشي الانحراف الأخلاقي، عند الحاكم ومؤسساته الحكومية وعند الأُمّة، فكان الحاكم يعيش مظاهر اللهو واللعب والانسياق وراء الشهوات، فهارون أوّل خليفة لعب بالصوالجة والكرة ورمي النشاب في البرجاس، وأوّل خليفة لعب الشطرنج من بني العبّاس[٦].

وكان يجري سباق الخيل فجاء في أحد الأيام فرسه سابقاً فأمر الشعراء

(١) مروج الذهب : ٣ / ٤٢٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٤٣٠ .

(٣) تاريخ الطبري: ١٠١/٧ ـ ١٠٢، الكامل في التاريخ : ٦ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٤) مروج الذهب : ٣ / ٤٤٣، وفيات الأعيان: ٢٨٨/١ ـ ٢٨٩، الوافي بالوفيات: ٢٠٠/١٠.

(٥) انظر تاريخ الطبري: ١٣٦/٧، الكامل في التاريخ: ٣٢٤/٦ ـ ٣٢٥.

(٦) انظر تاريخ الإسلام للذهبي: وفيات (٣٢١ ـ ٣٣٠ هـ): ج٢٤ ص١٩، تاريخ الخلفاء : ٢٤٩ .

أن يقولوا فيه شعراً فسبقهم أبو العتاهية، فأجزل صلته[١].

وبعض هذه الأُمور وإن كانت مباحة إلّا انها لا تليق بالحاكم الذي يحكم دولة إسلامية مترامية الأطراف، ومعرضة لمخاطر ومؤامرات من قبل أعداء الإسلام.

وكان مولعاً بالغناء، ومن اهتمامه وتشجيعه للغناء أن جعل للمغنين مراتب وطبقات[٢].

وكان ينفق الأموال والهدايا على المغنين ـ كما تقدّم ـ وكان مولعاً بحب ثلاث من الجواري المغنيات حتى انشد شعراً في ذلك قال فيه:

ملك الثلاث الغانيات عناني   وحللن من قلبي بكلِّ مكانِ
مالي تطاوعني البرية كلها   وأطيعهنَّ وهنَّ في عصياني
ما ذاك إلّا أنّ سلطان الهوى   وبه قوين أعزّ من سلطاني[٣]

وفي الوقت الذي يذهب آلاف الجنود ضحايا في الغزوات تجده لا يكترث من كثرة القتلى والمعوّقين وإنّما يؤلمه موت جارية من جواريه تسمى هيلانة، فيرثيها بأبيات شعر:

فلها تبكي البواكي   ولها تشجي المراثي
خلقت سقماً طويلاً   جعلت ذاك تراثي[٤]

وكان مدمناً على شرب الخمر وربما كان يتولّى بنفسه سقاية ندمائه[٥].

(١) انظر الأغاني: ٤ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٤٩.

(٣) انظر الأبيات بتفاوت يسير في الألفاظ في تاريخ بغداد: ١٢/٤، تاريخ دمشق: ٤٠٤/٨، الوافي بالوفيات: ٣٦٥/١٩، البداية والنهاية: ٢٣٨/١٠.

(٤) فوات الوفيات: ٢ / ٥٧١، الوافي بالوفيات: ١١٩/٢٧، مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٥) انظر الأغاني: ١٩٦/٥ ـ ١٩٧.

وكان من حبّه للضحك والفكاهة أن اختص بابن أبي مريم المدني، وكان لا يصبر عن فراقه ولا يملّ من محادثته، وبلغ من خاصته به أن بوّأه منزلاً في قصره، وخلطه بحريمه وبطانته ومواليه وغلمانه(١).

وكان لا يتحرّج من سماع الفاظ الفحش والبذاء في مجلسه، فحينما أهدى له العبّاس بن محمّد إناءً من خزف فيه مسك وعنبر وهبه هارون الى ابن أبي مريم، فتألم العبّاس وقال لابن أبي مريم : أُمه فاعلة أن دهن بها إلّا إسته، فضحك هارون، ثم وثب ابن أبي مريم، وأدخل يده في الإناء ثم دهن بها عورته وجميع جوارحه ثم أمر غلامه أن يذهب بما تبقى الى زوجته وأن يقول لها : ادهني بهذاحرك الى أن انصرف فأ... وهارون يضحك وهو يسمع ألفاظ الفحش، ولم يكتف بذلك وإنّما وهب لابن أبي مريم مائة ألف درهم(٢).

ولما وصل الأمين الى منصبه في رئاسة الحكومة طلب الخصيان وابتاعهم وغالى فيهم، فصيّرهم لخلوته ليله ونهاره ... وفرض لهم فرضاً، ثمّ وجّه الى جميع البلدان في طلب الملهّين، وضمّهم إليه، وأجرى عليهم الأرزاق، واحتجب عن أخويه وأهل بيته، واستخف بهم وبقوّاده، وقسم ما في بيوت الأموال وما بحضرته من الجواهر في خصيانه، وجلسائه، ومحدثيه، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته، ومواضع خلواته ولهوه ولعبه، وعمل خمس حرّاقات في دجلة على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس، وأنفق في عملها مالاً عظيماً(٣).

(١) تاريخ الطبري: ٥٣١/٦، وانظر نحو ذلك في الكامل في التاريخ: ٢١٧/٦، تاريخ الإسلام: وفيات (١٩١ ـ ٢٠٠ هـ)، ص١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٥٣١ ـ ٥٣٢ .

(٣) انظر تاريخ الطبري: ١٠١/٧ ـ ١٠٢، الكامل في التاريخ : ٦ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

وأمر أن يفرش له على دكان في ساحة مفتوحة، ففرش عليها أفخر الفراش، وهُيّئ من آنية الذهب والفضة والجواهر أمر عظيم، وأمر قيّمة جواريه أن تهيّئ له مائة جارية صانعة فتصعد إليه عشراً عشراً بأيديهن العيدان، يغنّين بصوت واحد ...[١].

وذكر الأمين عند الفضل بن سهل بخراسان فقال: كيف لا يستحل قتل محمّد وشاعره يقول في مجلسه:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر[٢]

وقال ابن الأثير واصفاً له: ولم نجد في سيرته ما يستحسن ذكره من حلم، أو معدلة، أو تجربة، حتى نذكرها[٣].

وتابع المأمون أباه وأخاه في اللهو واللعب وحب الغناء والطرب، قال إسحاق بن إبراهيم بن ميمون: وكان المأمون من أشغف خلق الله بالنساء، وأشدّهم ميلاً اليهنَّ واستهتاراً بهنَّ[٤].

وكان يشرب الشراب مع ندمائه فيأخذ الشراب منهم مأخذاً[٥].

وذكر المؤرّخون أنّ المأمون كان يشرب النبيذ[٦].

وكان يسهر الليالي مع الجواري والمغنين في شراب وغناء حتى

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ١٠٥/٧، الكامل في التاريخ: ٦ / ٢٩٥.
(٢) انظر تاريخ الطبري: ١٠٩/٧، الكامل في التاريخ: ٦ / ٢٩٥، واللفظ للأخير.
(٣) الكامل في التاريخ: ٦ / ٢٩٥.
(٤) العقد الفريد: ٨ / ١٥٦.
(٥) انظر تاريخ الطبري: ٢١٩/٧، الكامل في التاريخ: ٦ / ٤٣٧.
(٦) انظر تاريخ الطبري: ١٥٧/٧، الكامل في التاريخ: ٣٦٠/٦، الوافي بالوفيات: ٣٥٣/١٧، تاريخ الخلفاء: ٢٧٥، وذكر أنّ الصولي أخرج ذلك من طرق عدّة.

الصباح، ففي ليلة من الليالي كان محمّد بن حامد واقفاً على رأس المأمون وهو يشرب، فاندفعت عريب فغنّت ... فأنكر المأمون أن لا تكون ابتدأت بشيء ... فقال محمّد بن حامد: أنا يا سيّدي أومأت إليها بقبلة ... فقال المأمون: ... لقد زوجت محمّد بن حامد عريب مولاتي، ومهرتها عنه أربعمائة درهم... فلم تزل تغنّيه الى السحر وابن حامد على الباب[١].

ومن مصاديق الإنحراف الأخلاقي أن أحد قضاة الأمين ثم المأمون كان يمارس اللواط حتى اشتهر به، فاشتكى المسلمون الى المأمون منه فأجابهم: لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم، وبعد ازدياد الشكاوىٰ عليه عزله، ثم أصبح فيما بعد من ندمائه ورخّص له في أُمور كثيرة[٢].

وكان الانحراف واضحاً لدى المقربين من الحكّام، ففي بداية عهد المأمون كان بعض الجنود والشرطة في بغداد والكرخ يجهرون بالفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق وكانوا يجتمعون فيأتون القرى ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك، لا سلطان يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم، لأنّ السلطان كان يعتزّ بهم، وكانوا بطانته[٣].

الانحراف السياسي:

١ ـ الأوضاع السياسية في عهد هارون

عاصر الإمام الرضا (عليه السلام) في مرحلة إمامته حكومة هارون عشر سنين

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٧٥، وانظر القصّة مختصراً مع بعض الاختلاف في الأغاني: ٤٩/٢١ و٥٠ ـ ٥١.
(٢) مروج الذهب: ٤ / ٢٦ ـ ٢٧، وانظر بعض ممّا ورد في هذا القاضي في وفيّات الأعيان: ١٥٢/٦ ـ ١٥٥.
(٣) انظر تاريخ الطبري: ١ / ١٣٦، الكامل في التاريخ: ٣٢٤/٦ ـ ٣٢٥.

من سنة (١٨٣ هـ) الى سنة (١٩٣ هـ)، ولم تختلف سياسة هارون عن سياسة من سبقه من الحكّام، ولا عن سياسته السابقة في مرحلة الإمام الكـاظم (عليه السلام) إلّا أنّه لم يتعرض تعرضاً مباشراً للإمام الرضا (عليه السلام) ؛ لأنّ الظروف والأوضاع السياسية لم تساعده على ذلك، فاغتيال الإمـام الكـاظم (عليه السلام) مسـموماً لا زال يثير هـواجسـه خـوفاً مـن ردود فـعل الحـركات المسـلّحة المـرتبطة بأهـل البيت(عليهم السلام)، ولذا نجده في بداية استشهاد الإمام (عليه السلام) أحضر القوّاد والكتّاب والهاشميين والقضاة، ثم كشف عن وجهه، وقال : أترَوْن به اثـراً ومـا يـدل على اغتيال ؟[1].

ولهذا لم يقدم على اتّخاذ نفس الأُسلوب مع الإمام الرضا (عليه السلام) ورفـض الاستجابة لمن حرّضه على قتله ـ كـما تـقدّم ـ وإضـافة الى ذلك فـإنّ الإمـام الرضا (عليه السلام) اتّخذ أُسلوباً واعياً في التـحرك السـياسي، ولم يـعط لهـارون أيّ مبرّر للتخوف من تحركه، على أنّ أغلب الرسائل التي رفعت إليه لم تتطرق الى نشاط سياسي ملحوظ للإمام الرضا (عليه السلام).

إذن كان حكم هارون أكثر هدوءً وسلاماً مع الإمام الرضا(عليه السلام)، وإن كان قد اتّسم بالمظاهر التالية:

أوّلاً : الإرهاب

إنّ وصول هارون للحكم كغيره من بني أُمية وبني العبّاس لم يكن بنصّ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا باختيار من المسلمين، ولم يختاره أهل الحل والعقد طبقاً للنظريات السائدة آنذاك . وإنّما وصل عن طريق العـهد والاسـتخلاف

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤١٤، وانظر نحو ذلك في الإرشاد: ٢/٢٤٢، مقاتل الطالبيين: ٣٣٦.

من قِبَل من سبقه، وهذا الشعور دفعه للتشبث بالحكم بأيّ أُسلوب أمكن، ولهذا استخدم الإرهاب الى جانب الإغراء في تثبيت حكمه، فلم يسمح لأيّ معارضة وإن كانت سلمية كما لم يسمح لأيّ نصح أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، ففي أحد خطبه قام إليه رجل فقال: ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[١]، فأمر بضربه مائة سوط[٢].

وفي سنة (١٨٨ هـ) أخذ هارون أحد المقرّبين الى أحمد بن عيسى العلوي، وضربه حتى مات ـ على الرغم من تجاوزه التسعين من عمره ـ لأنه لم يعلمه بمكان العلوي[٣].

وطارد هارون يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، ثم آمنه، وحينما حمل إليه، سجنه وبقي في السجن الى أن مات فيه[٤]، وقيل إنّ الموكل به منعه من الطعام أيّاماً فمات جوعاً[٥].

وفي عهده قتل حميد بن قحطبة الطائي ستين علوياً ورماهم في البئر بأمر من هارون حينما كان بطوس[٦].

وعلى الرغم من ممارساته للارهاب وقتله للعلويين إلّا أنّه لم يقدم على قتل الإمام (عليه السلام)، وإنّما كان يكتفي بالتهديد أو التخطيط لقتله دون تنفيذ، ففي أحد المواقف قال: لأخرجنّ العام الى مكة ولآخذنّ عليّ

---

(١) سورة الصف (٦١): ٣.

(٢) العقد الفريد: ١ / ٥١.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٢٣، الأغاني: ٣٢٢/٤ ـ ٣٢٣، وذكر ابن خلّكان أنّ ذلك جرىٰ في زمن المهدي وأنّ الرجل المقتول كان مقرّباً لعيسىٰ بن زيد العلوي (وفيّات الأعيان: ٢٢٥/١)، ورجّح أبو الفرج في المقاتل هذا أيضاً (مقاتل الطالبيين: ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٤) انظر تاريخ الطبري: ٤٤٩/٦ ـ ٤٥٤، الكامل في التاريخ: ١٢٥/٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٠٨.

(٦) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ١٠٠ ـ ١٠١، وعنه في بحار الأنوار: ١٧٦/٤٨ ـ ١٧٨.

ابن موسى ولأردنّه حياض أبيه، وحينما وصل الخبر الى الإمام (عليه السلام) قال : **«ليس عليّ منه بأس»**[١].

وحينما طلبه هارون للمثول أمامه قال (عليه السلام) لمن معه : **«انّه لا يدعوني في هذا الوقت إلّا لداهية، والله لا يمكنه أن يعمل بي شيئاً أكرهه»** ولما دخل على هارون أكرمه وطلب منه أن يكتب حوائج أهله، وحينما خرج (عليه السلام) قال هارون : أردت وأراد الله وما أراد الله خير[٢].

وبقي الإمام (عليه السلام) تحت رقابة شديدة من قبل عيون وجواسيس هارون، وكانوا ينقلون له كل ما يقوله، وكل ما يفعله، ويحصون عليه لقاءاته وزياراته، إلّا أنّه كان شديد الحذر من أجل أن يأمن هارون جانبه .

ثانياً : الاستبداد

لقد استبد هارون بالحكم وجعله موروثاً لأولاده الثلاثة من بعده، واختار ابنه محمّد بن زبيدة إرضاءً لها على الرغم من اعترافه بعدم أهلية محمّد للخلافة، حيث اعترف بذلك قائلاً : وقد قدمت محمّداً ... وأني لأعلم أنّه منقاد الى هواه مبذر لما حوته يداه، يشارك في رأيه الاماء والنساء، ولولا اُمّ جعفر ـ يعني زبيدة ـ وميل بني هاشم إليه لقدمت عبدالله عليه[٣].

فاختار ابن زبيدة لهواها فيه، ولم يكترث ممّا سيحل بالمسلمين من كوارث جراء التنافس بين ولديه الذي ذهب ضحيته آلاف المسلمين في قتال

(١) إثبات الوصية : ٢٠٥.

(٢) انظر مهج الدعوات: ٥٠ ـ ٥١، وعنه في بحار الأنوار: ١١٦/٤٩.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: حوادث ووفيات (٢١١ ـ ٢٢٠ هـ)، ص٢٣٢، تاريخ الخلفاء: ٢٦٨، تاريخ الخميس: ٣٣٤/٢.

دموي وإنفاق لأموال المسلمين في ذلك القتال .

ومن مظاهر الاستبداد هو إسناد المناصب الحكومية والعسكرية الى أقربائه وخواصّه والمتملّقين إليه دون النظر الى مؤهلاتهم الدينية والخلقية والإدارية .

ثالثاً : الأخطار الخارجية

كانت الدولة والحكومة محاطة بمخاطر خارجية ففي بداية عهد الإمام الرضا (عليه السلام) أوقع الخزر بالمسلمين وقعة شديدة الوطأة، قتل فيها الآلاف وأُسر فيها من النساء والرجال أكثر من مائة ألف، وجرى على الإسلام أمر عظيم لم يسمع قبله بمثله أبداً كما يذكر المؤرخون[١].

وكان الروم يتحيّنون الفرص للوثوب على المسلمين، وكانوا ينقضون الصلح بين فترة واُخرى، ولا يرجعون إليه إلّا بمعارك طاحنة، وكان الغزو غير قائم على أُسس نشر الإسلام وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، وإنّما الدافع إليه هوى الحاكم ورغبته في السيطرة على أكبر مساحة وأكثر عدد من الناس، إضافة الى اشغال المسلمين وإبعادهم عن السياسة والمعارضة،وسلوك هارون خير شاهد على هذه الحقيقة، فالحريص على الإسلام والمسلمين لا ينشغل بالجواري والأُمسيات الفكاهية، ولا ينشغل بالترف والملذات .

رابعاً : إختلال الجبهة الداخلية

بسبب السياسات الخاطئة التي مارسها هارون في مرحلة حكمه، ظهر

(١) انظر تاريخ الطبري: ٤٧١/٦، الكامل في التاريخ: ١٦٣/٦، تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة (١٨١، ١٩٠) : ١١ ـ ١٢.

الخلل والاضطراب في الجبهة الداخلية، ففي سنة (١٨٤ هـ) خرج أبـو عـمرو حمزة الشاري، واستمر في خروجه الى سنة (١٨٥ هـ)، وقمع هارون حركته بعد مقتل عشرة آلاف من أنصاره والخارجين معه .

وفي نفس السنة قتل أهل طبرستان والي هارون .

وفي السنة نفسها خرج أبـو الخـصيب للـمرّة الثـانية وسـيطر عـلى نسـا وأبيورد وطوس ونيسابور وزحف الى مرو وسرخس وقوي أمره، ولم تـنته حركته إلّا بمقتل الآلاف من الطرفين سنة (١٨٦ هـ)[١].

وتوسع الخلل في الجبهة الداخلية سنة (١٨٧ هـ) حينما قام هارون بقتل البرامكة[٢] وهم أركان الحكم والمشيدون له، وقـدكـان لهـم دوركـبير فـي القضاء على خصوم العبّاسيين ومخالفيهم .

وفي السنة نفسها سجن هارونُ عبدالملك بن صالح بـن عـليّ العـبّاسي، لسعي ابنه به وادعائه بأنّه يطلب الخلافة[٣].

وقتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك لطلبه بثأر البرامكة[٤].

وفي سنة (١٨٩ هـ) توجه هارون الى الري بعد ما وصلته الأخبار بأنّ عليّ بن عيسى بن ماهان ـ والي خراسان ـ قد أجمع على خلافه، إضافة الى القطيعة بينه وبين أهل خراسان، وعاد بعد أربعة أشهر الى بغداد دون أن يعزله[٥].

وكان هارون كثير العزل والاقصاء لقادة الاجهزة الحسّاسة في الحكومة،

(١) انظر الأحداث أعلاه في: تاريخ الطبري: ٤٧٢/٦ ـ ٤٧٣، الكامل في التاريخ: ١٦٨/٦ ـ ١٧٢.

(٢) انظر تاريخ الطبري: ٤٨٤/٦، الكامل في التاريخ: ١٧٤/٦، البداية والنهاية: ٢٠٤/١٠.

(٣) انظر تاريخ الطبري: ٤٩٦/٦ ـ ٤٩٧، الكامل في التاريخ : ٦ / ١٨٠، البداية والنهاية: ٢٠٩/١٠.

(٤) انظر تاريخ الطبري: ٣٠٥/٦، الكـامل فـي التـاريخ : ٦ / ١٨٦، تـاريخ الإسـلام للـذهبي: وفـيّات (١٨١ ـ ١٩٠هـ)، ص٣٦.

(٥) انظر تاريخ الطبري: ٥٠٥/٦ ـ ٥٠٧، الكامل في التاريخ : ٦ / ١٩١ .

فمنصب قائد الشرطة قد تناوب عليه ستة أشخاص يعزل أحدهم ويستبدله بثانٍ وهكذا[١].

والسياسة الخاطئة أدّت الى ضعف العلاقة بين هارون والأُمّة، والتي وصلت الى حد الكراهية والبغضاء، فعند مرور هارون على فضيل بن عياض بمكة قال فضيل : الناس يكرهون هذا[٢].

وخلاصة القول إنّ الأوضاع السياسية التي كان يمرّ بها حكم هارون جعلته يستثني قتل الإمام الرضا (عليه السلام) لقرب العهد بمقتل والده مسجوناً، إضافة الى أنّ عهد الإمام كان خالياً من الثورات العلوية التي قد تنسب مسؤوليتها الى الإمام (عليه السلام) لو كانت قائمة .

وكان دور الإمام (عليه السلام) في هذه المرحلة هو الإصلاح الهادئ لجميع الأوضاع، ومن أعماله القيام بتوضيح المفاهيم السياسية السليمة دون إعلان المعارضة الصريحة .

٢ ـ الأوضاع السياسية في عهد محمّد (الأمين)

عاصر الإمام (عليه السلام) حكومة محمّد بن هارون خمس سنين، من سنة (١٩٣ هـ) الى سنة (١٩٨ هـ)، وفي هذه المرحلة لم تظهر من محمّد بن هارون أي مبادرة إرهابية باتجاه الإمام (عليه السلام) وباتجاه أهل البيت عموماً، فلم يهدّد بقتله وقتل بقية العلويين، ولم يذكر لنا التاريخ تصريحاً منه بالتفكير في ذلك، ولعلّ الظروف والأوضاع التي أحاطت به لم تساعده على ذلك، ففي بداية حكومته بدأ الخلاف بينه وبين أخيه عبدالله المأمون، وانقسمت الدولة

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٢٩ .

(٢) تاريخ بغداد : ١٤ / ١٢، سير أعلام النبلاء: ٢٨٩/٩.

الإسلامية في الحكم الى قسمين، فلكل منهما أنصار وأتباع ومصادر قوة من أموال وسلاح .

وفي سنة (١٩٤ هـ) تمرّد أهل حمص على الحكومة العبّاسية فقام قائد جيش محمّد الأمين بقتل وجوه أهالي حمص وسجن أهاليها والقاء النار في نواحيها، ولم ينته التمرّد إلّا بعد مزيد من القتلىٰ والخراب الاقتصادي .

وفي السنة نفسها أمر الأمين بالدعاء على المنابر لابنه موسى بولاية العهد من بعده، ثم أمر أخاه المأمون أن يقدم ابنه موسى عليه فرفض .

وفي سنة (١٩٥ هـ) أرسل جيشاً الى خراسان لقتال أخيه المأمون ولكن مني جيشه بالهزيمة، واستمر بإرسال الجيوش تباعاً الى سنة (١٩٧ هـ) ولم تفلح جيوشه بالسيطرة على خراسان بل عادت متقهقرة، ولاحقتها جيوش المأمون إلى أن حاصرت بغداد حصاراً شديداً دام سنة كاملة .

وفي سنة (١٩٨ هـ) سيطرت جيوش المأمون على بغداد بعد قتالٍ دامٍ ذهب ضحيته آلاف الأنفس من الطرفين، وقُتِل الأمين ومَن بقي معه من أصحابه، وأصبح المأمون هوالحاكم الوحيدالذي لاينازعه منازع بعد مقتل أخيه[1].

وهذه الظروف أدّت إلى عدم توفر فرصة لملاحقة الإمام الرضا (عليه السلام) وغيره من العلويين. وبطبيعة الحال،كان الإمام (عليه السلام) يستثمر هذه الظروف لإصلاح ما أمكن إصلاحه ممّا فسد في المجتمع الإسلامي والقيام بتوسيع القاعدة الشعبية الشيعية، ونشر المفاهيم والأفكار السليمة. وكان العلويون يقومون بإعادة بناء تنظيماتهم العسكرية، والإعداد لمرحلة مقبلة تبعاً للظروف التي تمر بها الحكومة والأُمّة الإسلامية معاً .

(١) انظر الأحداث أعلاه في تاريخ الطبري: ٥٤٤/٦، ٥٥٢، ٣/٧، ٤٩ ـ ٧٦، الكامل في التاريخ : ٦ / ٢٢٢ ـ ٢٨٢ .

الفصل الثالث

دور الإمام الرضا (عليه السلام) قبل ولاية العهد

لقد كان الإمام (عليه السلام) محطّ أنظار الفقهاء ومهوى أفئدة طلّاب العلم، ويشهد لذلك قوله (عليه السلام) : **«كنت أجلس في الروضة، والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعيى الواحد منهم عن مسألة أشاروا عليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ بالمسائل فأجبت عنها»**[1].

وكان (عليه السلام) يأمر أتباعه بمداراة عقول الناس وعدم تحميلها ما لا تطيق من أفكار وعقائد، فقد قال لمحمّد بن عبيد : **«قل للعبّاسي : يكفّ عن الكلام في التوحيد وغيره، ويكلم الناس بما يعرفون، ويكفّ عمّا ينكرون»**[2].

الإصلاح الفكري والديني:

وضّح الإمام (عليه السلام) حقيقة التآمر الفكري في بلبلة عقول المسلمين، وأعطى قاعدة كلية في الأساليب والممارسات التي يستخدمها أعداء الإسلام لتشويه الأفكار والمفاهيم الإسلامية فقال (عليه السلام) : **«انّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام أحدها : الغلو، وثانيها : التقصير في أمرنا، وثالثها : التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم الى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم؛ ثلبونا**

(١) إعلام الورى : ٦٤/٢ وعنه في كشف الغمّة: ١١١/٣ وفي بحار الأنوار : ١٠٠/٤٩ .

(٢) التوحيد : ٩٥، وعنه في بحار الأنوار: ٦٩/٢، ٢٢١/٣.

بأسمائنا ...»[١].

واتّخذ الإمام (عليه السلام) عدّة أساليب في مجال الإصلاح الفكري وإليك إيضاحها:

أوّلاً: الرد على الانحرافات الفكرية

قام الإمام (عليه السلام) بالرد على جميع ألوان الانحراف الفكري من أجل كسر الاُلفة بين المنحرفين وبينها، وكان يستهدف الأفكار والأقوال تارة، كما يستهدف الواضعين لها والمتأثرين بها تارة اُخرى .

ففي ردّه على المشبّهة قال(عليه السلام) : «**إلهي بدت قدرتك ولم تبد واهية فجهلوك، وقدروك والتقدير على غير ما به وصفوك وإنّي بريء يا إلٰهي من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء**»[٢].

وفي ردّه على المجبرة والمفوضة قال (عليه السلام) : «**من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر، ومن زعم أنّ الله عزّوجلّ فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه(عليهم السلام)، فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك**»[٣].

وله ردود عديدة على الغلاة والمجسّمة وأصحاب التفسير بالرأي والقياس، كما أنّ له ردوداً على الفرق غير الإسلامية كالزنادقة واليهود والنصارى وغيرهم .

وفنّد الإمام (عليه السلام) جميع الروايات التي يعتمد عليها المنحرفون، ووضّح

---

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٢٧٢، بشارة المصطفى: ٣٤٠، وعن العيون في بحار الأنوار: ٢٦/٢٣٩.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ١٠٧، التوحيد: ١٢٤ ـ ١٢٥، وفيه (ولم تبدِ هيئة فجهلوك)، وكذا في الأمالي: ٧٠٧.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ١١٤، الاحتجاج: ٢/١٩٨، الفصول المهمّة: ١/٢٣٩.

بطلان صدورها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأرشد المسلمين الى الروايات الصحيحة، ففي رده على الرواية المفتعلة والمنسوبة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي جاء فيها: «إنّ الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة جمعة الى السماء الدنيا»، قال (عليه السلام): **«لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله كذلك، إنّما قال: انّ الله تعالى ينزل ملكاً الى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الاخير، وليلة الجمعة في أوّل الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له ... حدثني بذلك أبي عن جدي عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)»**[1].

كما دعا الإمام الرضا (عليه السلام) الى مقاطعة المنحرفين كالمجبّرة والمفوّضة والغلاة مقاطعة كلية لمنع تأثيرهم في الأُمّة، وأسند هذه الأوامر الى أجداده (عليهم السلام) تارة وإليه ابتداءً تارة أُخرى.

قال (عليه السلام): **«حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد (عليهما السلام)، أنّه قال: من زعم أنّ الله تعالى يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون، فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلّوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً»**[2].

وقال (عليه السلام) عن مقاطعة الغلاة والمفوّضة: **«الغلاة كفّار والمفوّضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم، أو شاربهم، أو واصلهم، أو زوّجهم، أو تزوّج منهم، أو آمنهم، أو إئتمنهم على أمانة أو صدّق حديثهم، أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عزّوجلّ وولاية رسول الله (صلى الله عليه وآله) وولايتنا أهل البيت»**[3].

بل أمر بمقاطعة جميع أصناف الغلاة فقال (عليه السلام): **«لعن الله الغلاة ألا كانوا**

---

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ١١٦، التوحيد: ١٧٦، الاحتجاج: ١٩٢/٢ ـ ١٩٣.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ١١٣، الاحتجاج: ١٩٧/٢، وقد اختلفت نسخ الاحتجاج في أسناد الرواية، فبعض النسخ وقفت على الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) وبعضها استمرت بالسند الى الإمام عليّ(عليه السلام)، والأمر سهل.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ٢١٩، وعنه في بحار الأنوار: ٢٧٣/٢٥، ٣٢٨.

يهوداً، ألاكانوا مجوساً، ألاكانوا نصارى، ألاكانوا قدريّة، الاكانوا مرجئة، الاكانوا حرورية... لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم، وابرؤوا منهم برئ الله منهم»[1].

وأمّا موقفه(عليه السلام) من الواقفة فيمكن تلخيصه بما يلي:

بعد أن استشهد الإمام الكاظم (عليه السلام) طالب الإمام الرضا (عليه السلام) جماعة من وكلائه بإرسال المال الذي كان بحوزتهم إليه، ولكنهم طمعوا به، فأنكر بعضهم ما بحوزته من المال، وأجاب الآخر: إنّ أباك صلوات الله عليه لم يمت وهو حي قائم، ومن ذكر أنّه مات فهو مبطل[2].

واستطاع هؤلاء ان يستميلوا بعض الناس لترويج فكرة أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يمت وأنّه القائم المنتظر.

وكان دور الإمام (عليه السلام) هو إثبات موت أبيه في المرحلة الأُولى من مواجهة هذه الأفكار الهدّامة.

واستمر في مواجهتهم بشتىٰ الأساليب، وكانت الحكومة آنذاك تشجع مثل هذه الأفكار الهدّامة لتفتيت التآزر والتآلف بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام). وماكان من الإمام (عليه السلام) إلّا أن يعلن المواجهة مع الواقفة للقضاء عليهم، فقد لعنهم أمام أصحابه فقال (عليه السلام): **«لعنهم الله ما أشدّ كذبهم»**[3].

وأمر بعدم مجالستهم تحجيماً لأفكارهم ومدّعياتهم، فقال لمحمّد بن عاصم: **«بلغني أنّك تجالس الواقفة ؟»** قال: نعم، جعلت فداك أُجالسهم وأنا مخالف لهم، قال: **«لا تجالسهم»**[4].

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ٢١٨ ـ ٢١٩، وعنه في بحار الأنوار: ٢٧٣/٢٥.

(٢) الغيبة للطوسي: ٦٥ ح ٦٧ وعنه في بحار الانوار: ٤٨ / ٢٥٣.

(٣) رجال الكشي: ٧٥٩/٢ ح٨٦٨، وعنه في جامع الرواة: ٥٤٦/٢ وعنه أيضاً في بحار الأنوار: ٢٦٥/٤٨.

(٤) رجال الكشي: ٧٥٧/٢ ـ ٧٥٨ ح ٨٦٤، وعنه في جامع الرواة: ٥٤٦/٢، وعنه في بحار الأنوار: ٢٦٤/٤٨.

وقال (عليه السلام) فيمن سأله عن الواقفة: «**الواقف حائد عن الحقّ ومقيم على سيئة إن مات بها كانت جهنّم مأواه وبئس المصير**»(١).

وأمر بمنع الزكاة عنهم فعن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) أُعطي هؤلاء الذين يزعمون أنّ أباك حيّ من الزكاة شيئاً؟ قال: «**لا تعطهم فإنّهم كفار مشركون زنادقة**»(٢).

وبذلك استطاع تحجيم دورهم وايقاف حركتهم داخل كيان أنصار أهل البيت (عليهم السلام)، ولم تنتشر أفكارهم إلّا عند أصحاب المطامع والأهواء.

ثانياً: نشر الأفكار السليمة

ابتدأ الإمام (عليه السلام) بالرد على الأفكار المنحرفة ثم أمر بمقاطعة واضعيها والقائلين بها والمتأثرين بها؛ لتطويقها في مهدها والحيلولة دون استشرائها في الواقع، ثم عمل على نشر الأفكار السليمة لتتم المحاصرة من جميع الجوانب.

فكان (عليه السلام) يقوم بتفسير الآيات القرآنية التي تتناول أُصول وقواعد العقيدة والشريعة، ويهتمّ بنشر الأحاديث الشريفة عن آبائه وعن رسول‌الله (صلى الله عليه وآله) لكي تكون هي الحاكمة على أفكار وتصورات المسلمين.

وكان يستثمر جميع الفرص المتاحة لتبيان الفكر السليم والمفاهيم الشرعية الصحيحة.

ففي مجال التوحيد قال (عليه السلام): «**حسبنا شهادة أن لا إله إلّا الله أحداً صمداً لم يتخذ**

(١) رجال الكشي: ٢/٧٥٦ ح ٨٦٠ وفيه (عاند عن الحقّ) وليس (حائد...)، وعنه في جامع الرواة: ٢/٥٤٦، وفيه (مقيم على سنّة) وليس (سيئة)، وعنه أيضاً في بحار الأنوار: ٤٨/٢٦٣، واللفظ له.

(٢) رجال الكشي: ٢/٧٥٦، ح٨٦٢، وعنه في جامع الرواة: ٢/٥٤٦، وعنه أيضاً في بحار الأنوار: ٤٨/٢٦٣.

صاحبةً ولا ولداً، قيّوماً سميعاً بصيراً قوياً قائماً باقياً نوراً، عالماً لا يجهل، قادراً لا يعجز، غنياً لا يحتاج، عدلاً لا يجور، خلق كل شيء، ليس كمثله شيء، لا شبه له، ولا ضدّ، ولا ندّ، ولا كفو»[١].

وصنّف (عليه السلام) أصناف القائلين بالتوحيد فقال: «**للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه**»[٢].

وسئل (عليه السلام): أيكلّف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال: «**هو أعدل من ذلك**»، قيل له: فيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال: «**هم أعجز من ذلك**»[٣].

ونشر الأفكار الإسلامية يشكّل الركن الأساس في الإصلاح الفكري لأنّه يستبدل فكراً بفكر ورأياً برأي وتشريعاً بتشريع.

ثالثاً: إرجاع الأُمّة الىٰ العلماء

بعد توسّع القاعدة الشعبية لأهل البيت (عليهم السلام) وصعوبة الالتقاء بالإمام (عليه السلام) باستمرار، قام الإمام (عليه السلام) بإرجاع الأُمّة الى عدد من العلماء لأخذ معالم دينهم، فعن عبدالعزيز بن المهتدي قال: سألت الرضا، فقلت إني لا ألقاك في كل وقت فعن من آخذ معالم ديني؟ قال: «**خذ من يونس بن عبدالرحمن**»[٤].

وكان له أتباع من الفقهاء منتشرون في جميع الأمصار، يُرجع لهم أنصاره

---

(١) تحف العقول: ٤١٥ ـ ٤١٦، والرواية في عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٢٩/٢ باختلاف يسير، وعن التحف في بحار الأنوار: ٣٦٠/١٠، وعن العيون في بحار الأنوار: ٣٥٢/١٠.

(٢) التوحيد: ١٠٧، ونحوه في تفسير العياشي: ٣٦٥/١، وعنهما في بحار الأنوار: ٢٦٣/٣.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٢٩/١ ـ ١٣٠، تهذيب الكمال: ١٥١/٢١ ـ ١٥٢، سير أعلام النبلاء: ٣٩١/٩.

(٤) رجال الكشي: ٧٧٩/٢ ح ٩١٠، وعنه في خلاصة الأقوال: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

وسائر المسلمين لأخذ معالم الدين من عقائد وتشريعات وأحكام.

منهم: أحمد بن محمّد البزنطي، ومحمّد بن الفضل الكوفي، وعبدالله بن جندب البجلي، والحسين بن سعيد الأهوازي.

وكان يتابع حركة الرواة لكي لا يكذبوا عليه أو على آبائه، فكان يقول عن يونس مولى عليّ بن يقطين: «**كذب ـ لعنه الله ـ على أبي**»[1].

الإصلاح الاقتصادي:

لم يكن الإمام (عليه السلام) على رأس سلطة حتى يستطيع إصلاح الأوضاع الاقتصادية إصلاحاً فعلياً، ولذا اكتفى بنشر المفاهيم الإسلامية المتعلقة بالحياة الاقتصادية والنظام الاقتصادي الإسلامي، فقد حدّد جوامع الشريعة في رسالة له طويلة اعتبر الانحراف عن نهج الإسلام الاقتصادي من الكبائر التي يعاقب عليها الإنسان، ومما جاء في هذه الرسالة: «**واجتناب الكبائر، وهي ... أكل مال اليتامىٰ ظلماً ... وأكل الربا والسحت بعد البينة، والميسر، والبخس في الميزان والمكيال ... وحبس الحقوق من غير عسر ... والاسراف والتبذير**»[2].

وكان يدعو الىٰ دفع الزكاة فيقول: «**إنّ الله أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أُخرى: أمر بالصلاة والزكاة، فمن صلّىٰ ولم يزكّ لم تقبل منه صلاته ...**»[3].

وكان يوضّح اسباب الظواهر السلبية ومنها حبس الزكاة فيقول: «**إذا كذبت الولاة حبس المطر، وإذا جار السلطان هانت الدولة، وإذا حبست الزكاة ماتت**

(1) السرائر: ٣/٥٨٠، وعنه في بحار الانوار: ٤٩ / ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(2) تحف العقول: ٤٢٣، والرواية في عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢/١٣٤ باختلاف يسير، وعنه في بحار الأنوار: ١٠/٣٥٩، وعن التحف في بحار الأنوار: ١٠/٣٦٦.

(3) الخصال: ١٥٦، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٢٣٤، وعنهما في بحار الأنوار: ٧١/٦٨.

المواشي»[١].

وكان (عليه السلام) يدعو الىٰ إيصال الزكاة الى مستحقيها، فحينما سئل عن اعطاء الزكاة فيمن لا يعرف ـ أي بالإيمان ـ قال: « **لا، ولا زكاة الفطرة»**[٢].

وكان يقول:

«وزكاة الفطر فريضة ... لا يجوز أن تعطى غير أهل الولاية لأنّها فريضة»[٣].

وهذا تصريح يكشف التلاعب بأموال المسلمين من قبل الحكّام بتوزيعهم الأموال حسب أهوائهم ورغباتهم دون التقيّد بميزان شرعي.

وكان يدعو الىٰ إعطاء الخمس الى الإمام الحقّ وليس الى الحاكم المغتصب للخلافة ففي كتابه الىٰ أحد تجّار فارس ردّاً على سؤال له يقول: **«... لا يحلّ مال إلّا من وجهٍ أحلّه الله، وإن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى موالينا، وما نبذله ونشتري من اعراضنا ممّن نخاف سطوته، فلا تزووه عنّا ... فإنّ إخراجه مفتاح رزقكم، وتمحيص ذنوبكم ...»**[٤].

وكان يدعو الىٰ التكافل الاقتصادي ويحثّ عليه ويقول (عليه السلام): **«السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه»**[٥].

وقال لعليّ بن يقطين: **«إضمن لي الكاهلي وعياله وأضمن لك الجنّة»**[٦].

وكان يحارب الاسراف والتبذير، فعن ياسر الخادم قال: أكل الغلمان يوماً فاكهة، فلم يستقصوا أكلها ورموا بها فقال لهم أبو الحسن (عليه السلام): **«سبحان**

(١) أمالي المفيد: ٣١٠ ـ ٣١١، أمالي الطوسي: ٧٩.

(٢) الكافي: ٥٤٧/٣، تهذيب الأحكام: ٥٢/٤، المقنعة للمفيد: ٢٤٢.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٣١/٢، تحف العقول: ٤١٨، واللفظ للثاني.

(٤) الكافي ١: ٥٤٧ ـ ٥٤٨، الاستبصار: ٥٩/٢.

(٥) المحاسن للبرقي: ٤٤٩/٢، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٥/٢، فرائد السمطين: ٢٢٣/٢.

(٦) رجال الكشي: ٧٠٤/٢ ح٧٤٩، رجال النجاشي: ٢٢٢، خلاصة الأقوال: ١٩٨.

الله إن كنتم استغنيتم فإنّ أُناساً لم يستغنوا، اطعموه من يحتاج إليه»[١].

وكان ينفق ما يصل إليه من أموال على الفقراء والمعوزين حتى أنّه وزع جميع ما يملك في يوم عرفة[٢].

وكان قدوة في الصدقة والعطاء لتقتدي به الاُمّة، ويكون عمله ميزاناً تزن به الاُمّة ممارسات الحكّام المالية، لتميز بين منهجين اقتصاديين، منهج أهل البيت (عليهم السلام) ومنهج الحكّام المتلاعبين بأموال المسلمين .

وكان يحارب التصوّف ومفاهيم الزهد الخاطئ، الذي شجّع عليه الحكّام لإبعاد الاُمّة عن المطالبة بحقوقها، أو الدعوة الى التوازن الاقتصادي، فكان (عليه السلام) يجلس في الصيف على حصير وفي الشتاء على بساط من شعر، ويلبس الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزيّن لهم[٣].

ودخل عليه قوم من الصوفية فقالوا له : ... والأئمة تحتاج الى من يأكل الجشب ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ؟ فأجابهم بالقول : **«كان يوسف نبياً يلبس أقبية الديباج المزردة بالذهب ويجلس على متكئات آل فرعون، ويحكم، إنّما يراد من الإمام قسطه وعدله، إذا قال صدق وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز، إنّ الله لم يحرم لبوساً ولا مطعماً ...»**[٤].

والدعوة الى رفض المفاهيم الخاطئة للزهد هي معارضة صامتة للحكّام الذين سمحوا بانتشار هذه المفاهيم .

---

(١) المحاسن: ٤٤١/٢، الكافي: ٢٩٧/٦، واللفظ للثاني.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤٧٠/٣، وعنه في بحار الأنوار: ١٠٠/٤٩.

(٣) انظر عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ١٩٢، إعلام الورىٰ: ٦٤/٢، المناقب: ٤٧٠/٣.

(٤) كشف الغمّة : ٣ / ١٠٣ عن الآبي في نثر الدرر، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٤/١١ ـ ٣٥، والفصول المهمّة: ١٠٠٤/٢، مع اختلاف يسير، واللفظ للأوّل.

الإصلاح الأخلاقي:

كان الإمام (عليه السلام) يستثمر جميع الفرص المتاحة للاصلاح والتغيير الأخلاقي والاجتماعي وبناء واقع جديد مغاير لما عليه عامة الناس، ولهذا تعددت أساليبه التربوية الإصلاحية فكانت كما يلي :

أوّلاً : إحياء روح الإقتداء برسول الله(صلى الله عليه وآله)

قام الإمام (عليه السلام) بتوجيه الأنظار والقلوب للاقتداء بأرقى النماذج البشرية وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو قدوة للحكّام باعتباره حاكماً ورئيس دولة، وقدوة للفقهاء، وقدوة لسائر المسلمين من أفراد وجماعات .

وإذا كانت الحكومات المعاصرة للإمام (عليه السلام) تضيّق الخناق عليه في حالة التدخل في السياسة فإنّها لا تستطيع أن تمنعه من الحديث المتعلق بأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخصوصاً أخلاقه كحاكم، ولذا وجد (عليه السلام) الظروف مناسبة للدعوة الى الإقتداء به (صلى الله عليه وآله)، فقد كان يذكر الأحاديث عن أجداده حول أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنها الحديث المروي عن الإمام الحسين (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) في صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأخلاقية :

«... وكان من سيرته في جزء الأُمّة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيشاغل ويشغلهم فيما أصلحهم وأصلح الأُمّة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول : ليبلّغ الشاهد منكم الغائب، وابلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته ...كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخزن لسانه إلّا عمّا يعنيه ... ويكرم كريم قوم ويولّيه عليهم ... ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عمّا في الناس ... خيارهم أفضلهم عنده وأعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة

أحسنهم مواساة وموازرة ... وقد وسع الناس منه خلقه وصار لهم أباً رحيماً، وصاروا عنده في الحقّ سواء ...كان دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب ...وترك من الناس من ثلاث كان لايذم أحداً ولا يعيّره ولا يطلب عثراته ولا عورته ... وجمع له الحلم في الصبر، فكان لايغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع: اخذه الحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في إصلاح امته والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة»[1].

وهذه الدعوة دعوة صامتة لتقوم الأُمّة بتشخيص منهجين في الأخلاق: منهج الحكّام ومنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي سار عليه أهل البيت(عليهم السلام) . وقد فوّت الإمام(عليه السلام) على الحكّام فرصة منعه من التحدث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) في الجانب الخلقي. وهكذاكانت الدعوة الى الإقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله) دعوة صامتة وسلميّة لكشف حقيقة أخلاق الحكّام .

ثانياً : القيام بدور القدوة

إنّ دور الإمام (عليه السلام) هو دور القدوة، وقد أدّى الإمام (عليه السلام) هذا الدور أداءاً مطابقاً لقيم الإسلام الثابتة، وأبرز للمسلمين نموذجاً من أرقى نماذج الخلق الإسلامي الرفيع، وكان قمة في الصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد، والتواضع، واحترام الآخرين، والاهتمام بالمسلمين، وقضاء حوائجهم .

وكان يعالج الواقع الفاسد في العلاقات معالجة عملية، ومن مواقفه العملية انه دعا يوماً بمائدة، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقيل له: لو عزلت لهؤلاء مائدة، فقال : **«إنّ الربّ تبارك وتعالى واحد والأُمّ واحدة والأب**

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١ / ٢٨٢ ـ ٢٨٥، معاني الأخبار: ٧٩ ـ ٨٣، مكام الأخلاق للطبرسي: ١١ ـ ١٥، واللفظ للأوّل.

واحد والجزاء بالأعمال»[١].

وقال لخدّامه : **«إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون، فلا تقوموا حتى تفرغوا»** .

وكان لا يستخدم أحداً من خدّامه حتى يفرغ من طعامه[٢].

ووصفه إبراهيم بن العبّاس : ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا(عليه السلام) ، ما جفا أحداً ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردّ أحداً عن حاجة، وما مدّ رجليه بين يدي جليس، ولا اتكى قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا قهقه في ضحكة، وكان يجلس على مائدة مماليكه ...كثير المعروف والصدقة في السر ...[٣].

وكان متواضعاً للناس، دخل الحمام فقال له بعض الناس : دلّكني يا رجل . فجعل يدلّكه فعرّفوه، فجعل الرجل يعتذر منه، وهو يطيب قلبه ويدلّكه[٤].

وكان (عليه السلام) كثير العفو والصفح لا يقابل الإساءة بالإساءة، رحيماً لا يحمل حقداً ولا عداءاً لمن يؤذيه من عامة الناس أو من خواصهم، فقد عفى عن الجلودي الذي سلب حلي نساء أهل البيت (عليهم السلام) عندما هجم على دار الإمام الرضا (عليه السلام) في عهد هارون، وطلب من المأمون أن لا يمسّه بسوء[٥].

وقد أنشد للمأمون شعراً يصف به الحلم، فقال:

---

(١) الكافي: ٢٣٠/٨، وعنه في بحار الأنوار: ١٠١/٤٩.

(٢) انظر المحاسن: ٤٢٣/٢، الكافي : ٦ / ٢٨٩، وعنه في بحار الأنوار: ١٠٢/٤٩، وعن المحاسن في البحار أيضاً: ١٤١/٧١ .

(٣) انظر عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٩٧/٢ ـ ١٩٨، إعلام الورى: ٦٣/٢، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٣٨٩، واللفظ للأخير.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٤٧١/٣، وانظر قريب من ذلك في الوافي بالوفيات: ١٥٦/٢٢ ـ ١٥٧، ونور الأبصار: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٥) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٧٢/٢، وعنه في بحار الأنوار: ١٦٦/٤٩ ـ ١٦٧.

إذا كان دوني من بليت بجهله أبيت لنفسي أن تقابل بالجهل
وإن كان مثلي في محلّي من النهىٰ أخذت بحلمي كي أجلّ عن المثل
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجى عرفت له حقّ التقدّم والفضل[١]

ثالثاً : الدعوة الى مكارم الأخلاق

كان (عليه السلام) يدعو الى التمسك بمكارم الأخلاق ومحاسنها، ويعمق هذه الدعوة من خلال نشر أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي ترسم للمسلمين المنهج السلوكي السليم، ومن تلك الأحاديث التي رواها :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له»[٢].

وقال (صلى الله عليه وآله) : «ان الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق»[٣].

وقال (صلى الله عليه وآله) : «عدة المؤمن نذر لا كفّارة لها»[٤].

وكان (عليه السلام) يدعو للاندكاك بقيم الإسلام والسنن الصادرة من الله تعالى ومن رسوله (صلى الله عليه وآله) ومن اولياء الله فيقول : **«لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال : سنّة من ربّه، وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليّه، فأمّا السنّة من ربّه فكتمان سرّه ... وأما السنة من نبيّه فمداراة الناس ... وأما السنة من وليّه فالصبر في البأساء والضرّاء»**[٥].

---

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٨٧/٢، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٠٢، مع اختلاف يسير.
(٢) الكافي : ٢ / ٤٢٨، وفي الكافي أيضاً ٢٤/٤ بلفظ (سبعين حجّة)، ورواه الصدوق في ثواب الأعمال: ١٧٩، وأسنده الى الإمام الرضا(عليه السلام) .
(٣) الكافي : ٢ / ١٥٩، مشكاة الأنوار: ٢٧٨، وعن الكافي في بحار الأنوار: ٤٧/٧١.
(٤) كشف الغمّة : ٦١/٣ عن الجنابذي عن النبيّ(صلى الله عليه وآله)، وعنه في بحار الأنوار: ٩٦/٧٢.
(٥) الكافي : ٢ / ٢٤١ ـ ٢٤٢، أمالي الصدوق: ٤٠٨، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٣٢/١ ـ ٢٣٣، تحف العقول: ٤٤٢.

وحدّد (عليه السلام) المفهوم الحقيقي للتواضع والذي هو حركة سلوكية شاملة، تبتدأ بالنفس وتنتهي بالمجتمع، فقال : «**التواضع درجات، منها: ان يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحبّ أن يأتي الى أحد إلّا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عافٍ عن الناس، والله يحب المحسنين**»[١].

وكان يضرب الأمثال في خطوات الإصلاح ويقصّ قصص الصالحين لتبقىٰ شاخصة في العقول والنفوس، ومما جاء في ذلك قوله (عليه السلام) : «**إنّ رجلاً كان في بني إسرائيل عَبَدَ الله تبارك وتعالى أربعين سنة، فلم يقبل الله منه، فقال لنفسه : ما أُتيت إلّا منكِ، ولا الذنب إلّا لكِ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ذمك نفسك أفضل من عبادة أربعين سنة**»[٢].

وكان ينشد الشعر لتأثيره السريع على الأسماع والممارسات، ويستخدمه كوسيلة لإصلاح الأخلاق، ومما أنشده (عليه السلام) في العلاقات الاجتماعية :

إعذر أخاك على ذنوبه ... واستر وغطّ على عيوبه
واصبر على بهت السفيه ... وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً ... وكِلِ الظلوم الى حسيبه[٣]

وأنشد شعراً لربط المسلمين باليوم الآخر وعدم الانخداع بالأماني، ولاستحضار اليوم الآخر في الأذهان باعتبار تأثيره الكبير في إصلاح الأخلاق قال (عليه السلام) :

---

(١) الكافي : ٢ / ١٢٤، الدر النظيم: ٦٩٣، وعن الكافي في بحار الأنوار: ١٣٥/٧٢.

(٢) قرب الإسناد : ٣٩٢، ونحوه في الكافي: ٧٣/٢ وفي مشكاة الأنوار: ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٨٩ ـ ١٩٠، إعلام الورى: ٦٩/٢، ذيل تاريخ بغداد: ١٣٧/٤، الفصول المهمّة: ٩٨٠/٢.

كـلنا نأمـل مـداً فـي الأجـل والمـنايا هـنّ آفـات الأمـل
لا تـغرنّك أبـاطيل المـنىٰ والزم القصد ودع عنك العلل
إنّـما الدنـيا كـظل زائـل حـل فـيه راكب ثـم رحـل[1]

وكان (عليه السلام) يدعو المسلمين الى إقامة العلاقات الاجتماعية الصالحة ويدعو الى الإخاء والتآلف والتآزر، ويدعو الى نبذ الأخلاق الطالحة التي تؤدّي الىٰ التقاطع والتدابر، أو تؤدّي الى إرباك العلاقات، كالكذب والغيبة والنميمة والبهتان، والاعتداء على أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم، وينهىٰ عن جميع الانحرافات الاخلاقية، لكي تكون الأخلاق مطابقة للمنهج الإسلامي السليم، الذي أرسىٰ دعائمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).

رابعاً : بناء الجماعة الصالحة

كان الإمام (عليه السلام) يقوم بأداء دوره التربوي على مستويين :

الأوّل : مجموع الأُمّة الإسلامية .

الثاني: الجماعة الصالحة .

فعلى المستوى الأوّل كان الإمام (عليه السلام) يوجه الأُمّة للالتزام بالأخلاق الفاضلة والخصائص الحميدة، ويبعدها عن مزالق الانحراف والرذيلة، تنفيذاً لمسؤوليته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجموع الأُمّة يشمل الحكّام والمحكومين وهم جميع المسلمين بما فيهم أتباع أهل البيت(عليهم السلام). وعلى المستوى الثاني فإنّ الإمام (عليه السلام) مسؤول عن بناء الجماعة الصالحة التي تتبنى مذهب أهل البيت(عليهم السلام) منهاجاً في الحياة، لكي يربّي كوادر ونماذج

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٩٠/٢، تهذيب الكمال: ١٥٢/٢١، البداية والنهاية : ١٠ / ٢٧٣، مع تفاوت يسير في اللفظ.

رسالية تقوم بدورها في إصلاح الأخلاق وتغيير الانحراف السائد في المجتمع، وهو في هذا المستوى يقوم بأداء دوره بصورة أكثف، ويبدي عناية إضافية ووقتاً إضافياً ليربي عدداً أكبر من المصلحين القادرين على إنجاح مهمات الإصلاح والتغيير، لذا نجده(عليه السلام) يعمل ليل نهار، ويلتقي بالأفراد فرداً فرداً أو جماعة جماعة من أنصاره، ويراسل وكلاءه وأتباعه في الأمصار ليقوّم سلوكهم ويهذّب أخلاقهم.

وكان يرسم لأتباعه المنهج السلوكي القويم، فعن الحسن بن الحسين أنّه قال: استحل أحمد بن حمّاد منّي مالاً له خطر، فكتبت رقعة الى أبي الحسن (عليه السلام) وشكوت فيها أحمد بن حماد، فوقّع فيها: خوّفه بالله !، ففعلت ولم ينفع، فعاودته برقعة أخرى أعلمته أنّي قد فعلت ما أمرتني به فلم انتفع، فوقع: إذا لم يحلّ فيه التخويف بالله، فيكف تخوفه بأنفسنا[1].

وكان (عليه السلام) يشتري العبيد ثم يعتقهم بعد أن يعدّهم اعداداً تربوياً في داره فقد أعتق ألف مملوك[2] طول سني حياته، وهذا العدد الكبير له تأثير في سير الأخلاق، حيث يصبح هؤلاء بعد التربية والإعداد الخلقي تياراً من المخلصين الواعين يعمل في وسط الاُمّة، ويقوم بأداء دور الإصلاح مبتدءاً بنفسه واُسرته ثم المجتمع الكبير.

وقد تخرج من هذا الإعداد مئات المربين والمصلحين، وازداد أتباع الإمام (عليه السلام) في عصره وتوسعت قاعدته الشعبية في مساحة واسعة من الدولة الإسلامية.

(١) رجال الكشي: ٨٣٤/٢ ح١٠٥٩، وعنه في التحرير الطاوسي للشيخ حسن صاحب المعالم: ٥٧.
(٢) الإتحاف بحب الأشراف: ٣١٢.

الإصلاح السياسي:

أوّلاً: الإمام الرضا (عليه السلام) وقيادة الحركة الرسالية

للتعرف على أُسلوب الإمام الرضا (عليه السلام) في قيادة الحركة الرسالية ينبغي إلقاء صورة مختصرة واضحة عن أساليب الأئمة (عليهم السلام) في قيادتهم للحركة الرسالية، لنتعرف من خلالها على أساليب قيادة الإمام (عليه السلام) للحركة الرسالية في عصره.

إنّ من مسؤولية الإمام القائد هي بناء الإنسان والمجتمع بناءاً عقائدياً، وخُلقياً، واجتماعياً، وسياسياً، ويتم البناء عن طريق بناء قاعدة شعبية تقتدي بنهج أهل البيت (عليهم السلام)، ونظرتهم الإسلامية الى الكون والحياة والمجتمع، ولذلك لم يقتصر العمل على التحرك السياسي أو الوصول الى قمة السلطة والحكومة، وإنّما كان العمل السياسي جزءاً من كل، والسلطة وسيلة من وسائل تحقيق الأهداف وليست هدفاً بحد ذاتها. ومن هذا المنطلق كان عمل الأئمة(عليهم السلام).

وإذ سمحت الظروف للأئمة الثلاثة الإمام عليّ والحسن والحسين(عليهم السلام) بقيادة الحركة الرسالية بجميع مجالاتها قيادة مباشرة، فإنها قد تغيّرت في عهد الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وبقية الأئمة (عليهم السلام)، لذا نجدهم قد التجأوا الى الإشراف غير المباشر على سير الأحداث وخصوصاً الأوضاع السياسية والعسكرية منها، فكانوا يقودون جميع خطوط الحركة الرسالية في آن واحدٍ، دون أن تصل الحكومة الى معرفة خطوط الحركة ونشاطاتها التنظيمية ومدى قربها وبعدها من الإمام(عليه السلام) ومدى إشرافه عليها.

والعوامل التي كانت تحدد أُسلوب التحرك لديهم تتمثل بما يلي:

أوّلاً: المصلحة الإسلامية العامة .

ثانياً: المصلحة الإسلامية الخاصة بحركة أهل البيت(عليهم السلام) باعتبارهم مسؤولين عن إصلاح الأوضاع .

ثالثاً: الظروف العامة والخاصة من حيث قوة الحركة وقوة القاعدة الشعبية .

وبذلك فإن الأئمة (عليهم السلام) قد قادوا جميع النشاطات في آن واحد بما فيها الحركات المسلحة ولكن بأُسلوب غير مباشر تحيطه السرّية والكتمان، من أجل أن لا يتعرض الإمام (عليه السلام) إلى القتل في بداية إمامته، لأنّ إصلاح الأُمّة وتربيتها مقدّم على كل شيء، فلو قاد الإمام (عليه السلام) حركة عسكرية أو ثورية فإنه سيقتل وتبقى الأُمّة بحاجة إلى من يرفدها بالفكر السليم باعداد الفقهاء والعلماء، ومن يرفدها ببناء طليعة من العبّاد والزهاد والسياسيين وقادة الحركات الثورية .

وبتعبير آخر: إنّ الإمام (عليه السلام) كان يقود خطين من خطوط العمل الرسالي:

الخط الفكري : ومهمّته طلب العلم ونشره، وأداء مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأُسلوب هادئ سلميّ .

خط المواجهة : ومهمّته إعلان التمرد على الحكومات الجائرة، واستخدام القوة لإيقاف انحرافها عن النهج الإسلامي الأصيل .

وهذا الأُسلوب يتّضح من خلال سيرة الأئمة (عليهم السلام)، فالإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وسبي نسائه اتّبع هذا الأُسلوب، لأنّ الظروف السياسية قد تغيّرت، إضافة الى توسّع القاعدة الشعبية لأهل البيت (عليهم السلام) واختلاف أتباعه وأنصاره في قدراتهم وطاقاتهم.

فالتوّابون ثاروا في عهده، ولكن لم تحصل الحكومة الأُموية على دليل واحد تثبت فيه علاقة الإمام (عليه السلام) بهم، وثار المختار في عهده، وفاتحه عمّه محمّد بن الحنفية حول تأييده للثورة، فقال(عليه السلام) :

«يا عم لو أنَّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولّيتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت»[1].

وقدكان هذا التخطيط سرّياً للغاية ولم يتسرّب إلّا الى بعض أتباع أهل البيت (عليهم السلام) .

وحينما جاء البعض الى محمّد بن الحنفية حثّهم على الاشتراك مع المختار، وأرسل كتاباً إلى إبراهيم الاشتر يحثّه على ذلك[2].

وحينما حاصر عبدالله بن الزبير محمّد بن الحنفية وتوعّده بالقتل والإحراق كتب إلى المختار طالباً نجدته فأرسل له المختار جيشاً فانقذه ممّا هو فيه[3].

وتدلّنا هذه الوقائع على أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) قد عيّن ابن الحنفية قائداً للخط والجناح العسكري، وكانت الأوامر تصدر منه مباشرة وليست من الإمام (عليه السلام).

وحينما سيطر المختار على الكوفة وانتهت سيطرة الأُمويين على العراق والحجاز وبعض الأمصار أعلن الإمام (عليه السلام) عن ثنائه على المختار لبعض المقرّبين إليه فقال : **«الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى الله**

---

(١) رسالة ذوب النُضّار في شرح الثار لجعفر بن نما الحلي رواية عن والده محمّد بن نما: ٩٧ وعنه في بحار الأنوار : ٤٥ / ٣٦٥.

(٢) انظر رسالة ذوب النُضّار: ٩٤ ـ ٩٩، تاريخ الطبري: ٤٩٢/٤ ـ ٤٩٥، الكامل في التاريخ : ٤ / ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) انظر تاريخ الطبري: ٥٤٤/٤ ـ ٥٤٥، الكامل في التاريخ: ٢٥٠/٤ ـ ٢٥١ .

المختار خيراً»[١].

وفي الوقت نفسه كان الإمام (عليه السلام) قد أرفد الأُمّة بعدد من العلماء والفقهاء والرواة، وقد ذكر الشيخ الطوسي في رجاله نحو مائة وسبعين منهم[٢].

واستمر الإمام بإعداد القادة للمرحلة القادمة، فقد أعدّ ابنه محمّداً الباقر (عليه السلام) للإمامة والقيادة العامة، وأعدّ ابنه زيداً لقيادة الثورة والحركة المسلحة .

وحينما أراد زيد الخروج أتى إلى الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) للقيام بالثورة فأجابه (عليه السلام) : **«لا تفعل يا زيد فإنّي أخاف أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة»**[٣]، ولم يخرج زيد في عهده .

وزيد معترف بإمامة الباقر (عليه السلام) ومن بعده الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كما يظهر ذلك في شعره التالي:

ثوىٰ باقر العلم في ملحدٍ إمام الورىٰ طيّب المولد

فمن لي سوىٰ جعفر بعده إمام الورىٰ الأوحد الأمجد[٤]

وتصريح الإمام الباقر (عليه السلام) حول نصرة زيد شاهد على أنّ الأئمة (عليهم السلام) كانوا يقودون الخط العسكري بصورة غير مباشرة .

قال (عليه السلام) : **«إنّ أخي زيد بن عليّ خارج فمقتول على الحقّ، فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله»**[٥].

وفي عهد الإمام الصادق (عليه السلام) جاءته جماعة قبل خروج زيد فأخبرته

---

(١) رجال الكشي: ٣٤١/١، ح٢٠٣، رسالة ذوب النُضّار: ١٤٤، مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٢) انظر رجال الطوسي: ١٠٩ ـ ١٢٠.

(٣) الخرائج والجرائح : ١ / ٢٨١، الفصول المهمّة: ٨٩٩/٢، ينابيع المودّة: ٤٩/٣، وعن الخرائج في كشف الغمّة: ٣٥٧/٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٣٢٩/٣، وعنه في بحار الأنوار : ٤٦ / ٢٩٦ .

(٥) مقتل الحسين للخوارزمي : ٢ / ١٢٧ .

ببيعة زيد، فقال (عليه السلام): **«بايعوه»**[١].

وكان (عليه السلام) يقول : **«اشركني الله في تلك الدماء مضىٰ والله عمّي زيد وأصحابه شهداء مثل ما مضىٰ عليه عليّ بن أبي طالب وأصحابه»**[٢].

وكان الثوّار لا يحدّدون اسم الإمام القائد وإنّما يكتفون بالدعوة الى الرضىٰ من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) ؛ لأن الظروف كانت تستوجب عدم التصريح، وكان الإمام (عليه السلام) يحذّر أصحابه من الخروج مع غير المرتبطين به وكان يقول: **«إنْ أتاكم آت منّا فانظروا على أيّ شيء تخرجون؟ ولا تقولوا : خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم الى نفسه، وإنّما دعاكم الى الرّضىٰ من آل محمّد(صلى الله عليه وآله)ولو ظهر لوفىٰ بما دعاكم إليه ...»**[٣].

والخط العسكري هو درع الأئمة من جهتين :

الأُولى : الاحتفاظ بالحالة الثورية للمجتمع كي تبقى مستعدة للقيام والتضحية .

الثانية : إنّه من خلاله يمكن الاستمرار في العمل الاصلاحي. وبانشغال الحاكم بمطاردة أتباع هذا الخط يكون المجال مفتوحاً لجميع الأعمال غير العسكرية، ويضمن وجوده سلامة أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، لأنّ الحاكم يخشىٰ من تشديد الملاحقة والإرهاب الذي قد يؤدي الى انخراط الجميع في الخط العسكري، فكان يعطي قدراً من الحرية لمن لا يحمل السلاح ويتظاهر بطلب العلم أو التجارة أو غير ذلك .

وقد عبّر الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه الظاهرة بقوله : **«كفّوا ألسنتكم**

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ٤٩٩/٥، الكامل في التاريخ : ٥ / ٢٤٣ .

(٢) أمالي الصدوق: ٤٣٠ ـ ٤٣١، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٢٨/١ ـ ٢٢٩ وعنهما في بحار الأنوار: ١٧١/٤٦.

(٣) الكافي : ٨ / ٢٦٤، وعنه في بحار الأنوار: ٣٠١/٥٢ـ ٣٠٢ .

والزموا بيوتكم، فإنّه لا يصيبكم أمر تخصّون به أبداً، ولا تزال الزيدية لكم وقاءً أبداً»[(١)].

ويبقى الإشراف على الخط العسكري من قبل الإمام (عليه السلام) في طي الكتمان، وفي اقصى غايات السرّية، ولا يطّلع عليه إلّا من له دور مؤثر في العمل الرسالي، ولم تستطع السلطة كشف العلاقة بين الثوار والإمام من حيث التخطيط والتنسيق والتنفيذ إلّا انها كانت تتهم الإمام المعصوم (عليه السلام) باسناد الثورات أو تحريكها ولكن لا دليل لها عليه، وكان أبو جعفر المنصور يقول: من يعذرني من جعفر هذا؟ قدّم رِجلاً وأخّر أُخرىٰ، يقول: اتنحّىٰ عن محمّد ـ يعني محمّد بن عبدالله بن الحسن ـ فإن يظفر فإنّما الأمر لي، وان تكن الأُخرىٰ فكنت قد احرزت نفسي[(٢)].

وكان قادة الخط العسكري لا يصرّحون بذكر اسم الإمام (عليه السلام) وانّما يلمّحون بذلك أمام أتباعهم، فعن الحسين بن عليّ صاحب فخّ ويحيىٰ بن عبدالله بن الحسن قالا: ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر فأمرنا بالخروج[(٣)].

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يقول للحسين بن عليّ: **«إنّك مقتول فأحدّ الضراب ... فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله عزّوجلّ احتسبكم من عصبة»**[(٤)].

وكان الحاكم العبّاسي موسى الهادي يهدّد بقتل الإمام الكاظم (عليه السلام) ويقول: والله ما خرج حسين إلّا عن أمره، ولا اتّبع إلّا محبته؛ لأنّه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه، فاقنعه أبو يوسف

(١) الكافي: ٢ / ٢٢٥، الغيبة للنعماني: ٢٠٤ بزيادة طفيفة، في لفظ الحديث، وعن الكافي في بحار الأنوار: ٨٢/٧٢، وعن الغيبة في بحار الأنوار أيضاً: ١٣٩/٥٢.

(٢) مهج الدعوات: ٢٣٢ ـ ٢٣٣، وعنه في بحار الأنوار: ٤٧ / ١٩٢.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٣٠٤.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٢٩٨، وعنه في بحار الأنوار: ١٦٩/٤٨.

القاضي بعدم صحة ذلك، فسكن غضبه[١].

واتّبع الإمام الرضا (عليه السلام) نفس الأُسلوب في التحرك الرسالي فكان يقود جميع الخطوط في آن واحد دون أن تعلم السلطة بخفايا التحرك العسكري حيث كان محاطاً بسريّة تامة يصعب التعرف على خصوصياته.

إنّ تأكيد المأمون فيما بعد على أنّ ينزل الإمام الرضا (عليه السلام) عند رغبة المأمون في قضية ولاية العهد تعتبر شاهداً على مخاوف المأمون من تحرّكات العلويين ويكون قبول الإمام لولاية العهد خطوة لاستيعاب هذه الحركات التي ترى في الإمام قدوة لها وبذلك سوف يفقد العلويون مبرّرات المعارضة للحكم الذي يكون الإمام فيه وليّاً للعهد.

ثانياً: الدور السياسي للإمام (عليه السلام) في عهد هارون ومحمّد

استثمر الإمام (عليه السلام) أجواء وظروف الإنفراج السياسي النسبي لبناء وتوسعة القاعدة الشعبية، وتسليحها بالفكر السياسي السليم المنسجم مع رؤية أهل البيت (عليهم السلام)، وتعبئة الطاقات لاتخاذ الموقف المناسب في الوقت المناسب، ولهذا لم تنفجر أي ثورة علوية في هذين العهدين لعدم إكتمال العدة والعدد.

وكان الإمام (عليه السلام) يقدّم للأُمّة المفاهيم والأفكار السياسية بأُسلوب حذر لكي لا يعطي للحكّام مبرراً لمنعه أو سجنه أو قتله، فقد أكّد (عليه السلام) على ضرورة الإمامة في كل زمن ونقل عن آبائه وأجداده الروايات التي تتعلق بهذا المفهوم السياسي الذي هو جزء من عقيدة أهل البيت (عليهم السلام)، فنقل عبر

(١) انظر مهج الدعوات: ٢٦٦ ـ ٢٦٧، وعنه في بحار الانوار: ٤٨ / ١٥١.

السلسلة الذهبية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال :

«يدعىٰ كل أُناس بإمام زمانهم وكتاب ربّهم وسنّة نبيّهم»(١).

وحدّد (عليه السلام) علامات الإمام لكي تتمكن الأُمّة من تشخيص الإمام الحقّ في ظرفٍ كثر فيه التدليس وقلب الحقائق فقال (عليه السلام) :

«للإمام علامات : يكون أعلم الناس، واحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، واشجع الناس، واسخىٰ الناس، واعبد الناس ...»(٢).

ويؤكّد الإمام الرضا (عليه السلام) على وحدة الإمامة فلابد من نصب إمام واحد غير متعدد(٣) ، ويذكر العلّة من ذلك وهي توحيد جيمع الأعمال والمواقف والحيلولة دون حدوث الاضطراب في الدولة والأُمّة. وهذا يعني ان تعدد الأئمة مخالف لأُسس العقيدة الإسلامية في السياسة والحكم، وفي هذه الحالة لابدّ وان يكون أحد الأئمة إمام حقّ والبقية أئمة ضلالة لا تجب طاعتهم وإن كانوا في قمة السلطة الزمنية .

وقام الإمام (عليه السلام) بنشر الأحاديث المتعلقة بفضائل أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم في الحياة الإسلامية، فقد روىٰ عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال :

«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار»(٤).

وقال (صلى الله عليه وآله) : **«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأُمّتي»**(٥).

---

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٣٦/٢ ـ ٣٧، مناقب آل أبي طالب : ٢ / ٢٦٣، وانظر العمدة لابن البطريق: ٣٥٢، واليقين لابن طاووس: ٢٤٩٣، واللفظ للمناقب.

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ١٩٢، الخصال: ٥٢٧ ـ ٥٢٨، وعن العيون في كشف الغمّة: ٨٢/٣.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ١٠٨، علل الشرائع: ٢٥٤/١، وعنهما في بحار الأنوار: ١٠٥/٢٥.

(٤) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٣٠/٢، وعنه في بحار الأنوار: ١٢٢/٢٣.

(٥) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٣٠/٢، وعنه في بحار الأنوار: ٣٠٩/٢٧.

وروى عنه (صلى الله عليه وآله) انه قال : «**يا عليّ إنّك قسيم الجنّة والنار ...**»[1].

ووجّه (عليه السلام) الأنظار الى أهل البيت (عليهم السلام) والى موقعهم القيادي في الأُمّة، ثم وجّه الأنظار الى فضائل أنصار أهل البيت (عليهم السلام)، كعمّار وأبي ذر والمقداد وسلمان؛ ليتم تشخيص أهل الحقّ وأهل الباطل على طول الأجيال، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال، لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) : «**الجنّة تشتاق إليك وإلى عمّار وسلمان وأبي ذر والمقداد**»[2].

وحدّث عنه (صلى الله عليه وآله) انه قال : «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»[3].

كما أكّد على أهميّة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) والبراءة من اعدائهم بقوله(عليه السلام) : «**كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدوّنا**»[4].

وحثّ الأُمّة على تكريم ذريّة الرسول (صلى الله عليه وآله) بما حدّث به عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال :

«**أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذرّيتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أُمورهم عند اضطرارهم إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه**»[5].

وفي خضم الاحداث الصاخبة وما طرأ من تشويه وتدليس في الحقائق والمعتقدات، بيّن الإمام(عليه السلام) للأُمة المفهوم الحقيقي للتشيّع، وشخص

---

(1) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): 2/30، وأخرجه ابن المغازلي في مناقبه: 107، والموفق الخوارزمي في مناقبه أيضاً: 294، وكلاهما بلفظ: «**يا عليّ، إنّك قسيم النار، وإنّك تقرع باب الجنّة...**»، وأورد هذا الخبر ابن البطريق في العمدة نقلاً عن ابن المغازلي بلفظ: «**انّك قسيم الجنّة والنار، وإنّك تقرع باب الجنّة وتدخلها بغير حساب**»، العمدة: 265.

(2) الخصال: 303، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): 2/72 بلفظ «**الجنّة تشتاق إليك وإليّ وإلى عمّار...**»، وعن الخصال في بحار الأنوار: 22/324 ـ 325، وعن العيون في البحار أيضاً: 40/26، واللفظ للأوّل.

(3) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): 2/68، وعنه في بحار الأنوار: 22/326.

(4) السرائر: 3/640، ممّا استطرفه من كتاب أُنس العالم للصفواني، وعن السرائر في بحار الأنوار: 27/58.

(5) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): 1 / 230، أمالي الطوسي: 366، وعن العيون في بحار الأنوار: 93/220.

النماذج المجسدة له في الواقع فقال في شيعة عليّ (عليه السلام) : «**إنّما شيعته الحسن والحسين وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار ومحمّد بن أبي بكر، الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره، ولم يركبوا شيئاً من فنون زواجره ...**»[١].

وقال (عليه السلام) : «**شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويحجّون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان، ويوالون أهل البيت ويتبرّؤون من أعدائهم، أُولئك أهل الإيمان والتقىٰ وأهل الورع والتقوى**»[٢].

واستثمر الإمام (عليه السلام) ذكرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) فحثّ على إحيائها أحياءً حقيقياً ينسجم مع عمق الأهداف التي ضحّىٰ من اجلها الحسين (عليه السلام)، ليتعمق الولاء العاطفي والسياسي لنهج الإمام الحسين الثوري، وإحياء الذكرىٰ عامل من عوامل اثارة الحس الثوري المعارض للانحراف .

قال (عليه السلام) : «**ان يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذلّ عزيزنا ... فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحط الذنوب العظام**»[٣].

وحثّ (عليه السلام) على تمنّي الكون مع أصحاب الحسين (عليه السلام) وهو حثّ على تصعيد روح الثورة والتمرد على الواقع الفاسد، قال (عليه السلام) :

«**إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين (عليه السلام) فقل متىٰ ما ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً**».[٤]

وحثّ (عليه السلام) على زيارة قبر الحسين (عليه السلام) للتزود من مواقفه الشجاعة

---

(١) تفسير الإمام العسكري: ٣١٣، الاحتجاج: ٢٣٧/٢، ولم يذكر ذيل الرواية (ولم يركبوا...)، وعن تفسير العسكري في بحار الأنوار: ١٥٨/٦٥، وعن الاحتجاج في بحار الأنوار أيضاً: ٣٣٠/٢٢.

(٢) صفات الشيعة للصدوق : ٤، وعنه في بحار الأنوار: ٥٩/٨ .

(٣) أمالي الصدوق: ١٩٠ ـ ١٩١، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٩٣، وعن الأمالي في إقبال الأعمال: ٢٨/٣.

(٤) أمالي الصدوق: ١٩٣، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٦٩/١ باختلاف يسير باللفظ، وعن الأمالي في إقبال الأعمال: ٣٠/٣، وعن الأمالي والعيون في بحار الأنوار: ٢٨٦/٤٤.

ولتجديد العهد معه على رفض الإنحراف والظلم والطغيان، قال (عليه السلام): **«زيارة قبر الحسين صلوات الله عليه تعدل عمرة مبرورة متقبلة»**[1].

وإقامة مراسيم العزاء وزيارة القبر الشريف هو بمثابة معارضة ولكنها سلميّة، إضافة الى ذلك فإنّه وسيلة لجمع الأنصار والموالين بأسرع الاوقات دون أن تقوم السلطة بملاحقتهم لأنّ مبرر اجتماعهم هو الحزن على الحسين (عليه السلام) . وفعلاً أثمر الموقف هذا، فإنّ الذين ثاروا فيما بعد على المأمون، انطلقوا من قبر الحسين وأعلنوا الثورة[2].

واستطاع الإمام (عليه السلام) بهذا الأُسلوب أن يوسع القاعدة الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) دون أن تلاحقه السلطات القائمة أو تمنع نشاطه السياسي، واستطاع (عليه السلام) كسب عناصر جديدة مقربة للحكّام من وزراء وقادة جيش وفقهاء، وكانت تصل إليه الأخبار ـ كما تقدم ـ من داخل البلاط الحاكم .

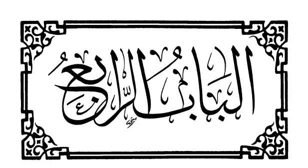
وكان (عليه السلام) يقود جميع خطط التحرك بسرّية تامة ـ كما تقدم ـ ولم تقم في عهد هارون وابنه محمّد أيّ ثورة مسلحة، لأنّ أنصار أهل البيت (عليهم السلام) كانوا منشغلين بإعادة بناء قواتهم المسلحة بعد اخفاق الثورات السابقة كثورة صاحب فخ وغيره .

* * *

---

(١) كامل الزيارات: ٢٩١، ثواب الأعمال للصدوق: ٨٦، وعنهما في بحار الأنوار: ٢٩/٩٨، واللفظ للأوّل.

(٢) انظر مقاتل الطالبيين: ٣٤٦ ـ ٣٤٧.



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام الرضا (عليه السلام) وظاهرة ولاية العهد

الفصل الثاني :

نشاطات الإمام الرضا (عليه السلام) بعد البيعة بولاية العهد

الفصل الثالث :

مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام)، احتجاجاته وتراثه

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الإمام الرضا (عليه السلام) وظاهرة ولاية العهد

وقائع وأحداث سياسية قبل ولاية العهد

استلم المأمون زمام الحكم بعد حرب دامية استمرت خمس سنين قتل فيها آلاف القادة والجنود، وحدث تفتت في التحالف العبّاسي وانقسم الى قسمين، مؤيدين ومعارضين لحكم المأمون الذي قد حدث فيه إنفراج سياسي للإمام الرضا (عليه السلام) ولأهل بيته بعد أربع سنين، فكان الإمام (عليه السلام) يتحدث بحرية تامة ويتحرك في دائرة أوسع من قبل وهي دائرة البلاط الحاكم لاتصاله بالوزراء والقادة مباشرة.

والمأمون كوارث لأبيه وأجداده لم يستطع أن يخرج عن النهج السياسي السابق إلّا في حدود ضيّقة، وكان كسابقيه يؤطّر حكمه باطار شرعي مقدس وهذا يظهر من الكتب والمخاطبات التي وجهت إليه، ومنها ما كتبه إليه طاهر بن الحسين قائد الجيش الذي قتل أخاه الأمين حيث جاء فيه:

قد قتل الله المخلوع، وأسلمه بغدره ونكثه، وأحصد لأمير المؤمنين أمره، وانجز له ما كان ينتظره من سابق وعده، والحمد لله الراجع الى أمير المؤمنين حقّه، الكائد له فيمن خان عهده، ونقض عقده، حتى ردّ به الاُلفة بعد فرقتها،

وجمع به الأُمّة بعد شتاتها، فأحيا به إعلام الدين بعد دثور سرائرها[١].

وعلى الرغم من إضفاء الشرعية علـى حكـمه ومسـاندة بـعض الفـقهاء والقضاة له، إلّا أنّ كثيراً من المسلمين كانوا يرونه مغتصباً للـخلافة، ونـتيجة للظلم المتراكم على طول عهود الحكّـام العـبّاسيين، وانـحرافـهم عـن النـهج الإسلامي، تفاعلت روح الثورة والتمرد في نفوس المسلمين، من قبل الثوار ومن قبل الموالين لأخيه الأمين.

ففي أوّل سنة من حكمه وهي سنة (١٩٨ هـ) أظهر نصر بن شبث العقيلي الخلاف في حلب وتغلّب علىٰ ما جاورها من البلدان، ولم ينته خلافه إلّا في سنة (٢٠٩ هـ) بعد القضاء على حركته[٢].

وفي السنة نفسها حدثت فتنة في الموصل بين اليمانية والنـزاريـة قـتل فيها من النزارية خلقٌ كثير[٣]

وفي سنة (٢٠٠ هـ) انفجرت المعارك بين بني ثعلبة وبني سامة[٤].

وكانت سنة (١٩٩ هـ) فاتحة لثورة عظيمة قادها العلويون، حيث خـرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق ومعه محمّد بـن إبـراهـيم بـن إسماعيل الحسني، وضرب أبو السرايـا الدراهـم بـالكوفة وسـيّر جـيوشه الى البصرة وواسط ونواحيها.

وتوزعت الثورة على عدة جبهات:

جبهة البصرة بقيادة العبّاس بن محمّد بن عيسىٰ الجعفري.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٤٢، ونحوه في الوافي بالوفيات: ١٨٢/٨.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٩٧/٦، ٣٨٨، وانظر البداية والنهاية: ٢٦٥/١٠، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٧.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣٠٠/٦ ـ ٣٠١.

(٤) الكامل في التاريخ: ٣١٧/٦.

وجبهة مكة بقيادة الحسين بن الحسن الأفطس .

وجبهة اليمن بقيادة إبراهيم بن موسى بن جعفر (عليه السلام).

وجبهة فارس بقيادة إسماعيل بن موسى بن جعفر (عليه السلام).

وجبهة الأهواز بقيادة زيد بن موسى بن جعفر (عليه السلام).

وجبهة المدائن بقيادة محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن(عليه السلام).

واستمرت هذه الثورة أكثر من سنة الى أن قضي عليها[١].

وفي سنة (٢٠٠ هـ) خرج محمّد بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ولكنّه استسلم وأرسل الى المأمون[٢].

وكان لثورات العلويين أثر كبير في تخلخل الأوضاع الداخلية وإرباك المواقف العسكرية والسياسية.

وفي هذه السنوات أي (من ١٩٧ ـ ٢٠١ هـ) أصاب أهل بغداد بلاء عظيم حتى كادت تتداعىٰ بالخراب، وجلا كثير من ساكنيها بسبب النهب والسبي والغلاء وخراب الدور[٣].

وعلى الرغم من إعلان المأمون العفو عن قادة الثورة من العلويين إلّا أنّ ذلك لا يعني انه كان متجنباً للإرهاب، بل كان كسابقه يستخدم الإرهاب لإخماد أصوات المعارضين أو من يفكر بازالة الحكم العبّاسي، حتى أنه أقدم على قتل هرثمة بن اعين على الرغم من إخلاصه له بدسيسة

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ١١٧/٧ ـ ١٢٣، الكامل في التاريخ : ٦ /٣٠٢ ـ ٣٠٩ أحداث سنة (١٩٩ ـ ٢٠٠ هـ) .

(٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢ / ٢٢٤، وانظر تاريخ الطبري: ١٢٤/٧ ـ ١٢٨، الكامل في التاريخ: ٣١١/٦ ـ ٣١٣.

(٣) انظر العبر في خبر من غبر : ١ / ٣٣٧، شذرات الذهب: ٦٩/٢، وانظر ما حلّ ببغداد في تاريخ الطبري: ٥١/٧ ـ ٥٢ والبداية والنهاية: ٢٥٩/١٠ ـ ٢٦٠.

الفضل بن سهل[1].

ولم يسمح للمعارضة بإبداء وجهات نظرها إن كانت مخالفة لمواقفه، فقد أقدم على نفي أحد الشعراء الى السند لأنه أنشد قصيدة يذمّ بها قاضياً منحرفاً له علاقة مع المأمون[2].

وفي مقابل الاضطراب في الوضع الداخلي كانت هنالك تحدّيات خطيرة تواجه الحكومة العبّاسية، فالدول الكافرة والمشركة تتحيّن الفرص للقضاء على الحكومة وعلى الوجود الإسلامي، وهي تعدّ العدّة لوقتها المناسب، ولهذا أعلن المأمون العفو العام عن قادة الثورات.

الموقف السياسي للإمام الرضا (عليه السلام):

استثمر الإمام (عليه السلام) الظروف المناسبة فاتخذ ما يناسبها من مواقف، وقد عاش (عليه السلام) الإنفراج الحقيقي بالانطلاق بحرية في نشر الفكر السياسي والعقيدة السياسية لأهل البيت (عليهم السلام) لأنّ ظروف الاقتتال بين الأمين والمأمون وما أفرزته من اضطراب وخلل في الجبهة الداخلية وانقسام البيت العبّاسي، حالت دون ملاحقته (عليه السلام) ومطاردته أو إيقاف تحركه، وقام (عليه السلام) بتوسيع قاعدته الشعبية في كلّ مصر من الأمصار الإسلامية.

وكان (عليه السلام) كآبائه وأجداده يشرف على جميع خطوط التحرك بما في ذلك خط المواجهة، وهو محاط بسرية وكتمان شديدين، وقد أسند قيادته المباشرة الى إخوانه وأبناء عمومته لكي لا يكون في موقع المواجهة العلنية مع الحكم القائم، لأنّ القيادة المباشرة تؤدّي الى قتله في معركة من المعارك

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ١٣٠/٧، الكامل في التاريخ: ٣١٥/٦، تاريخ ابن خلدون : ٣ / ٢٤٥.

(٢) انظر مروج الذهب: ٢٧/٤، تاريخ بغداد: ٢٠٠/١٤، وعنه في وفيات الأعيان: ١٥٣/٦.

أو الى قتله على أيدي أعوان الحاكم، قبل أن يهيّء الأجواء لامامة من يأتـي بعده.

ومـن مـعطيات القـيادة غـير المـباشرة للـمواجـهة، أنّ جـميع الأخـطاء والممارسات التي تـرتكب اثـناء الثـورة مـن قـبل الثـوار لا تـحسب عـلى الإمام (عليه السلام) وإنّما على القائد المباشر المشرف على الخط العسكري .

وكان الإمام (عليه السلام) يحيط تحركه بسـرية تـامة فـفي سـنة (١٩٩ هـ) قـبل انطلاق الثورة على المأمون، اجتمع أنصار محمّد بن سليمان العلوي بالمدينة وطلبوا منه أن يبعث الى الإمام الرضا (عليه السلام) ويدعوه للقيام معه، فأرسـل إليـه أحد المقترحين فأجابه الإمام (عليه السلام) :

«إذا مضى عشرون يوماً أتيتك»، فمكثوا أيّاماً فلماكان يوم ثمانية عشر قامت القوات العباسية بمحاربتهم والقضاء على ثورتهم في مهدها[١].

والظروف السياسية قد تعطي انطباعاً لدى المسـلمين مـن عـدم عـلاقة الإمام بالثوار، وقد يكون الإمام (عليه السلام) قد أعطى صلاحيات مطلقة لقادة الخط العسكري دون الرجوع إليه باستمرار وإنّما متابعة الأحداث والمواقـف عـن بـعد، فـحينما أراد مـحمّد بـن الإمـام جـعفر الصـادق (عليه السلام) الثـورة فـي يـوم معيّن أرسل إليه الإمام (عليه السلام) : **«لا تخرج غداً فـإنّك إن خـرجت غـداً هـزمت وقـتل أصحابك»**[٢].

وبعد سنتين مـن سـيطرة المأمـون عـلى زمـام الحكـم، وبـالتحديد فـي

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام) : ٢ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥، وعنه في بحار الأنوار: ٢٢٠/٤٩.

(٢) الكافي: ٤٩١/١ ، الإرشاد: ٢٦٨/٢، مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٥١، وعـن الإرشـاد فـي بـحار الأنـوار: ٥٧/٤٩ .

سنة (٢٠٠ هـ) كتب الى الإمام الرضا (عليه السلام) يدعوه للقدوم الى خراسان[١]، فاعتل (عليه السلام) بعلل كثيرة، واستمر المأمون يكاتبه ويسأله حتى علم (عليه السلام) أنّه لا يكف عنه، فاستجاب له، وأمر الموكل بالإمام (عليه السلام) أن لا يسير به عن طريق الكوفة وقم، فسار به عن طريق البصرة والأهواز وفارس حتى وصل الى مرو، وهنالك عرض عليه المأمون أن يتقلّد الخلافة والإمرة، فأبى (عليه السلام) ذلك، وجرت في هذه القضية مخاطبات كثيرة دامت نحواً من شهرين، وكان الإمام (عليه السلام) يأبىٰ أن يقبل ما يعرض عليه، فلما كثر الكلام والخطاب في هذه القضية، قال المأمون : فولاية العهد، فأجابه الإمام (عليه السلام) بعد الإلحاح والتلويح بالقتل الى ذلك . وشرط (عليه السلام) بعض الشروط وقال (عليه السلام) :

«إنّي ادخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى ولا أقضي ولا أُغيّر شيئاً ممّا هو قائم وتعفيني من ذلك كله»[٢]. فأجابه المأمون الى ذلك، فتمّت ولاية العهد في شهر رمضان سنة (٢٠١ هـ)[٣].

دوافع المأمون لفرض ولاية العهد على الإمام (عليه السلام):

لم تكن دوافع المأمون من جعل الإمام (عليه السلام) ولياً لعهده نابعة من ولائه لأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنّ مغريات السلطة والرئاسة متغلبة على جميع الولاءات والميول، ولم يكن المأمون صادقاً في ولائه، وكان ميله للعلويين اصطناعاً[٤]، ولا يمكن التصديق بعمق الولاء حتى يكون دافعاً للتنازل عن الحكم

(١) انظر عيون أخبار الرضا: ١٥٩/٢، تاريخ الطبري: ١٣٢/٧، الكامل في التاريخ: ٣١٩/٦.

(٢) انظر ذلك باختلاف يسير في الكافي: ٤٨٩/١، عيون أخبار الرضا : ٢ /١٦٠ ـ ١٦١، وانظر الإرشاد: ٢٥٩/٢ ـ ٢٦٠.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١٦٨/١، ٢٧٤، تاريخ الطبري: ١٣٩/٧، الكامل في التاريخ: ٣٢٦/٦.

(٤) انظر شذرات الذهب : ٢ / ٧٠.

وتسليمه الى الإمام الرضا (عليه السلام) أو توليته للعهد من بعده، فهل يُعقل أن يضحّي المأمون بالحكم الذي قتل من أجله الآلاف من الجنود والقادة، وقتل أخاه وبعض أهل بيته، ثم يسلّمه الى غيره ؟!

وبالفعل لم يدم الأمر طويلاً، ورحل الإمام (عليه السلام) الى ربّه والمأمون حي يرزق، فدوافع المأمون نابعة من مصلحة حكمه ومستقبل أهل بيته، وهو حال جميع أو أغلب الحكّام المتعاقبين على دفة الحكم، وإلّا فما معنىٰ الإلحاح على الإمام (عليه السلام) حتى وصل الى درجة التلويح بل التصريح بالقتل ـ كما سيأتي ـ ويمكن تحديد دوافع المأمون بالنقاط التالية :

أوّلاً : تهدئة الأوضاع المضطربة

كانت الأوضاع في عهد المأمون مضطربة للغاية، فبعد قتال دامٍ مع أخيه واستيلائه على الحكم فوجئ بعدة ثورات وحركات مسلحة، ومنها ثورات العلويين، وكان المعارضون لحكمه منتشرين في جميع الأمصار الإسلامية، وقد وضّح المأمون حقيقة الأوضاع قائلاً :

والله ما أنزلت قيساً من ظهور خيولها إلّا وأنا أرى أنّه لم يبق في بيت مالي درهم واحد ... وأمّا اليمن، فوالله ما أحببتها، ولا أحبتني قطّ، وأمّا قضاعة فساداتها تنتظر السفياني وخروجه، حتى تكون من شيعته، وأمّا ربيعة فساخطة على ربّها مذ بعث الله نبيّه من مُضر[1].

وقد خلخلت الثورات المسلحة الوضع العسكري والسياسي، فقد نظر في الدواوين فوجد من قتل من أصحاب السلطان في وقائع أبي السرايا مائتا

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ٢١٢/٧، الكامل في التاريخ: ٦ / ٤٣٢، ٤٣٣ .

ألف رجل[١].

فأراد المأمون من تقريب الإمام (عليه السلام) وتولّيه العهد أن يستقطب أعوانه وأنصاره، ويوقف زحفهم ونشاطهم العسكري، بل يستميلهم الى جانبه ليتفرّغ الى بقية الثائرين والمتمردين الذين لا يعتد بهم قياساً للثوار العلويين.

وأرادكسب الأغلبية العظمى من المسلمين لارتباطهم العاطفي والروحي بالإمام (عليه السلام) وخصوصاً أهل خراسان الذين أعانوه على احتلال بغداد، والشاهد على ذلك استقبال الإمام (عليه السلام) من قبل العلماء والفقهاء وأصحاب الحديث، والذين زاد عددهم علىٰ عشرين ألفاً في نيسابور[٢].

وبتقريب الإمام (عليه السلام)كان يمكنه امتصاص نقمة المعارضة، وتفويت الفرصة عليها للمطالبة بالحكم، وشق صفوفها عن طريق تقريب البعض وإقناعهم بترك الثورة المسلحة دون البعض الآخر .

ثانياً : إضفاء الشرعية على حكمه

إنّ شرعية الحاكم عند المسلمين مستمدة من النصّ عليه من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو رأي أهل البيت (عليهم السلام)، أو من الشورى وموافقة أهل الحل والعقدكما هو في نظرية أهل السنّة، أو العهد من قبل السابق مشروطاً برضىٰ الأُمّة المتأخّر عن زمن العهد وهو رأي بقية الفقهاء، وهؤلاء الفقهاء وإن أقرّوا حكومة المأمون إلّا أنّ إقرارهم كان نابعاً من الترغيب والترهيب، أو استسلاماً منهم للأمر الواقع وعدم قدرتهم على إزالته .

من هنا فالمأمون أدرك أنّ حكمه بحاجة الى إضفاء الشرعية عليه، لذا

(١) مقاتل الطالبيين : ٣٦٦.

(٢) الفصول المهمّة: ١٠٠٣/٢، الصواعق المحرقة: ٥٩٥/٢، ينابيع المودّة: ١٢٣/٣، نور الأبصار: ٢٣٦.

أظهر استعداد التنازل عن الحكم ليقوم الإمام الرضا (عليه السلام) بالتصدّي له، وحينما رفض الإمام (عليه السلام) إستلام الحكم عرض عليه ولاية العهد فاضطره الى قبولها، والإمام (عليه السلام) موضع قبول ورضى من قبل جميع المسلمين كما عبّر الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) عن هذه الحقيقة بقوله :

«رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحدٍ من آبائه(عليهم السلام)، فلذلك سمي من بينهم الرضا»[١].

وقبوله للعهد ـ في رأي المأمون ورأي كثير من المسلمين ـ يعني اعترافه بشرعية حكم المأمون، والرضا الظاهري بتقبّل ولاية العهد، يعني رضاه عن الحكم الواقع وعدم معارضته له، ورضاه هو رضا الأُمّة التي تواليه عاطفياً وفكرياً.

ثالثاً : منع الإمام من الدعوة لنفسه

إنّ الإمام (عليه السلام) مسؤول عن دعوة الأُمّة للارتباط بالإمام الحقّ وبالمنهج الحقّ، والمتجسّد بامامته وبمنهج أهل البيت (عليهم السلام)، ولذلك فإنّه لا يتوانىٰ عن هذه المسؤولية، ومن هنا كان تفكير المأمون منصباً على منع الإمام من الدعوة لنفسه، أو تحجيم سعة الدعوة، والمتعارف عليه أنّ ولي العهد يدعو للحاكم الفعلي ثم يدعو لنفسه، وقد عبّر المأمون عن دوافعه بالقول :

قد كان هذا الرجل مستتراً عنّا يدعو الىٰ نفسه دوننا، فأردنا أن نجعله وليّ عهدنا ليكون دعاؤه لنا[٢].

---

(١) عيون أخبار الرضا : ١ / ٢٢، وعنه في كشف الغمّة: ٨٨/٣، وعنه في بحار الأنوار: ٤/٤٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٨١/٢، دلائل الإمامة: ٣٧٩، فرائد السمطين : ٢ / ٢١٤ .

رابعاً : إبعاد الإمام عن قواعده

وجود الإمام (عليه السلام) في العاصمة الى جنب المأمون يعني إبتعاده عن قواعده الشعبية، وتحجيم الفرص المتاحة للاجتماع بوكلائه ونوّابه المنتشرين في شرق الأرض وغربها، وإبعاد الإمام (عليه السلام) عن قواعده يعني التقليل من التوجيه والإرشاد المباشر لها، ومن خلال ذلك يمكن مراقبة الإمام(عليه السلام) مراقبة دقيقةً ومعرفة تحركاته ولقاءاته اليومية، فقد قام المأمون بتقريب هشام بن إبراهيم الراشدي، وقدكان ممّن يتقرّب الى الإمام(عليه السلام) ويحاول الاختصاص به وولّاه حجابة الإمام(عليه السلام)، فكان ينقل الأخبار إليه، وكان يمنع من إتصال كثير من مواليه به، وكان لا يتكلم الإمام في شيء إلّا أورده هشام على المأمون[1].

خامساً : إيقاف خطر الإمام على الحكم القائم

إنّ التفاف المسلمين حول الإمام (عليه السلام) وتوسع قاعدته الشعبية كان يشكل خطراً على الحكم القائم وخصوصاً أن الحكم قد خرج من معارك طاحنة بين الأمين والمأمون، وبين المأمون والمعارضين، فقوة الإمام (عليه السلام) تعني ضعف المأمون، وقد اعترف المأمون بذلك فقال :

وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينفتق علينا منه ما لانسدّه، ويأتي علينا ما لا نطيقه[2].

(١) عيون أخبار الرضا: ٢/١٦٤ ـ ١٦٥، وعنه في بحار الأنوار : ٤٩ / ١٣٩ .

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢/١٨١ـ ١٨٢، دلائل الإمامة: ٣٧٩، باختلاف يسير في اللفظ، فرائد السمطين: ٢/ ٢١٤.

سادساً : تشويه سمعة الإمام(عليه السلام)

أراد المأمون من خلال تولية الإمام (عليه السلام) للعهد ان يشوه سمعته بالتدريج عن طريق عيونه ووسائل إعلامه، وقد كشف الإمام (عليه السلام) هذه الحقيقة للمأمون بقوله : **«تريد بذلك أن يقول الناس إنّ عليّ بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، الا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة»**[١].

وصرّح المأمون للعباسيين ببعض دوافعه بقوله: ولكنّا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحق هذا الأمر[٢].

سابعاً : تفتيت جبهة المعارضة

إنّ المعارضين لحكم المأمون سينظرون الى الإمام (عليه السلام) على أنه جزء من الحكومة القائمة، وتتعمّق هذه النظرة حينما يجدون أنّ إخوة الإمام (عليه السلام) وأبناء عمومته قد أصبحوا ولاة وأُمراء على الأمصار، وبالفعل فقد عيّن العبّاس وإبراهيم أخويّ الإمام (عليه السلام) ولاة على الكوفة واليمن[٣].

ففي هذه الحالة اصبح باقي المعارضين وجهاً لوجه أمام أنصار الإمام (عليه السلام)، وهذا يعني تفتيت جبهة المعارضة، فإذا أرادت المعارضة القيام بحركة مسلحة فإنها ستواجه الوالي العلوي مباشرة، ويقوم الوالي باصدار الأوامر لقمعها، وتلقى المسؤولية عليه، وكان المأمون يتمنىٰ هذا الأمر فلجأ الى تولية الإمام(عليه السلام) ولاية العهد ليحقق هذه الأُمنية، وإضافة الى ذلك فإنّه

(١) علل الشرايع : ٢٣٨، عيون أخبار الرضا: ١٥٢/٢، أمالي الصدوق: ١٢٦، وعن الجميع في بحار الأنوار: ١٢٩/٤٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٨٢/٢، دلائل الإمامة: ٣٨٠، فرائد السمطين: ٢١٤/٢ ـ ٢١٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ٢٤٧/٣ ـ ٢٤٨، ٢٥٠، وانظر تاريخ الطبري: ١٤٣/٧، ١٤٩، الكامل في التاريخ: ٣٤٢/٦، ٣٥٠.

أراد أن يلقي مسؤولية بعض المفاسد الإدارية والحكومية على من نصّبهم في الأمصار من أهل البيت (عليهم السلام) أو من أتباعهم .

أسباب قبول الإمام (عليه السلام) بولاية العهد:

قال المأمون للإمام الرضا (عليه السلام) : يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.

فقال الإمام (عليه السلام) : «**بالعبودية لله عزّوجلّ أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله تعالى**» .

فقال له المأمون: إنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأُبايعك !.

فقال له الرضا (عليه السلام) : «**إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك**».

فقال له المأمون : يا ابن رسول الله لابدّ من قبول هذا الأمر.

فقال (عليه السلام) : «**لست أفعل ذلك طائعاً أبداً**».

فما زال يجهد به أيّاماً حتى يئس من قبوله، فقال له : فإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي.

ثم جرى بينهما كلام أوضح فيه الإمام دوافع المأمون من ذلك، فغضب المأمون ثم قال : إنّك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبالله أُقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلّا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلّا ضربت عنقك.

فقال الإمام(عليه السلام) : «**قد نهاني الله عزّوجلّ أن أُلقي بيدي الى التهلكة فإن كان الأمر**

على هذا فافعل ما بدا لك وأنا أقبل ذلك على أن لا أُولّي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقضنّ رسماً ولا سنّة وأكون في الأمر بعيداً مشيراً»، فرضي منه بذلك وجعله وليّ عهده على كراهة منه (عليه السلام) لذلك[1].

وفي رواية أُخرى، أنّ المأمون قال له: إنّ عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة، أحدهم جدك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) وشرط فيمن خالف منهم أن تُضرب عنقه، ولابدّ من قبولك ما أريده منك، فإنّي لا أجد محيصاً عنه[2].

وقد صرّح الإمام (عليه السلام) باضطراره للقبول لمن سأله أو إعترض عليه بسبب قبوله فقال (عليه السلام) : **«قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم ! اما علموا أنّ يوسف (عليه السلام) كان نبياً ورسولاً، فلما دفعته الضرورة الى تولّي خزائن العزيز، قال : ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[3]، ودفعتني الضرورة الى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أنّي ما دخلت في هذا الأمر إلّا دخول خارج منه، فالى الله المشتكى وهو المستعان»**[4].

وقيل له : يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد ؟

فقال (عليه السلام) : **«ما حمل جدي أمير المؤمنين (عليه السلام) على الدخول في الشورىٰ»**[5].

والإمام (عليه السلام) لم يستسلم للقبول خائفاً من قتل نفسه، وانّما يكون قتله خسارة للحركة الرسالية، وأنّ الاُمّة في تلك المرحلة بحاجة الى قيادته في

---

(١) علل الشرايع : ٢٣٧ ـ ٢٣٨، عيون أخبار الرضا: ١٥١/٢ ـ ١٥٢، أمالي الصدوق: ١٢٥ ـ ١٢٧.

(٢) الإرشاد : ٢٥٩/٢ ، ٢٦٠، إعلام الورىٰ: ٧٢/٢، باختلاف يسير، ونحوه في مقاتل الطالبيين: ٣٧٥.

(٣) يوسف (١٢): ٥٥ .

(٤) عيون أخبار الرضا : ٢ / ١٥٠ ـ ١٥١، علل الشرائع: ٢٣٩/١، أمالي الصدوق: ١٣٠ ـ ١٣١، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٥) عيون أخبار الرضا: ٢ / ١٥٢، مناقب آل أبي طالب: ٤٧٣/٣، وعن العيون في بحار الأنوار: ١٤٠/٤٩.

جميع مجالات الحياة، فلو قتل فإنّ الاضطراب والخلل سيعم قواعده الشعبية، وكذلك سيكون قتله فاتحة لقتل أهل بيته واعوانه وأنصاره، وقد يؤدّي قتله الى قيام ثورات مسلّحة دون تأنٍّ ورويّة، يدفعها طلب الثأر والانتقام الى ثورة عاطفية مفاجئة دون تخطيط مسبق، وبالتالي تنهار القوة العسكرية دون أن تغيّر من الأحداث شيئاً .

نعم هذا هو السبب الوحيد ـ كما يبدو ـ لقبول الإمام(عليه السلام) لولاية العهد عن إكراه واضطرار. ومن هنا فالإمام(عليه السلام) لابدّ أن يستثمر ما يمكنه استثماره لاحياء السنن واماتة البدع وتعبئة الطاقات وإفشال خطط المأمون المستقبلية وتصحيح ما يمكنه من أفكار ومفاهيم سياسية خاطئة .

استثمار الإمام(عليه السلام) للظروف:

أوّلاً: استثمار الظروف لاقامة الدين وإحياء السنّة

إنّ الحرية النسبية الممنوحة للإمام (عليه السلام) ولأهل بيته وأنصاره هي فرصة مناسبة لتبيان معالم الدين وإحياء السنّة، ونشر منهج أهل البيت (عليهم السلام) في مختلف الاوساط الاجتماعية والسياسية، فالإمام (عليه السلام) يمكنه التحرك في البلاط والالتقاء بالوزراء وقادة الجيش وخواص المأمون، ويمكن لإخوانه الذين أصبحوا ولاة التحرك في أمصارهم، وكذلك أنصاره يمكنهم التحرك في وسط الأُمّة، وفي هذا الصدد قال (عليه السلام) : «**اللهمّ إنّك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي الى التهلكة، وقد أكرهت واضطررت كما أُشرفت من قبل عبدالله المأمون على القتل متى لم أقبل ولاية عهده ... اللهمّ لا عهد إلّا عهدك، ولا ولاية إلّا من قبلك، فوفقني لإقامة دينك، وإحياء سنّة نبيك محمّد (صلى الله عليه وآله)، فإنك أنت المولى وأنت النصير، ونعم المولى أنت**

ونعم النصير»[١].

وقد سمحت الظروف للإمام (عليه السلام) لتبيان المنهج السليم أمام الوزراء والقضاة والفقهاء وأهل الديانات الذين جمعهم المأمون لمناظرة الإمام، إضافة الى قيامه بتوجيه المأمون الى اتخاذ الرأي والموقف الأصوب، وحل المسائل المستعصية.

ثانياً: تعبئة الطاقات

بعد فشل الثورات العلوية وانكسارها عسكرياً، أصبح الظرف مناسباً لإعادة بناء قوّاتها، وتعبئة الطاقات عن طريق إيقاف الملاحقة والمطاردة لها، فهي بحاجة الى قسط من الراحة لإدامة التحرك فيما بعد، وهذه المكاسب لا تتحقق إن لم يقبل الإمام (عليه السلام) بولاية العهد.

ثالثاً: إفشال مخططات المأمون

من المتوقع أن يقوم المأمون ـ في حالة رفض الإمام(عليه السلام) لقبول ولاية العهد ـ بتولية العهد لأحد العلويين، ويستثني عن إكراه الإمام (عليه السلام) وقتله، والعلوي الذي ينصبه ولياً للعهد، إمّا أن يكون مساوماً وانتهازياً، أو مخلصاً قليل الوعي، أو مخلصاً معرّضاً للانزلاق في مغريات السلطة، وفي جميع الحالات، فإنّ هذا الموقف سيؤدي الى شق صفوف أنصار أهل البيت (عليهم السلام)، أو توريط العلوي بممارسات خاطئة تؤدّي الى تشويه سمعة أهل البيت (عليهم السلام)، أو القاء المسؤولية عليه، وقد يؤدّي انزلاق من يتولى

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢٩/١، وعنه في كشف الغمّة: ٩٠/٣، وعنه أيضاً في بحار الأنوار: ١٣١/٤٩.

العهد من العلويين الى قيامه بمعارضة الإمام (عليه السلام) أو ملاحقة أتباعه وأنصاره .

وبقبول الإمام (عليه السلام) لولاية العهد فوّت الفرصة على المأمون لإمرار مخططاته في شق صفوف أنصار أهل البيت (عليهم السلام) أو القاء تبعية المفاسد على من ينسب إليهم .

رابعاً : تصحيح الأفكار السياسية الخاطئة

من الأفكار السائدة عند كثير من المسلمين هي عدم ارتباط الدين بالسياسة، وأنّه لا يليق بالأئمة والفقهاء أن يكونوا سياسيين، أو يتولوا المناصب السياسية، وان الزهد في الحكومة والخلافة هو مقياس التقييم، وقد حاول العبّاسيون تركيز هذا المفهوم عند المسلمين، فأراد الإمام (عليه السلام) بقبوله بولاية العهد أن يصحح هذه الأفكار السياسية الخاطئة ويوضّح للمسلمين وجوب التصدي للحكم إن كانت الظروف مناسبة للتصدي .

والأفكار الخاطئة حقيقة قائمة، فقد دخل أحد أنصار الإمام (عليه السلام) عليه وقال له : يا ابن رسول الله إنّ الناس يقولون إنّك قبلت ولاية العهد، مع إظهارك الزهد في الدنيا[١].

ولا يمكن إزالة هذه الأفكار عن طريق التربية والتوجيه البياني فقط لأنّ هذه المهمّة تحتاج الى وقت طويل ونشاط إضافي، ولكنّها ستزول بالتوجيه العملي المباشر، وهو قبول ولاية العهد .

---

(١) علل الشرايع : ٢٣٩، أمالي الصدوق: ١٣٠، عيون أخبار الرضا: ٢/١٥٠.

كيف تحقّقت البيعة بولاية العهد ؟

بعد قبول الإمام الرضا (عليه السلام) بولاية العهد مضطراً، جمع المأمون خواصه من الأُمراء والوزراء والحجّاب والكتّاب وأهل الحلّ والعقد، وأمر الفضل بن سهل أن يخبرهم حول ولاية العهد، وأن يلبسوا الخضرة بدلاً من السواد، ثم أعطاهم استحقاقاتهم من الأموال لسنة متقدمة ثم صرفهم، وبعد أُسبوع حضر الناس وجلسوا، كلٌ في موضعه، وجلس المأمون ثم جيء بالإمام الرضا (عليه السلام) فجلس وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة مقلد بسيف، فأمر المأمون ابنه العبّاس بأن يكون أوّل من يبايعه (عليه السلام)، فرفع الإمام (عليه السلام) يده، فتلقىٰ بها وجه نفسه وببطنها وجوههم، فقال له المأمون: ابسط يدك للبيعة، فقال الإمام (عليه السلام): **«إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) هكذا كان يبايع فبايعه الناس ويده فوق أيديهم»** .

ثم وزعت الهدايا على الحاضرين، وقام الخطباء والشعراء فذكروا ولاية العهد، وعدّدوا فضائل ومآثر الإمام (عليه السلام) .

وطلب المأمون من الإمام (عليه السلام) أن يخطب الناس، فقام (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه وعلى نبيّه (صلى الله عليه وآله) ثم قال : **«إنّ لنا عليكم حقّاً برسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكم علينا حقّاً به، فإذا أدّيتم إلينا ذلك، وجب علينا الحقّ لكم»**[1].

ثم صعد المأمون المنبر فقال : (أيّها الناس جاءتكم بيعة عليّ بن موسى ابن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، والله لو

(١) انظر الإرشاد : ٢/٢٦١ ـ ٢٦٢، إعلام الورى : ٢/٧٣ ـ ٧٤ وفي الفصول المهمّة: ٢/١٠٠٦ ـ ١٠٠٧، مقاتل الطالبيين: ٣٧٦.

قرأت هذه الأسماء على الصم البكم لبرؤوا بإذن الله عزّ وجلّ)(١).

وقد توقع الإمام (عليه السلام) أن ولاية العهد لاتتم، فحينما رأى سرور بعض مواليه، قال له بهمس :

«لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر به، فإنّه شيء لا يتم»(٢).

وبالفعل فقد صدق ما قاله، فإنّه توفّي قبل وفاة المأمون .

فقرات من كتاب العهد بخط المأمون

كتب المأمون كتاب العهد بخط يده، ووضّح فيه سبب اختياره للإمام (عليه السلام)، وإليك فقرات منه : فكانت خيرته ... عليّ بن موسى بن جعفر ابن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، لما رأى من فضله البارع، وعلمه الناصع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدنيا، وتسلمه من الناس، وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل، يافعاً وناشئاً وحدثاً ومكتهلاً، فعقد له بالعهد والخلافة من بعده ... ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته، وقواده، وخدمه فبايعوا مسارعين مسرورين ...(٣).

---

(١) عيون أخبار الرضا : ٢ / ١٥٨، أمالي الصدوق : ٧٥٨ وفيه: «لو قرئت... لبرئوا...»، وعن العيون في بحار الأنوار: ١٣٠/٤٩.

(٢) الإرشاد: ٢٦٣/٢ عن المؤرخ المدائني، إعلام الورىٰ : ٧٤/٢، مناقب آل أبي طالب: ٤٧٣/٣، الفصول المهمّة: ١٠٠٧/٢.

(٣) كشف الغمّة: ١٢٦/٣ ـ ١٢٧، وانظر الفصول المهمّة: ١٠٠٩/٢ ـ ١٠١٠، وعن كشف الغمّة في بحار الأنوار: ١٥١/٤٩.

فقرات مكتوبة بظهر كتاب العهد بخط الإمام (عليه السلام)

كتب الإمام بخطه على ظهر كتاب العهد كتاباً جاء فيه «**... وانه جعل إليّ عهده والإمرة الكبرىٰ إن بقيت بعده فمن حلّ عقدة أمر الله بشدّها وفصم عروة أحبّ الله إيثاقها فقد أباح حريمه وأحلّ محرمه، إذ كان بذلك زارياً على الإمام، منتهكاً حرمة الإسلام، بذلك جرى السالف فصبر عنه ... خوفاً من شتات الدين واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية، ورصد فرصة تنتهز وباقية تبتدر؛ وقد جعلت لله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافته العمل فيهم ... بطاعته وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله)، وأنْ لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيح فرجاً، ولا مالاً إلّا ما سفكته حدود الله، وأباحته فرائضه، وأن اتخير الكفاة جهدي وطاقتي ... وإن أحدثت أو غيّرت أو بدّلت كنت للغير مستحقاً، وللنكال متعرّضاً ... وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن الحكم إلّا لله، يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين...**»[1].

فقد وضّح الإمام (عليه السلام) للأُمّة المنهج السياسي للحاكم الإسلامي، ودوره في تطبيق أحكام الشريعة، وأسباب عزله وغير ذلك من المفاهيم السياسية، وكان الكتابان قد كتبا في السابع من شهر رمضان سنة (٢٠١ هـ)[2].

أوامر المأمون بعد البيعة

أمر المأمون بطرح السواد وهو شعار العبّاسيين، واستبداله بالخضرة، وأمر الجميع بذلك وبالبيعة للإمام (عليه السلام) وكتب الىٰ الأمصار بذلك، وضرب الدراهم باسم الإمام، فلما وصل كتابه الى بغداد أجابه البعض وامتنع البعض

(١) كشف الغمّة: ١٢٨/٣ ـ ١٢٩، ونحوه في مناقب آل أبي طالب: ٤٧٤/٣، الفصول المهمّة: ١٠١١/٢ ـ ١٠١٢.
(٢) كشف الغمّة: ١٢٧/٣، الفصول المهمّة: ١٠١٠/٢، وعن كشف الغمّة في بحار الأنوار: ١٥٢/٤٩.

الآخر[١].

وقام المأمون بسجن ثلاثة من قواده لرفضهم البيعة[٢].

وتمرّد العباسيون على المأمون رافضين للبيعة وبايعوا لإبراهيم بن المهدي في بغداد[٣].

وتمرّدوا في الكوفة وكان شعارهم يا إبراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون[٤].

ولم يستطيعوا الاستمرار في التمرّد، فقد أطاعت جميع الأمصار المأمون، وبايعت للإمام بولاية العهد، وكان الدعاء للإمام (عليه السلام) بالصورة التالية :

«ولي عهد المسلمين عليّ بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن علي عليهم السلام .

ستة آباء هم ما هم أفضل من يشرب صوب الغمام»[٥]

أحداث مابعد البيعة

بحلول العيد أي بعد ثلاثة وعشرين يوماً من كتابة العهد بعث المأمون الىٰ الإمام (عليه السلام) يسأله أن يصلي بالناس صلاة العيد ويخطب ليطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضله، وتقرّ قلوبهم على هذه الدولة، فبعث إليه الإمام (عليه السلام) بالقول : **«قد علمت ماكان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر»**، فقال

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ١٣٩/٧، الكامل في التاريخ: ٣٢٦/٦.

(٢) انظر عيون أخبار الرضا: ١٦١/٢، وعنه في بحار الأنوار: ١٣٣/٤٩.

(٣) انظر تاريخ الطبري: ١٣٩/٧، الكامل في التاريخ: ٣٢٧/٦.

(٤) تاريخ الطبري: ١٤٤/٧، الكامل في التاريخ: ٣٤٣/٦.

(٥) الإرشاد: ٢٦٢/٢ ـ ٢٦٣، إعلام الورىٰ: ٧٤/٢، وانظر الفصول المهمّة: ١٠٠٧/٢ باختلاف يسير، ورواه في عيون أخبار الرضا: ١٥٧/٢، بلفظ (سبعة...) مع اختلاف يسير، واللفظ المنقول لإعلام الورىٰ.

المأمون: إنّما أُريد بهذا ان يرسخ في قلوب العامة والجند والشاكرية هذا الأمر، فتطمئن قلوبهم، ويقرّوا بما فضّلك الله به.

فلم يزل يرادّه الكلام في ذلك، فلما الحّ عليه، قال: «**... إن أعفيتني من ذلك فهو أحبُّ إليّ، وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكما خرج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)**»، فقال المأمون: اخرج كما تحب.

وأمر المأمون القوّاد والناس فقعدوا عند باب الإمام (عليه السلام) وفي الطرقات والسطوح، فلما طلعت الشمس، خرج الإمام متعمّماً بعمامة بيضاء والقىٰ طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه، ورفع ثوبه وهو حاف، ومعه مواليه على نفس الحالة، ثم رفع رأسه الىٰ السماء، وكبّر أربع تكبيرات، وقال: «**الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا ...**» ورفع صوته فأجهش الناس بالبكاء والعويل، ونزل القوّاد عن دوابهم وترجّلوا، وضجّت مرو ضجّة واحدة، ولم يتمالك الناس من البكاء والضجيج، وكان الإمام (عليه السلام) يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفة، ولما سمع المأمون بذلك، قال له الفضل ابن سهل: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلّىٰ على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه وسأله الرجوع، فدعا الإمام (عليه السلام) بخفّه فلبسه ورجع [1].

واستطاع الإمام (عليه السلام) بفعله هذا أن يعيد سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صلاة العيد، بعد أن إندثرت معالمها لعدم إهتمام الحكّام والولاة بها، واستطاع الإمام (عليه السلام) أن يدخل الى قلوب الناس، في هذا العمل الآني، فقد تأثر به الجميع بما فيهم قوّاد المأمون.

(١) انظر الكافي: ٤٨٩/١، عيون أخبار الرضا: ١٦١/٢ ـ ١٦٢، الإرشاد: ٢٦٤/٢ ـ ٢٦٥، واللفظ للثاني.

مكتسبات القبول بولاية العهد:

إنّ الموقف الذي يتخذه الإمام (عليه السلام) لابدّ من اشتماله على مصلحة ذات عائد مقبول للإسلام والمسلمين ولأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، وقد حصل الإمام(عليه السلام) على مكتسبات عديدة بعد اضطراره للقبول بولاية العهد، ولولا قبوله لما تحققت تلك المكتسبات، ومن هذه المكتسبات :

أوّلاً : اعتراف المأمون بأحقيّة أهل البيت (عليهم السلام)

قام الأُمويون ومن بعدهم العبّاسيون بمحاولة طمس فضائل أهل البيت(عليهم السلام) والتقليل من شأنهم، واستخدموا جميع طاقاتهم للحد من ذلك، تحت الترغيب والترهيب، ولكنّ الوضع تغيّر بعد قبول الإمام (عليه السلام) بولاية العهد، فقد قام المأمون بتوضيح هذه الفضائل، وتوضيح مظلومية أهل البيت(عليهم السلام) من قبل الحكّام السابقين .

فقد أجاب المأمون على كتاب كتبه له بنو هاشم، وضّح فيه تلك الحقائق إذ جاء فيه : «... فلم يقم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحدٌ من المهاجرين كقيام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فإنه آزره ووقاه بنفسه ... وهو صاحب الولاية في حديث غدير خم، وصاحب قوله : «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي ...**» وكان أحبّ الخلق الى الله تعالى والى رسوله، وصاحب الباب، فتح له وسدّ أبواب المسجد، وهو صاحب الراية يوم خيبر، وصاحب عمرو بن عبد ود في المبارزة، وأخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين آخى بين المسلمين».

ثم وضّح في الكتاب نفسه مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) معترفاً بجرائم العبّاسيين بحقّهم فقال : «... ثم نحن وهم يد واحدة كما زعمتم، حتى قضى

الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم، وضيّقنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بني أُميّة إيّاهم»(١).

وفي موضع آخر إحتجّ المأمون على الفقهاء بفضائل الإمام عليّ (عليه السلام) وأحقيّته بالخلافة، فماكان من الفقهاء إلّا تأييد ما قاله، فقال يحيىٰ بن أكثم القاضي : يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحقّ لمن أراد الله به الخير، وأثبت ما يقدر أحدٌ أن يدفعه، واتّبعه الفقهاء بالقول :كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله(٢).

وكان المأمون يتحدّث عن فضائل أهل البيت (عليهم السلام) في أغلب جلساته، وهذا يعني تشجيعاً للولاة والأُمراء ليتحدّثوا عن أهل البيت (عليهم السلام) بمثل ما تحدّث به، وتشجيعاً لأنصار أهل البيت (عليهم السلام) في ذكر فضائلهم بحرية تامّة، وهذا ما يزيد من توسّع القاعدة الشعبية الموالية لأهل البيت فكراً وعاطفة وسلوكاً .

واعترف المأمون أيضاً بأفضلية الإمام الرضا (عليه السلام) وأحقيته بالخلافة وأخبر خواصه بأنّه : نظر في ولد العبّاس وولد عليّ رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحقّ بالأمر من عليّ بن موسى الرضا(٣).

ثانياً : توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام (عليه السلام)

وظّف المأمون وسائل الإعلام لصالح الإمام (عليه السلام) فأصبح من أكثر الناس

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس: ٢٧٧، بحار الأنوار : ٤٩ / ٢٠٩ ـ ٢١٠،كلاهما عن كتاب: نديم الفريد، لابن مسكويه .

(٢) العقد الفريد : ٥ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٣) مروج الذهب : ٤ / ٣٤، الأئمة الاثنا عشر لابن طولون : ٩٧، وانظر نحو ذلك في تاريخ الطبري: ١٣٩/٧، الكامل في التاريخ: ٣٢٦/٦.

شيوعاً صيتهُ، وتحققت معرفة المسلمين وغير المسلمين به، فالولاة والأُمراء وأئمة الجمعة، يدعون له من على المنابر كل يوم وكل جمعة وكـل مـناسبة، إضافة الى طبع اسمه على الدراهم والدنانير المعمول بها في جميع الأمـصار، ووجد الخطباء والشعراء الفرصة مناسبة للترويج لشخصية الإمام(عليه السلام) وآبـائه وأجداده، فكثرت الخطب والأشعار المادحة له، والذاكرة لفـضائله وفـضائل أهل بيته، وانتشرت في جميع الأمصار، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدلّ على تعميق الارتباط بالإمام (عليه السلام) وتبنّي أفكاره وآرائه المطابقة للمنهج الإسلامي السليم، ولولا قبوله بولاية العـهد لمـاكـان ذلك بـالصورة الأوسع والأمـثل، مادامت وسائل الإعلام الرسمية موجودة في جميع الأمصار، دون الحاجة الى بث الدعاة لمنهجه ومنهج أهل بيته (عليهم السلام).

وقدكان المأمون سبّاقاً لغيره في نظم الشعر، ومما جاء فـي شـعره، بـعد ولاية العهد:

أُلام عـلى حبّ الوصـيّ أبـي الحسـن   وذلك عندي من عجائب ذي الزمن
خـــليفة خـــير النـــاس والأوّل الذي   أعــان رسـول الله فـي السـر والعـلن

وقال أيضاً:

لا تـــقبل التـــوبة مـــن تـــائبٍ   إلّا بـــحبّ ابـــن أبـــي طـالب
أخـــو رســـول الله حـــلف الهـــدى   والأخ فـــوق الخـــل والصـاحب[1]

وهذا الشعر وغيره من مدائح المأمون لأهل البيت (عليهم السلام) قد أثـمر فـيما بعد، حتى أنّه بعد استشهاد الإمام (عليه السلام) بثمان سنين أي في سنة (٢١١ هـ) أمر المأمون أن ينادىٰ:

(١) تذكرة الخواص: ٢/٤٨٥، ٤٨٦ عن كتاب الأوراق للصولي.

«برئت الذمة ممّن ذكر معاوية بخير، وأنّ أفضل الخلق بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) عليّ بن أبي طالب»[١].

ثالثاً: حرية الإمام (عليه السلام) في مناظرة أهل الأديان والمذاهب

منح المأمون نوعاً من الحرية للإمام (عليه السلام) للتحدث بما يؤمن به من أفكار ومعتقدات وآراء سياسية، وأمر المأمون الفضل بن سهل أن يجمع للإمام (عليه السلام) أصحاب المقالات: ومنهم: الجاثليق وهو رئيس الأساقفة، (معرّب: كاثوليك) ورأس الجالوت عالم اليهود، ورؤساء الصابئين، وعظماء الهنود من أبناء المجوس، وأصحاب زردشت، وعلماء الروم، والمتكلمين، وقد إحتجّ الإمام (عليه السلام) بالكتب المعتبرة عندهم، وقد اعترف الجميع بأعلمية الإمام (عليه السلام)، بعد أن فنّد حججهم، فأذعنوا لقوله، واعترفوا بصحة أفكاره وآرائه.

وبعد جدال ونقاش طويل قال الجاثليق: «القول قولك، ولا إله إلّا الله»[٢].

وبعد حوار طويل أسلم عمران الصابي وقال: «أشهد أن الله على ما وصفته ووحدته، وأشهد أنّ محمّداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحقّ ثم خرّ ساجداً نحو القبلة».

ولما نظر المتكلمون الى كلام عمران الصابي، وكان جدلاً لم يقطعه عن حجّته أحد منهم قط، لم يدن من الإمام (عليه السلام) أحد منهم ولم يسألوه

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٦٨/١، وانظر تاريخ الطبري: ١٨٧/٧، ١٨٨، والكامل في التاريخ: ٤٠٦/٦، ٤٠٨، لكنّهما ذكرا أنّ إظهار المأمون تفضيل عليّ بن أبي طالب كان في سنة (٢١٢ هـ).

(٢) التوحيد: ٤١٧ ـ ٤٢٤، عيون أخبار الرضا: ١٣٩/١ ـ ١٤٥، الاحتجاج: ١٩٩/٢ ـ ٢٠٦.

عن شيء[١].

وفي مجلس آخر بعث المأمون على الإمام (عليه السلام) ليناظر متكلم خراسان سليمان المروزي، فتناظرا في البداء، وصفات الله تعالى والفرق بين صفات ذات الله وصفات فعله، فأجابه الإمام (عليه السلام) على جميع أسئلته، وكان يقطعه في الحجج الى أن سكت لا يستطيع أن يجيب على آراء الإمام (عليه السلام)، فقال المأمون عند ذلك : «يا سليمان هذا أعلم هاشمي»[٢].

وفي مجلس آخر جمع المأمون عدداً من علماء الأديان وأهل المقالات، فلم يتكلم أحد إلّا وقد ألزمه الإمام (عليه السلام) حجّته، وقام إليه عليّ بن محمّد بن الجهم، وأثار الشبهات حول عصمة الأنبياء(عليهم السلام) اعتماداً على الآيات المتشابهة الواردة في القرآن الكريم، وأثار الشبهات حول عصمة رسول‌الله (صلى الله عليه وآله)، فأجابه الإمام (عليه السلام) وأزال الشبهات عن ذهنه، وأثبت له بالعقل والنقل عصمة جميع الأنبياء(عليهم السلام)، فبكىٰ عليّ بن محمّد بن الجهم وقال: يا ابن رسول الله أنا تائب الى الله عزّ وجلّ من أن أنطق في أنبياء الله(عليهم السلام) بعد يومي هذا إلّا بما ذكرته[٣].

وفي مجلس آخر تساءل المأمون عن عصمة الأنبياء وأورد الآيات المتشابهة في ذلك فأجابه الإمام (عليه السلام) جواباً شافياً، وأوّل له تلك الآيات على خلاف ظاهرها، فقال المأمون : «لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله، وأوضحت لي ماكان ملتبساً عليّ»[٤].

---

(١) انظر التوحيد: ٤٤٠، عيون أخبار الرضا: ١/١٥٧، الاحتجاج: ٢/٢١٤.

(٢) انظر التوحيد: ٤٤١ ـ ٤٥٤، عيون أخبار الرضا : ١ / ١٥٩ ـ ١٦٨، وعنهما في بحار الأنوار: ١٠/٣٢٩ ـ ٣٣٨.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١/١٧٠ ـ ١٧٣، أمالي الصدوق: ١٥٠ ـ ١٥٣، وعنهما في بحار الأنوار: ١١/٧٢ ـ ٧٤.

(٤) عيون أخبار الرضا: ١/١٧٤ ـ ١٨١، الاحتجاج: ٢/٢١٥ ـ ٢٢٣، وعنهما في بحار الأنوار: ١١/٧٨ ـ ٨٤.

وكان هدف المأمون ـ كما يرى الشيخ الصدوق ـ هو الحرص على انقطاع الرضا (عليه السلام) عن الحجّة مع واحد منهم، وذلك حدّاً منه له ولمنزلته من العلم[١].

رابعاً : نشر مفاهيم أهل البيت(عليهم السلام) وفضائلهم

استثمر الإمام (عليه السلام) الفرصة المتاحة له لنشر مفاهيم أهل البيت (عليهم السلام) ونشر فضائلهم، وخصوصاً بين الفقهاء والقضاة والقوّاد والوزراء، ومن يرتبط بالبلاط الحاكم بصلة .

فقد وضّح الإمام (عليه السلام) تلك الفضائل بعد أن حاول الحكّام طمسها، ونشر أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحقّهم ومنها :

قوله (صلى الله عليه وآله) : «عليّ إمام كل مؤمن بعدي»[٢].

وقوله (صلى الله عليه وآله) : «يا عليّ أنت حجّة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق الى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى، يا عليّ أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيّين وسيّد الصدّيقين، يا عليّ أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر ... إنّ حزبك حزبي، وحزبي حزب الله، وإنّ حزب أعدائك حزب الشيطان»[٣].

وقوله (صلى الله عليه وآله) : «ما زوّجت فاطمة إلّا لما أمرني الله بتزويجها»[٤].

وتحدّث الإمام (عليه السلام) عن عشرات الأحاديث الواردة في ذلك .

وفي مجلس عقده المأمون لجماعة من علماء العراق وخراسان سأل عن

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١٦٨/١. راجع جملة من هذه الاحتجاجات في الفصل الثالث من الباب الرابع من الكتاب.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٥٣/١ ـ ٢٥٤، وعنه في بحار الأنوار: ١١١/٣٨ وفيه: (... من بعدي).

(٣) عيون أخبار الرضا: ٩/٢، ينابيع المودّة: ٤٠٢/٣، وعن العيون في بحار الأنوار: ١١١/٣٨.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٦٤/٢، وعن العيون في بحار الأنوار: ١٠٤/٤٣.

معنى الآية الكريمة : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[١].

فأجابه العلماء : أراد الله عزّوجلّ بذلك الأُمّة كلها .

فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال الإمام (عليه السلام) : **«لا أقول كما قالوا، ولكنّي أقول : أراد الله عزّوجلّ بذلك العترة الطاهرة».**

ثم ذكر الإمام (عليه السلام) إثنتي عشرة آية قرآنية تدل على افضلية العترة الطاهرة، فقال المأمون والعلماء : «جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأُمّة خيراً، فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلّا عندكم»[٢].

وسأل المأمون الإمام (عليه السلام) أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب إليه أُصول العقائد ومنها الإمامة، ومما جاء في ذلك الكتاب : **«وأنّ الدليل بعده والحجّة على المؤمنين والقائم بأُمور المسلمين والناطق عن القرآن، والعالم بأحكامه، أخوه وخليفته ووصيّه ووليّه، والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، عليّ بن أبي طالب** (عليه السلام) **أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وأفضل الوصيين، ووارث علم النبيين والمرسلين، وبعده الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.**

ثم بيّن أسماء الأئمة (عليهم السلام) وقال : **ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية، وأن من دينهم الورع والعفّة والصدق والصلاح والاستقامة والاجتهاد وأداء الأمانة الى البر والفاجر ...**[٣].

ووضّح الإمام (عليه السلام) مفاهيم الإمامة ومسؤوليات الإمام فقال : **إنّ الإمامة أُسُّ**

---

(١) سورة فاطر (٣٥): ٣٢ .

(٢) انظر عيون أخبار الرضا: ٢٠٧/١ ـ ٢١٧، أمالي الصدوق: ٦١٥ ـ ٦٢٦، بشارة المصطفى: ٣٤٩ ـ ٣٦٠.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١٢٩/٢ ـ ١٣٠، ونحوه في تحف العقول: ٤١٦، وعن العيون في بحار الأنوار: ٣٥٣/١٠.

الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف، الإمام يحلل حلال الله ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة»[١].

وذكر (عليه السلام) في لقاءاته المختلفة وفي أجوبته المتعددة صفات الإمام، ووحدة الإمامة، وواجبات وحقوق الإمام لكي يعطي للأُمّة الفرصة لتشخيص الإمام الحقّ وان لم يكن مبسوط اليد، فليس كل من استلم الحكم أصبح إماماً، وإنّما الإمام له صفات خاصة ثابتة في الإسلام ومنها أن يكون **«أعلم الناس وأحكم الناس وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، واسخى الناس، وأعبد الناس»**[٢].

واستثمر الإمام (عليه السلام) الفرصة لنشر الأحاديث التوحيدية لأهل البيت (عليهم السلام) وردّ على جميع الشبهات العقائدية التي تتعلق بصفات الله، وبالتشبيه، وفنّد آراء المشبّهة والمجسّمة والمجبّرة والمفوّضة والغلاة.

خامساً: حقن دماء أهل البيت (عليهم السلام)

من مكتسبات قبول ولاية العهد من قبل الإمام (عليه السلام) هو حقن دماء أهل البيت (عليهم السلام)، فقد قام المأمون تقرباً للإمام (عليه السلام) بإعلان العفو العام عن جميع قادة الثورات، ومنهم زيد أخو الإمام (عليه السلام) وإبراهيم، ومحمّد بن جعفر، وأردف العفو بتنصيب بعضهم ولاة في بعض الأمصار[٣]، فكانت خير فرصة

(١) الكافي: ١/٢٠٠، كمال الدين واتمام النعمة: ٦٧٧، الغيبة للنعماني: ٢٢٦.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١ / ١٩٢، معاني الأخبار: ١٠٢، وعن العيون في كشف الغمّة: ٨٢/٣.

(٣) تقدّمت الإشارة الى ذلك في ص١٢٦ (سابعاً: تفتيت جبهة المعارضة).

لهم للقيام بإصلاح الأوضاع بصورة سلمية هادئة، وخير فرصة لإعادة بناء القاعدة الشعبية الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) وتنظيم صفوفها، والاستفادة من الإمكانيات المتاحة لتطوير الحركة الرسالية، ولولا قبول الإمام (عليه السلام) بولاية العهد لسفكت دماء كثيرة قبل أن تؤدّي دورها ومسيرتها في داخل الأُمّة، فقد جاء قبول الإمام (عليه السلام) في وقت كان خط أهل البيت (عليهم السلام) بحاجة الى قسط من التفرّغ للعمل الرسالي السلمي بعيداً عن شهر السلاح الذي يكلّف كثيراً ويربك الأوضاع الداخلية له .

الفصل الثاني

نشاطات الإمام الرضا (عليه السلام) بعد البيعة بولاية العهد

لم يحصل المأمون من بيعته للإمام الرضا (عليه السلام) إلّا على بعض الإمتيازات والمكاسب والتي منها إيقاف العمليات العسكرية المسلحة، وقطع علاقة الإمام (عليه السلام) بأغلب قواعده الشعبية المقيمة في العراق وفي الحجاز واليمن، وأمّا الإمام (عليه السلام) ومنهج أهل البيت (عليهم السلام) فقد حصلا على إمتيازات واسعة، واستثمر الإمام (عليه السلام) الفرصة للقيام باداء دوره الإصلاحي والتغييري بشكل كبير، وتتحدد معالم هذه المرحلة بالمظاهر والممارسات التالية :

افشال خطط المأمون:

أراد المأمون أن يجعل الإمام (عليه السلام) وسيلة لإضفاء الشرعية على حكمه، وإيقاف نشاط الحركات الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، وقد طلب من الإمام (عليه السلام) أن يولّي أحد أتباعه على البلدان التي تمرّدت على حكمه، ولكي يوقف تمرّدها حينما يكون الوالي من أنصار وأتباع الإمام (عليه السلام)، أو يجعل المعارضة وجهاً لوجه أمام بعضها البعض .

ولكنّ الإمام (عليه السلام) أفشل خطة المأمون بهدوء طبقاً للشروط التي اشترطها،كما روي عنه (عليه السلام) أنّه قال : «قال لي المأمون : يا أبا الحسن انظر بعض من تثق به تولّيه هذه البلدان التي قد فسدت علينا، فقلت له : تفي لي

وأوافي لك، فإنّي إنّما دخلت فيما دخلت على أن لا آمر فيه ولا أنهى ولا أعزل ولا أُولّي ولا أشير، حتى يقدمني الله قبلك، فوالله أنّ الخلافة لشيء ما حدّثت به نفسي، ولقد كنت بالمدينة أتردّد في طرقها على دابّتي، وأن أهلها وغيرهم يسألوني الحوائج فأقضيها لهم، فيصيرون كالأعمام لي، وأنّ كتبي لنافذة في الأمصار، وما زدتني في نعمة هي عليّ من ربّي، فقال له: أفي لك»[1].

ولم يراجعه المأمون في نفس القضية بعد ذلك، وليس أمامه إلّا إصلاح الأوضاع العامة لتجنّب الثورات والتمرّدات المسلّحة.

ولم يتدخل الإمام (عليه السلام) في تعيين مسؤولي سائر المناصب كالقضاة وأُمراء الجيش وأصحاب بيوتات الأموال، وتجنب جميع التصريحات والمواقف التي تمنح الشرعية لحكم المأمون، ولم يتدخل إلّا في إصلاح المفاهيم والقضايا القضائية، وكل ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

إصلاح القضاء:

كان المأمون يجلس في ديوان المظالم يوم الاثنين ويوم الخميس، ويجلس الإمام (عليه السلام) الى جانبه الأيمن، فرفع إليه أن صوفياً من أهل الكوفة سرق، فأمر بإحضاره فرأى عليه سيماء الخير فقال: سوأة لهذه الآثار الجميلة ولهذا الفعل القبيح... فقال الرجل: فعلت ذلك اضطراراً لا اختياراً حين منعتني حقّي من الخمس والفيء... وأخذ الصوفي يستدلّ على المأمون بالقرآن الكريم على أنّه يستحق الخمس باعتباره من المساكين وأبناء السبيل مضافاً الى أنّه من حملة القرآن.

(١) عيون أخبار الرضا: ١٧٧/٢، وعنه في بحار الأنوار: ١٤٤/٤٩.

فقال المأمون : أُعطّل حداً من حدود الله وحكماً من أحكامه في السارق من أجل أساطيرك هذه؟

قال الصوفي: إبدأ بنفسك تطهرها ثم طهّر غيرك، وأقم حدود الله عليها ثم على غيرك .

فالتفت المأمون الى الإمام (عليه السلام) فقال: ما يقول ؟

فقال (عليه السلام) : «**إنّه يقول سرقت فسرق**» .

فغضب المأمون ثم قال : والله لأقطعنك .

قال الرجل : أتقطعني وأنت عبد لي ؟

فقال المأمون: ويلك ومن أين صرتُ عبداً لك؟

قال: لأن أُمك اشتريت من مال المسلمين، فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب من المسلمين حتى يعتقوك وأنا لم أعتقك ثم بلعت الخمس وبعد ذلك فلا أعطيت آل الرسول حقّاً ولا أعطيتني ونظرائي حقّنا، والأُخرى أن الخبيث لا يطهر خبيثاً مثله، إنّما يطهره طاهر، ومن في جنبه الحدّ لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه ...

فالتفت المأمون الى الإمام (عليه السلام) فقال : ماترى في أمره ؟

قال (عليه السلام) : «**إنّ الله تعالىٰ قال لمحمّد(صلى الله عليه وآله): ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ ﴾[1] وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة وقد احتج الرجل بالقرآن**» .

فأمر المأمون بإطلاق الرجل الصوفي[2].

---

(١) الأنعام (٦): ١٤٩ .

(٢) انظر علل الشرائع: ٢٤٠/١ ـ ٢٤١، عيون أخبار الرضا : ٢٦٣/٢ ـ ٢٦٤ ، وفي مناقب آل أبي طالب: ٤٧٧/٣، بنحوٍ من الاختصار، وعن العلل والعيون في بحار الأنوار: ٢٨٨/٤٩ ـ ٢٨٩ .

وكــان الإمـام يـتدخل فـي مـثل هـذه القـضية دفـاعاً عـن المـظلومين والمحرومين، وتطبيق أحكام القضاء طبقاً للمنهج الإسلامي السليم، ففي أحد الأيام أُدخل الى المأمون رجلٌ أراد ضربَ عنقه والإمام (عليه السلام) حاضر، فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال: «**أقـول إنّ الله لا يـزيدك بـحسن العفو إلّا عـزاً**»، فـاتبع المأمـون قـول الإمام (عليه السلام) وعفى عنه[1].

وأُتيَ المأمون بنصراني قد فجر بهاشمية، فـلما رآه أسـلم؛ فـغاضه ذلك، وسأل الفقهاء فقالوا: أهدر الإسلام ما قبل ذلك، فسأل المأمون الرضـا (عليه السلام) فقال: «**اُقتله؛ لأنه أسلم حين رأى البأس؛ قال الله عزّوجلّ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[2]**»[3].

إصلاح الأعمال الإدارية:

لم يتدخل الإمام (عليه السلام) في الشؤون الادارية إلّا في الحالات التي كان يجد فيها مصلحة إسلامية عامة تخص الإسلام والمسـلمين، وتـمنع الأعـداء مـن اختراق الجهاز الإداري أو الحكومي، فكان يبدي نصائحه وتوجيهاته القيّمة في هذا المجال.

ومن هذه الشؤون، تعيين الولاة الذين أسلموا حديثاً، ففي ذات مرّة دخل الفضل بن سهل على المأمون وقال له: قد وليت الثغر الفلاني فلاناً التـركي، فسكت المأمون، فقال الإمام (عليه السلام): «**ما جعل الله تعالى لإمام المسلمين وخليفة ربّ**

(١) نثر الدر: ١/٢٥٠، نزهة الناظر للحلواني: ١٢٧، وعن نثر الدرّ في كشف الغمّة: ٣/١٠٠.

(٢) سورة غافر (٤٠): ٨٤.

(٣) نثر الدر: ١/٢٥٠، وعنه في كشف الغمّة: ٣/٩٩، وعن كشف الغمّة في بحار الأنوار: ٤٩/١٧٢.

العالمين القائم بأُمور الدين، أن يولي شيئاً من ثغور المسلمين أحداً من سبي ذلك الثغر، لأنّ الأنفس تحنّ الى أوطانها، وتشفق على أجناسها، وتحب مصالحها، وإن كانت مخالفة لأديانها»، فقال المأمون: اكتبوا هذا الكلام بماء الذهب[1].

فالإمام أعطى قاعدة كليّة في شؤون تعيين الولاة وأُمراء الثغور، وليس ذلك اعترافاً بإمامة المأمون، وإنّما هو وضع قاعدة كلية لمطلق إمام المسلمين والذي ينصرف الى الإمام العادل.

نشر الآراء السديدة في داخل البلاط:

استثمر الإمام (عليه السلام) فرصة وجوده في البلاط الحاكم لنشر الآراء السديدة في مختلف جوانب الفكر والعقيدة، ليطّلع الحاكم ووزراؤه والمقربون إليه من قادة وأُمراء وفقهاء وخدم وبوّابين على آراء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ومتبنياتهم الفكرية والعقائدية، وفضائلهم ومكارمهم.

وكان الإمام (عليه السلام) يتحدث ابتداءً حسب الظروف، ويجيب في ظروف أُخرى على الأسئلة الموجهة إليه.

سأل الفضل بن سهل الإمام (عليه السلام) في مجلس المأمون فقال: «يا أبا الحسن؛ الخلق مجبورون ؟ فقال (عليه السلام): **الله أعدل أن يجبر خلقه ثم يعذّبهم، قال:** فمطلقون ؟ قال (عليه السلام): **الله أحكم من أن يهمل عبده ويكلّه إلى نفسه»**[2].

وقال له المأمون: يا أبا الحسن؛ أخبرني عن جدك عليّ بن أبي طالب بأي وجه هو قسيم الجنّة والنار...؟ فقال: **«... ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبدالله ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «حب عليّ إيمان وبغضه كفر»** فقال

---

(١) الدر النظيم: ٦٨٣، ذيل تاريخ بغداد: ١٣٦/٤، وعن الدر النظيم في الأنوار البهية: ٢١٩ ـ ٢٢٠، واللفظ للأخير.

(٢) نثر الدر: ٢٤٩/١ ـ ٢٥٠، الطرائف: ٣٣٠، نزهة الناظر: ١٣٢.

بلى، فقال الإمام (عليه السلام) : فقسمة الجنّة والنار إذا كانت على حبّه وبغضه، فهو قسيم الجنّة والنار».

فقال المأمون : لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)»[1].

واستطاع الإمام (عليه السلام) بفكره الثاقب وأُسلوبه الواعي أن يجعل المأمون وغيره يبادلونه الاسئلة، وأن يعترفوا بنفسهم بفضائل أهل البيت (عليهم السلام) تقرباً إليه، وكان المأمون يعقد مجالس النظر ويجمع المخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) ويكلمهم في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وتفضيله على جميع الصحابة، تقرباً الى أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا[2].

ومن الطبيعي أن لا يعترض المخالفون على أقوال المأمون رغبة أو رهبة، وهذا له تأثيره المباشر على من يحضر هذه المجالس ويرى سكوت الفقهاء وعدم إعتراضهم على الآراء المطروحة إمّا لضعف الدليل أو إستسلاماً للمأمون.

فاستطاع الإمام (عليه السلام) أن ينشر آراء أهل البيت (عليهم السلام) في جميع الفرص المتاحة له .

نصائح الإمام الرضا (عليه السلام) للمأمون :

وكان الإمام (عليه السلام) يكثر وعظ المأمون إذا خلا به، ويخوفه بالله، ويقبّح ما يرتكبه به، فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه، ويبطن كراهته

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٩٢/٢، نثر الدر: ٢٥٢/١، وعنه في كشف الغمّة: ١٠٣/٣، وعن العيون في بحار الأنوار: ١٩٣/٣٩ ـ ١٩٤.

(٢) عيون أخبار الرضا : ٢ / ١٩٩، وعنه في بحار الأنوار: ١٨٩/٤٩.

واستثقاله[(١)].

ودخل عليه في أحد المرّات فرآه يتوضّأ، والغلام يصبّ على يده الماء، فقال (عليه السلام) : «**لا تشرك بعبادة ربّك أحداً**»، فصرف المأمون الغلام، وتولّى إتمام وضوئه بنفسه[(٢)].

وقال له يوماً : «**ما التقت فئتان قط إلّا نصر الله أعظمهما عفواً**»[(٣)].

ودخل عليه المأمون وقرأ عليه كتاب فتح بعض قرىٰ كابل، فلما فرغ، قال له الإمام (عليه السلام) : «**وسرّك فتح قرية من قرىٰ الشرك**»، فقال المأمون : أوليس في ذلك سرور ؟ فقال الإمام (عليه السلام) : «**... اتق الله في أُمّة محمّد (صلى الله عليه وآله)، وما ولّاك الله من هذا الأمر، وخصّك به، فإنك قد ضيعت أمور المسلمين، وفوضت ذلك الى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله، وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي، وأنّ المهاجرين والأنصار يُظلمون دونك ولا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته ولا يجد من يشكو إليه حاله، ولا يصل إليك، فاتق الله يا أمير المؤمنين في أُمور المسلمين وأرجع الى بيت النبوّة ومعدن المهاجرين والأنصار ...**».

قال المأمون : يا سيّدي فما ترىٰ ؟

قال (عليه السلام) : «**أرىٰ أن تخرج من هذه البلاد وتتحول الى موضع آبائك وأجدادك، وتنظر في أُمور المسلمين ولا تكلهم الىٰ غيرك، فإن الله سائلك عمّا ولّاك**».

فقال المأمون : نِعْمَ ما قلت يا سيّدي ! هذا هو الرأي[(٤)].

---

(١) الإرشاد : ٢٦٩/٢، كشف الغمّة: ٧٤/٣، وعن الإرشاد في بحار الأنوار: ٣٠٨/٤٩.
(٢) انظر الإرشاد: ٢٦٩/٢، مجمع البيان: ٢٦٩/٢، إعلام الورىٰ: ٧٤/٣، واللفظ منقول من المجمع.
(٣) الكافي: ١٠٨/٢، أمالي المفيد: ٢١١، تاريخ اليعقوبي: ٤٥٣، ولفظ (الله) غير موجود في الكافي.
(٤) عيون أخبار الرضا : ٢ / ١٧٠ ـ ١٧١، وانظر مناقب آل أبي طالب: ٤٥٧/٣، مع اختلاف في أصل القصّة.

وقد وجد المأمون في هذه النصيحة أفضل المواقف السياسية التي كان لابدّ من اتّخاذها، وبالفعل رجع الى بغداد بعد هذه النصيحة .

الحفاظ على الوجود الإسلامي:

من مسؤوليات الأئمة (عليهم السلام) ـ بعد إقصائهم عن الخلافة ـ الحفاظ على الوجود الإسلامي وحمايته أمام مؤامرات الاعداء والطامعين، فقد كانوا (عليهم السلام) يبذلون ما بوسعهم من أجل ذلك، ويقومون بحل المسائل المستعصية على الحكّام من أجل إدامة الوجود والكيان الإسلامي، ومنعه من الإنهيار والتفكك.

ومن ذلك كشف مؤامرة الفضل بن سهل، حيث إنّه أراد قتل المأمون، فلم يسمع الإمام كلامه ولعنه وكان قصد الفضل هو السيطرة على الحكم، واستغلال الإمام (عليه السلام) لإسكات المسلمين ويبقى الإمام (عليه السلام) حاكماً محجوراً عليه في البلاط، ويكون الفضل هو الحاكم الفعلي، إضافة الى ذلك فإن مثل هذا العمل يؤدّي الى انقسام خطير في الكيان الإسلامي، وتفتيت لوحدة الأُمّة والدولة، فقام الإمام (عليه السلام) بتحذير المأمون من الفضل وأن يتعامل معه بحيطة وحذّر[1] لأنّ المقصود هو الكيان الإسلامي وليس شخص المأمون .

وقال له ذات يوم : **«إنّ العامّة تكره ما فعلت بي، والخاصة تكره ما فعلت بالفضل ابن سهل، فالرأي لك أن تبعدنا عنك حتى يصلح لك أمرك»**[2].

وأخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قُتل أخوه، وبما كان

(١) عيون أخبار الرضا: ١٧٧/٢ ـ ١٧٨، وعنه في بحار الأنوار: ١٦٣/٤٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٥٧/٢، نثر الدر: ٢٥١/١ وعنه في كشف الغمّة: ١٠٢/٣، ونحوه في تذكرة الخواص: ٤٧٩/٢ ـ ٤٨٠، واللفظ للأوّل.

الفضل بن سهل يستر عنه مِنَ الأخبار، وأنّ الناس ـ خصوصاً العبّاسيين ـ ينقمون عليك مكان الفضل وأخيه الحسن، ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك[١].

وجاءت نصائح الإمام (عليه السلام) له مطابقة للمصلحة الإسلامية الكبرىٰ لأنّ الكيان الإسلامي معرض للإنهيار والإنحلال بإثارة الفتن الداخلية والحروب الدامية من أجل الحصول على كرسي الحكم .

وحينما قُتل الفضل بن سهل اتهم رجاله المأمون بقتله، فاجتمعوا على بابه فقالوا : اغتاله وقتله، فلنطلبن بدمه، فقال المأمون للإمام (عليه السلام) : يا سيّدي ترىٰ أن تخرج اليهم وتفرقهم، فخرج اليهم الإمام وقد اجتمعوا وجاءوا بالنيران ليحرقوا الباب، فصاح الإمام (عليه السلام) بهم، وأومىٰ اليهم بيده، فتفرقوا، واقبل الناس يقع بعضهم على بعض، وما أشار الى أحد إلّا هرب مسرعاً، ومرّ ولم يقف له أحد[٢].

وقتلُ المأمون في تلك الظروف يعني انقسام الكيان الإسلامي الى كيانات متعددة، فأنصار الفضل سيكون لهم كيان في خراسان، ويستقل الحسن ابن سهل بالبلاد التي بإمرته، وسيبايع العبّاسيون لإبراهيم بن المهدي المغني الشهير، إضافة الى خلخلة أوضاع الجيش الذي يقطن في الثغور، ولهذا قام الإمام (عليه السلام) بمنع إحراق بيت المأمون وقتله .

إظهار الكرامات واستثمارها في الإصلاح:

وبعد البيعة ظهرت كرامات الإمام (عليه السلام) فاستثمرها (عليه السلام) في إصلاح

(١) انظر تاريخ الطبري : ٨ / ١٤٧، الكامل في التاريخ: ٣٤٦/٦، تاريخ ابن خلدون: ٣٤٩/٣.

(٢) انظر الحادثة في الكافي: ٤٩١/١، عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٧٤، مناقب آل أبي طالب: ٤٥٨/٣.

الناس بإرشادهم وتوجيههم، ففي بداية ولاية العهد احتبس المطر، فجعل بعض حاشية المأمون والمبغضين للإمام (عليه السلام) يقولون: انظروا لمّا جاءنا عليّ بن موسى وصار ولي عهدنا، فحبس الله عنّا المطر، وسمع المأمون بذلك فاشتدّ عليه، وطلب من الإمام (عليه السلام) أن يدعو الله لكي يمطر الناس، فخرج(عليه السلام) الى الصحراء وخرج الناس ينظرون، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: **«اللهمّ يا رب أنت عظّمت حقّنا أهل البيت، فتوسّلوا بنا كما أمرت وامّلوا فضلك ورحمتك وتوقّعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير رايث، ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد إنصرافهم من مشهدهم هذا الى منازلهم ومقارّهم»**.

ويقول الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) الذي نقل الخبر عن أبيه الرضا(عليه السلام): **«فو الذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت وأبرقت وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحّي عن المطر»**.

وأخبرهم الإمام (عليه السلام) أنّ هذا السحاب هو للبلد الفلاني، وهكذا الى أن أقبلت السحابة الحادية عشرة، فقال (عليه السلام): **«أيّها الناس هذه سحابة بعثها الله عزّوجلّ لكم، فاشكروا الله على تفضله عليكم وقوموا الى مقاركم ومنازلكم فإنها مسامتة لكم ولرؤوسكم ممسكة عنكم الى أن تدخلوا الى مقاركم ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله»**.

فانصرف الناس ونزل المطر بكثافة فجعل الناس يقولون: هنيئاً لولد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كرامات الله عزّوجلّ.

ثم برز إليهم الإمام (عليه السلام) بعد تجمعهم ثانية، واستثمر هذه الكرامة للوعظ والإرشاد، لأنّ الناس يتأثرون بمن له كرامة عند الله ويتقبلون ما يقوله، فقام فيهم خطيباً وقال: **«أيّها الناس اتقوا الله في نعم الله عليكم، فلا تنفروها عنكم بمعاصيه، بل استديموها بطاعته وشكره على نعمه وأياديه، وأعلموا أنّكم لا تشكرون الله تعالى بشيء**

بعد الإيمان بالله وبعد الاعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) أحبّ إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبر لهم الى جنان ربهم، فإنّ من فعل ذلك كان من خاصة الله تبارك وتعالى»[1] ثم حدثهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعض الأحاديث التربوية.

وظهرت للإمام (عليه السلام) كرامات أُخرىٰ استثمرها الإمام (عليه السلام) في التأثير على قلوب حاضريها، ومن هذه الكرامات أنّ بعض أفراد البلاط كانوا يخدمون الإمام (عليه السلام) ويرفعون الستر عند مجيئه وعند خروجه، فاتفقوا يوماً على عدم رفع الستر له، فلما جاء على عادته لم يملكوا أنفسهم، وقاموا ورفعوا الستر على عادتهم، فلما دخل لامَ بعضهم بعضاً، واتفقوا ثانية، فلما كان اليوم الثاني نفّذوا ما اتفقوا عليه ولم يرفعوا له الستر، فجاءت ريح شديدة فرفعته حين دخوله، وحين خروجه، فقال بعضهم لبعض: إنّ لهذا الرجل عند الله منزلة وله منه عناية، انظروا الى الريح كيف جاءت ورفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه من الجهتين إرجعوا الى ماكنتم عليه من خدمته[2].

وبما أنّ الكرامات أكثر إيقاعاً في النفس الانسانية، نجد أنّ الناس قد مالت الى الإمام (عليه السلام) عاطفياً، حتى أننا نجد أن شعبية الإمام (عليه السلام) قد اتسعت لتشمل حتى المنحرفين، والشاهد على ذلك أنّ بعضهم قطع الطريق على دعبل الخزاعي ليأخذوا منه جبة الإمام (عليه السلام) التي أهداها له، لغرض التبرك بها[3]، وفي رواية أرجعوا جميع أموال القافلة بعد ما عرفوا أنّ دعبل معهم[4].

(١) عيون أخبار الرضا: ٢ / ١٧٩ ـ ١٨٠، دلائل الإمامة: ٣٧٦ ـ ٣٧٨، وعن العيون في بحار الأنوار: ٤٩/ ١٨٠ ـ ١٨٢.

(٢) مطالب السؤول: ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠، الفصول المهمّة: ٢/ ٩٦٥، الإتحاف بحب الأشراف: ١٥٧، واللفظ للثاني.

(٣) الإرشاد: ٢/ ٢٦٤، دلائل الإمامة: ٣٥٨، سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٩١.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦، إعلام الورى: ٢/ ٦٧ ـ ٦٨، الفصول المهمّة: ٢/ ٩٩٦.

تشجيع الشعراء الرساليين:

ومن أجل نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم الريادي في الأُمّة، وتبيان مظلوميتهم على مرّ التاريخ؛ شجّع الإمام (عليه السلام) الشعراء على نظم الشعر في هذا الخصوص لأنّه خير وسيلة إعلامية في ذلك العصر، لسرعة انتشاره وسهولة حفظه وإنشاده، فقد دخل عليه الشاعر دعبل الخزاعي وانشده قصيدته التي جاء فيها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار عليّ والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات
منازل جبريل الأمين يحلها من الله بالتسليم والرحمات
أئمة عدل يقتدىٰ بفعالهم ويؤمن فيهم زلة العثرات
أرىٰ فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم عن فيئهم صفرات

ثم بدأ بإبراز مظلوميتهم وما جرىٰ عليهم من قبل الحكّام المتعاقبين على الحكم، ثم ختم القصيدة بخروج الإمام العادل الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وهو الإمام المهدي الذي تنتظره الأُمم والشعوب.

ولما فرغ من إنشادها، قام الإمام (عليه السلام) وانفذ إليه صرة فيها مائة دينار[1]، وفي رواية أُخرى ستمائة دينار[2] فردها دعبل وقال: «والله ما لهذا جئت وإنّما جئت للسلام عليه والتبرك بالنظر الى وجهه الميمون وإني لفي غنىٰ

(١) انظر عيون أخبار الرضا: ٢/٢٩٤، إعلام الورىٰ: ٢/٦٧، مناقب آل أبي طالب: ٣/٤٥٠، الفصول المهمّة: ٢/٩٩٥.

(٢) الإرشاد: ٢/٢٦٣، ٢٦٤، إعلام الورى: ٢/٦٧، دلائل الإمامة: ٣٨٥، سير أعلام النبلاء: ٩ / ٣٩١، وانظر القصيدة مع مصادرها الكثيرة في ديوان دعبل بن عليّ الخزاعي: ٥٦ ـ ٦٤.

فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحبّ اليّ»، فأعطاه الإمام (عليه السلام) جبة خز وردّ عليه الصرة[١].

النشاطات العلميّة للإمام الرضا(عليه السلام):

إنّ الإمام (عليه السلام) وإن كان يعيش تحت رقابة شديدة، إلّا أن ذلك لم يكن ليمنعه من ممارسة دوره العلمي في الاوساط التي كان يعيش فيها، وبالنسبة لكل من يلتقي معه من الوزراء والفقهاء والقضاة وأُمراء الجيش فضلاً عن الخدم وسائر الناس.

لقد كان (عليه السلام) ينشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) على أتم صورة . وإضافة الى ذلك كان المأمون وغيره يطلبون منه أن يحدّثهم أو يجيب على أسئلتهم. وكان ممّا كتبه الإمام الرضا(عليه السلام) للمأمون رسالة في محض الإسلام وشرائع الدين، وبيّن لآخرين علل الشرائع كالصلاة والصوم والحجّ والزكاة والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأسباب تحريم الموبقات والمنكرات، كما كتب رسالة في الطب وأرسلها الى المأمون فكتبها المأمون بماء الذهب.

وقام الإمام الرضا(عليه السلام) بمهمّة تفسير القرآن الكريم، وعلّم الناس الأدعية المأثورة عنه وعن آبائه وأجداده المعصومين، كما بيّن للناس التاريخ الصحيح للأنبياء والمرسلين، وللأُمم السابقة، وأرشدهم الىٰ الصحيح من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيرة الإمام عليّ (عليه السلام) وسيرة أهل البيت (عليهم السلام)[٢].

---

(١) انظر ذلك بألفاظ متفاوتة في: عيون أخبار الرضا: ٢/٢٩٥، الإرشاد: ٢/٢٦٣، إعلام الورىٰ: ٢/٦٧، الفصول المهمّة: ٢/٩٩٥، واللفظ للأخير.

(٢) يتضح ذلك عند مراجعة سيرة الإمام الرضا(عليه السلام) في الأُصول المعدّة لذلك من قبيل كتاب عيون أخبار الرضا(عليه السلام) وغيره ممّا ذكرناه في هوامش كتابنا هذا، كما أنّه تقدّم في كتابنا هذا ذكر بعض ذلك وسيأتي ←

نعم إنّ الإمام الرضا(عليه السلام) بالرغم من ملاحقته بالعيون والتضييق السياسي عليه بشكل غير منظور لعامّة الناس استطاع أن يستغلّ الظرف المهيّأ لنشر العلم والمعبّأ بالألغام ليصون شريعة جدّه سيّد المرسلين مما يحيط بها من محاولات المسخ والتحريف ويوظّف الطاقات المتوفرة لديه بشكل مباشر وغير مباشر لتحقيق أهدافه الرسالية التي عيّنتها له الشريعة وبيّنها له الرسول(صلى الله عليه وآله) وآباؤه الطاهرون.

ومن هنا عمد الإمام(عليه السلام) الى بيان حقيقة الخطّ الرسالي الذي يتزعّمه أهل البيت(عليهم السلام) وبيان خصائصه ومعالمه التي يتفرّد بها ويتميّز عن خط الخلفاء المتحكمين في رقاب المسلمين، مؤكّداً ضرورة استمرار هذا الخط حتى قيام يوم الدين، ومن هنا كان ينبغي له أن ينظر الى المستقبل المشرق بعين القائد الحريص على سعادة الأُمّة ويوجّه إليه عامة المسلمين.

الإمام(عليه السلام) والمستقبل:

إنّ دور الإمام (عليه السلام) لا يتحدد بحدود المرحلة الزمنية التي يعاصرها، بل يمتد بإمتداد الزمان، فله دور مرحلي، ودور شمولي، فهو المسؤول عن ثبات المنهج الإسلامي وخلوده مع الزمن، وحفظه من التشويه والتحريف، ومن هنا فإنّ دور الإمام ينصبّ في المهام التالية :

١ ـ طرح الأفكار والعقائد الصحيحة وتبيان الأحكام الشرعية، وإبطال ما

← ذكر بعض آخر إن شاء الله، وللتدليل على بعض ما ذكرناه أعلاه، انظر رسالة الإمام في محض الإسلام في عيون أخبار الرضا: ١٢٩/٢ وما بعدها، تحف العقول: ٤١٦، وانظر ما بيّنه لمحمّد بن سنان من العلل في عيون أخبار الرضا: ٩٥/٢ وما بعدها، وانظر العلل التي بيّنها للفضل بن شاذان في العيون أيضاً: ١٠٦/٢ وما بعدها، وانظر تفسيره لبعض آيات الذكر الحكيم في العيون أيضاً: ١٣٨/٢ وما بعدها، وانظر رسالته في الطب في بحار الأنوار: ٣٠٦/٥٩ وما بعدها.

عداها من أفكار وأحكام.

٢ ـ إصلاح الواقع طبقاً للمنهج الإسلامي.

٣ ـ رفد الأُمّة بالعناصر الواعية المخلصة القادرة على نشر الأفكار والعقائد والأحكام، وإصلاح الواقع.

٤ ـ تعيين الإمام التالي طبقاً للنصوص والوصايا الواردة عن رسول‌الله (صلى الله عليه وآله) والتي ينقلها إمام عن إمام.

٥ ـ توجيه الأنظار والقلوب الى المستقبل المشرق الذي سيقوده الإمام المهدي(عليه السلام) في آخر الزمان، والتركيز على خصوصيات الإمام من حيث الولادة والنشأة والغيبة، والمظاهر البارزة في دوره الرسالي.

وقد عرفت فيما مرّ الدور الذي قام به الإمام الرضا(عليه السلام) فيما يرتبط بالنقاط الثلاثة الأُولى، وأما النقطة الرابعة والمهمّة التي تتضمن استمرار خط الإمامة من بعده فقد نصّ على إمامة ابنه محمّد الجواد بحسب ماكانت تتطلبه هذه المهمّة مع مراعاة مجموع الظروف المحيطة به.

النصّ على إمامة محمّد الجواد(عليه السلام)

نصّ الإمام الرضا(عليه السلام) على إمامة ابنه محمّد الجواد قبل أن يولد واستمر بالتنصيص عليه رغم السنوات القليلة التي عاشها الجواد مع أبيه الرضا(عليه السلام).

وإليك صورة من تسلسل هذه النصوص وتدرّجها بحسب مراحلها الزمنية.

١ ـ عن صفوان بن يحيى قال: «قلت للرضا (عليه السلام): قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر (عليه السلام) فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك، فأقرّ عيوننا؛ فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فالىٰ من؟

فأشار بيده الى أبي جعفر (عليه السلام) وهو قائم بين يديه.

فقلت: جعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين ؟

فقال : **وما يضرّه من ذلك فقد قام عيسىٰ (عليه السلام) بالحجّة وهو ابن ثلاث سنين»**[١].

وهذه الواقعة يمكن تحديدها بسنة (١٩٨ هـ) أي بعد ولادة الإمام الجواد (عليه السلام) (١٩٥ هـ) بثلاث سنين .

ولكن هذا النصّ صريح في انّ الإمام كان يشير الى إمامة ابنه الجواد(عليه السلام) حتى قبل ولادته.

نعم كان الإمام الرضا (عليه السلام) يوجه الأنظار الى إمامة ولده الجواد (عليه السلام) إمّا تلميحاً أو تصريحاً، فمن أقواله في ذلك :

٢ ـ **«هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه»**[٢].

وقد نستفيد من هذا النصّ أنه كان قد صدر من الإمام الرضا(عليه السلام) بُعَيْد ولادة الجواد(عليه السلام) .

٣ ـ وعن معمر بن خلاّد قال : سمعت الرضا (عليه السلام) وذكر شيئاً، فقال : **«ما حاجتكم الى ذلك، هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيّرته مكاني إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة»**[٣].

٤ ـ وعلى الرغم من إبتعاد الإمام الرضا (عليه السلام) عن المدينة إلّا أنّه كان دائم الاتصال بابنه الجواد (عليه السلام) وكان يخاطبه في رسائله بالتعظيم والتوقير، وما كان يذكر محمّداً ابنه إلّا بكنيته فيقول : **«كتب اليّ أبو جعفر، وكنت أكتب الى**

(١) الكافي : ١ / ٣٢١، الإرشاد: ٢٧٦/٢، وفيه «وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين»، الفصول المهمّة: ١٠٣٥/٢، باختلاف يسير أيضاً، واللفظ للأوّل.

(٢) الكافي : ١ / ٣٢١، الإرشاد: ٢٧٩/٢، إعلام الورىٰ: ٩٥/٢، واللفظ للأوّل.

(٣) انظر الكافي : ١ / ٣٢٠، الإرشاد: ٢٧٦/٢ ، الفصول المهمّة: ١٠٣٦/٢.

أبي جعفر» ... فيخاطبه بالتعظيم، وكانت ترد كتب أبي جعفر (عليه السلام) في نهاية البلاغة والحُسن، ويضيف الراوي ـ أبو الحسين بن محمّد بن أبي عباد ـ أنه سمع الرضا (عليه السلام) يقول: «**أبو جعفر وصيّي وخليفتي في أهلي من بعدي**»(١).

وكان يبدي له التوجيهات والإرشادات لكي يفهم أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بأنّها جاءت في مقام إعداده للإمامة من بعده، وجاءت معللة برفع الله تعالى له، فقد كتب إليه: «**يا أبا جعفر، بلغني أنّ الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير فانّما ذلك من بخل بهم لئلّا ينال منك أحد خيراً، فأسئلك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلّا من الباب الكبير، فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد إلّا أعطيته، ومن سألك من عمومتك أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير إليك، إنّي أُريد أن يرفعك الله، فانفق ولا تخش من ذي العرش إقتاراً**»(٢).

وكانت النصوص على إمامة الجواد (عليه السلام) عديدة ومتظافرة، اختلفت في ظاهرها بسبب اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بالإمام الرضا (عليه السلام) وبابنه الجواد (عليه السلام) وبأتباعه وأنصاره، وبسبب اختلاف أصحابه في الوعي ودرجة التلقي، وكتمان السر، وقربهم وبعدهم عن الإمام (عليه السلام) من حيث الولاء السياسي والعاطفي.

٥ ـ عن جعفر بن محمّد النوفلي قال: «أتيت الرضا (عليه السلام) وهو بقنطرة أربق فسلمت عليه، ثم جلست، وقلت: جعلت فداك إنّ أُناساً يزعمون أنّ أباك حيٌّ، فقال: **كذبوا لعنهم الله** ... فقلت له: ما تأمرني؟ قال: **عليك بابني محمّد**

(١) عيون أخبار الرضا: ٢٦٦/٢، وانظر الفقرة الأخيرة في الصراط المستقيم: ١٦٦/٢، وعن العيون في بحار الأنوار: ١٨/٥٠.

(٢) الكافي: ٤٣/٤، عيون أخبار الرضا: ٢ / ١١.

من بعدي، وأمّا أنا فإني ذاهب في وجه الأرض لا أرجع منه ...»[١].

وجاء في بحار الأنوار نقلاً عن المصدر نفسه : «**فإني ذاهب في وجه لا أرجع**»[٢].

٦ ـ وعن البزنطي قال : قال لي ابن النجاشي : «من الإمام بعد صاحبك؟ فأُحب أن تسأله حتى أعلم. فدخلت على الرضا (عليه السلام) فأخبرته، فقال لي : **الإمام ابني**»[٣].

٧ ـ واجتمع جماعة عند الإمام الرضا (عليه السلام) فلما نهضوا قال لهم : «**القوا أبا جعفر فسلّموا عليه وأحدثوا به عهداً**، ثم قال : **يرحم الله المفضل أنّه لكان ليقنع بدون هذا**»[٤].

وفسّر العلامة المجلسي قوله (عليه السلام) : «ليقنع بدون ذلك، أي : بأقلّ مما قلت لكم في العلم بأنه إمام بعدي، ونبّههم بذلك على أن غرضه النصّ عليه، ولم يصرّح به تقية واتقاء»[٥].

وقد نصّ (عليه السلام) على إمامة الإمام الجواد (عليه السلام) بالشكل الذي تثبت امامته عند المقربين من الإمام (عليه السلام) وأتباعه المخلصين، والكوادر الرسالية التي أعدّها للمستقبل، ووكلائه الثقات .

وقد أعدّ الإمام (عليه السلام) طليعة من الكوادر لإسناد منهج أهل البيت (عليهم السلام) وإسناد إمامة الإمام الجواد (عليه السلام) ومنهم : عمّه عليّ بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وصفوان بن يحيى، وأحمد بن محمّد بن أبي نصر .

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٣٣، إعلام الورىٰ: ٢/٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٦٠ و ٤٩/٢٨٥ و ٥٠/١٨.

(٣) الكافي : ١/ ٣٢٠، الإرشاد: ٢/٢٧٧، وانظر الغيبة للطوسي: ٧٠ ـ ٧١، واللفظ للثاني.

(٤) الكافي : ١/ ٣٢٠، الإرشاد: ٢/٢٨٠، رجال الكشي: ٢/٦٢٠، ح٥٩٣.

(٥) بحار الأنوار : ٥٠ / ٢٥ .

وإنقاد أتباع الإمام الرضا (عليه السلام) للإمام الجواد (عليه السلام) وانقادت القاعدة الشعبية لإمامته إلّا من شذّ منهم، واستقرت الإمامة على الإمام الجواد(عليه السلام) طبقاً للنصوص المتظافرة عليه من قبل أبيه وجده وأجداده، ولم تخف إمامته حتى عند الحكومة العباسية وولاتها وقوّادها .

الإعداد لدولة المهديّ المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه)

إنّ إمامة الإمام المهدي(عليه السلام) من الحقائق الثابتة عند المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وهو المصلح الأكبر والمنقذ الأعظم للبشرية من شتّىٰ أنواع الإنحراف، وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد امتلائها ظلماً وجوراً.

وقام الإمام الرضا (عليه السلام) بدوره ومسؤوليته في توجيه الأنظار الى حقيقة هذا المبدأ الإسلامي المتمثّل في قضية الإمام المهدي(عليه السلام)، لقرب العهد بولادته وغيبته، وقد جاءت رواياته وإخباراته مطابقة لما صدر عن رسول‌الله(صلى الله عليه وآله) من روايات وأحاديث :

فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **«لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»**[1].

كما قال (صلى الله عليه وآله) : **«المهدي من عترتي من ولد فاطمة»**[2]، وقال: **«المهدي من ولد الحسين»**[3].

---

(١) سنن أبي داود: ٣١٠/٢، المصنّف لابن أبي شيبة: ٦٧٩/٨.

(٢) الغيبة للطوسي: ١٨٦، سنن أبي داود: ٣١٠/٢، وانظر سنن ابن ماجة: ١٣٦٨/٢، وعقد الدرر: ١٨ وكلاهما بدون لفظ (من عترتي).

(٣) انظر كتاب الفتن لنُعيم بن حمّاد: ٢٦٣ حيث أخرج رواية عن عبدالله بن عمرو قال: «يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق...» وأوردها السلمي في عقد الدرر: ١٥٧ بلفظ: «يخرج المهديّ من ولد الحسين ←

ووردت روايات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تصرّح بغيبة الإمام المهدي(عليه السلام)، بقوله (صلى الله عليه وآله) : **«والذي بعثني بالحقّ بشيراً ليغيبنّ القائم من ولدي بعهد معهود إليه منّي، حتى يقول أكثر الناس : ما لله في آل محمّد حاجة، ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه ...»**[١].

وقد قام الإمام الرضا (عليه السلام) بالترويج لهذا المبدأ الإسلامي عند المقرّبين لديه. وقد بلغت النصوص الخاصة بالإمام الرضا(عليه السلام) عن هذه القضية الإسلامية كما أحصاها مسند الإمام الرضا(عليه السلام) ستّة وثلاثين نصّاً[٢]. وإليك نماذج منها:

١ ـ عن أيوب بن نوح قال : قلت للرضا (عليه السلام) : انّا لنرجوا أن تكون صاحب هذا الأمر، وأن يردّه الله عزّوجل إليك من غير سيف، فقد بويع لك، وضربت الدراهم باسمك.

فقال (عليه السلام) : **«ما منا أحد اختلفت إليه الكتب، وسئل عن المسائل، وأشارت إليه الأصابع، وحملت إليه الأموال إلّا أُغتيل أو مات على فراشه، حتى يبعث الله عزّوجلّ لهذا الأمر رجلاً خفيّ المولد والمنشأ غير خفيّ في نسبه»**[٣].

٢ ـ عن محمّد بن أبي يعقوب البلخي قال : سمعت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول : **«إنّه إنّكم ستبتلون بما هو أشدّ وأكبر، تبتلون بالجنين في بطن أُمه والرضيع، حتىٰ يقال : غاب ومات، ويقولون : لا إمام ...»**[٤].

← من قبل المشرق...» وعزاها الى الحافظ أبي نعيم الإصبهاني في «صفة المهدي»، والحافظ نُعيم بن حمّاد، والحافظ الطبراني في «معجمه».

(١) كمال الدين وإتمام النعمة: ٥١/١، وعنه في بحار الأنوار: ٦٨/٥١.

(٢) انظر مسند الإمام الرضا: ٢١٦/١ ـ ٢٢٨.

(٣) الكافي: ٣٤١/١ ـ ٣٤٢، كمال الدين وإتمام النعمة: ٣٧٠/٢، واللفظ للثاني.

(٤) الغيبة للنعماني: ١٨٥، وعنه في بحار الأنوار: ١٥٥/٥١ .

٣ ـ وصرّح (عليه السلام) بخصوصية الإمام المهدي ـ عجّل الله فرجه ـ بأنه الثالث من ولده فقال : «**كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي يطلبون المرعىٰ فلا يجدونه** ، فقال له عليّ بن الحسن بن فضّال : ولم ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : **لأنّ امامهم يغيب عنهم ... لئلّا يكون في عنقه لأحدٍ بيعة إذا قام بالسيف**»[1].

٤ ـ ثم صرّح بأكثر من ذلك فحدّد اسمه فقال(عليه السلام): «**لابدّ من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة ووليجة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض وكلّ حرّى وحرّان، وكلّ حزين لهفان، بأبي أنت وأُمّي سميّ جدّي وشبيهي وشبيه موسىٰ بن عمران ...**»[2].

وكان العباسيون يدركون أن قضيّة الإمام المهدي(عليه السلام) حقيقة إسلامية لابدّ منها، ويتخّوفون من زوال حكمهم على يديه، لذا كانت الروايات في شأنه في غاية السرّية والكتمان. ولعلّ إشخاصهم للأئمة (عليهم السلام) الىٰ مركز حكمهم وعاصمتهم كان قائماً على أساس ترقب ولادة المهدي(عليه السلام) والقضاء عليه في مهده إن لم يمكنهم الحيلولة دون ولادته.

فالمأمون أشخص الإمام الرضا(عليه السلام) الى خراسان، وأشخص ابنه الإمام الجواد(عليه السلام) أيضاً الى بغداد بعد انتقال مركز خلافته إليها. ولعلّ تزويجه للإمام(عليه السلام) من ابنته كان باعتبار هذا الهدف، إضافة الى محاولة اختلاط النسب بين العبّاسيين وأئمة أهل البيت(عليهم السلام) فضلاً عن الحضور داخل حياتهم الشخصية ليكونوا على معرفة بما يستجدّ في حياة أهل البيت(عليهم السلام) .

وقد أشخص الحكّام من بعد المأمون الأئمة الباقين الى مركز حكمهم

(١) علل الشرائع: ٢٤٥/١، عيون أخبار الرضا: ٢٤٧/١، وعنهما في بحار الأنوار: ١٥٢/٥١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٩/٢،كمال الدين وتمام النعمة : ٢ / ٣٧٠ ـ ٣٧١، الغيبة للطوسي: ٤٣٩.

كالإمام الجواد(عليه السلام) والإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام)[١].

ولعلّ سمّ الأئمة منهم واغتيالهم من قبل الحكّام وعمّالهم واقع في هذا الطريق، فالإمام الجواد(عليه السلام) مات مسموماً وعمره خمس وعشرون سنة، والإمام الهادي سُمّ وهو في الحادية والأربعين من عمره والإمام الحسن العسكري(عليه السلام) مات مسموماً وعمره ثمان وعشرون سنة[٢].

ويؤيّد هذا التحليل النصّ المروي عن الإمام أبي محمّد الحسن العسكري(عليه السلام) إذ قال: **قد وضع بنو أُميّة وبنو العبّاس سيوفهم علينا لعلّتين: إحداهما: أنّهم كانوا يعلمون أنّه ليس لهم في الخلافة حقّ فيخافون من ادّعائنا إيّاها، وتستقرّ في مركزها. وثانيهما: انّهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة والظلمة على يد القائم منّا، وكانوا لا يشكّون أنّهم من الجبابرة والظلمة فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول الى منع تولّد القائم(عليه السلام) أو قتله، فأبىٰ الله أن يكشف أمره لواحد منهم، إلّا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون**[٣].

وبوجود الأئمة(عليهم السلام) في البلاط كان يسهل على الحكّام متابعة نشاطهم وحركتهم والتدخل في شؤونهم الخاصة؛ لذا فإن الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) والد الإمام المهدي(عليه السلام) لم يتزوّج زواجاً عادياً ورسمياً، وحينما ولد له الإمام المهدي(عليه السلام) أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له، واجتهاده في البحث عن أمره، لما كان قد شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه وعرف ذلك من انتظارهم له[٤].

---

(١) والملفت للنظر لدى الباحث التاريخي أنّ الأئمة من بعد الرضا(عليه السلام) لم يولد لهم مثل ما ولد لآبائهم من قبل، وهو شاهد على مدى تحديدهم وإحكام الرقابة عليهم، وكما أنه مؤشّر الى تخوّف الحكّام منهم خشية من ظهور المهدي الموعود من بين أبنائهم(عليهم السلام).

(٢) انظر تواريخ ولاداتهم ووفياتهم(عليهم السلام) في: الإرشاد: ٢٧٣/٢، ٢٩٧، ٣١٣، إعلام الورى: ٩١/٢، ١٠٩، ١٣١.

(٣) إثبات الهداة للحر العاملي: ٥٧٠/٣، عن إثبات الرجعة للفضل بن شاذان.

(٤) انظر الإرشاد: ٣٣٦/٢ وعنه في بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٣٤.

وهذه المواقف التي كانت تبدر من السلطة والتحفّظات الكثيرة هي التي جعلت الإمام المهدي(عليه السلام) يختفي دون أن تقوم السلطات باعتقاله، وهي نتيجة للتخطيط الدقيق الذي كان قد بدأه الإمام الرضا(عليه السلام) وتلميحاته وتصريحاته السرية في خصوص الإيمان بالمهدي(عليه السلام) وولادته واسمه. وقد تابع الأئمة من بعده نفس التخطيط، دون أن تشعر بهم السلطات القائمة.

وخلاصة القول: إنّ الإمام الرضا (عليه السلام) قد رسم مستقبل الرسالة بالتمهيد لها من خلال الوصية بإمامة ابنه الجواد (عليه السلام)، ثمّ عليّ الهادي ثمّ الحسن العسكري ثم ابنه الإمام المهدي المنتظر؛ لتواصل الأُمّة ولاءها وتستمر في إنتمائها الفكري والعاطفي والسلوكي.

اغتيال الإمام الرضا (عليه السلام):

لقد كان الإمام الرضا(عليه السلام) يعلم بأنه سوف يُقتل، وذلك لروايات وردت عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، إضافة الى الإلهام الإلهي له، لوصوله الى قمة السموّ والإرتقاء الروحي. ولا غرابة في ذلك، فقد شاهدنا في حياتنا المعاصرة أنّ بعض الأتقياء يحدّدون أيام وفاتهم أو سنة وفاتهم، لرؤيا رأوها أو لإلهام إلهي غير منظور. فما المانع أن يعلم الإمام الرضا (عليه السلام) بمقتله وهو الشخصية العظيمة التي ارتبطت بالله تعالى ارتباطاً حقيقياً في سكناتها وحركاتها، وأخلصت له إخلاصاً تاماً.

وقد أخبر الإمام (عليه السلام) جماعة من الناس بأنّه سيدفن قرب هارون، بقوله(عليه السلام): **«هارون وأنا كهاتين»**، وضم أصبعيه[1].

---

(١) انظر الرواية في الكافي: ٤٩١/١، عيون أخبار الرضا: ٢٤٥/٢، الارشاد: ٢٥٨/٢، إعلام الورى: ٦٠/٢، الإتحاف بحب الأشراف: ٣١٤.

وكان هارون يخطب في مسجد المدينة والإمام حاضر فقال (عليه السلام) : **«أتروني وإيّاه ندفن في بيت واحد»**[١].

وفي ذات مرّة، خرج هارون من المسجد الحرام من باب، وخرج الإمام من باب آخر فقال (عليه السلام) : **«ما أبعد الدار وأقرب اللقاء بطوس، يا طوس يا طوس ستجمعني وإياه»**[٢].

وقال ابن حجر : أخبر بأنه يموت قبل المأمون ، وأنّه يدفن قرب الرشيد فكان كما أخبر[٣] .

وحينما أراد المأمون إشخاصه الى خراسان، جمع عياله وكان (عليه السلام) يقول: **«انّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي، فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، ثم فرقت فيهم اثنى عشر ألف دينار، ثم قلت : أما إنّي لا أرجع الى عيالي أبداً»**[٤].

وحينما أنشده دعبل الخزاعي قصيدته ـ بعد ولاية العهد ـ وانتهىٰ الى قوله:

«وقبر ببغداد لنفس زكية تضمّنها الرحمن في الغرفات

قال له الإمام (عليه السلام) : **«أفلا اُلحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟**

فقال : بلى يا ابن رسول الله، فقال (عليه السلام) :

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الاحشاء بالحرقات

وألحقه ببيت آخر فقال دعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٢٤٧/٢،كشف الغمّة: ٩٦/٣، الفصول المهمّة: ٩٧٦/٢، والإتحاف بحبّ الأشراف: ٣١٦.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٤٧/٢، إعلام الورىٰ: ٥٩/٢، الفصول المهمّة: ٩٧٦/٢، الإتحاف بحف الأشراف: ٣١٦، واللفظ للأوّل.

(٣) الصواعق المحرقة: ٥٩٣/٢.

(٤) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٣٥، دلائل الإمامة: ٣٤٩، إعلام الورى: ٥٩/٢ ـ ٦٠.

قبر من هو ؟

فقال الإمام (عليه السلام) : **قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري ...»**[١].

وقد تقدّم أنّه أخبر عن عدم إتمام ولاية العهد .

الأدلة على شهادته مسموماً:

اختلفت الروايات في سبب موت الإمام (عليه السلام) بين الموت الطبيعي وبين السمّ، وقال الأكثر أنّه مات مسموماً، وفيما يلي نستعرض بعض الأخبار الروايات ـ الدالة على ذلك ـ باختصار .

قال صلاح الدين الصفدي : وآل أمره مع المأمون الى أن سمّه في رمّانة على ما قيل مداراة لبني العبّاس[٢].

وقال اليعقوبي : فقيل إنّ عليّ بن هشام أطعمه رمّاناً فيه سمّ[٣].

وقال ابن حبّان : ومات عليّ بن موسىٰ الرضا بطوس من شربة سقاه إيّاها المأمون فمات من ساعته[٤].

وقال شهاب الدين النويري : ... وقيل إنّ المأمون سمّه في عنب، واستبعد ذلك جماعة وأنكروه[٥].

وقال القلقشندي : يقال أنّه سمّ في رمّان أكله[٦].

---

(١) عيون أخبار الرضا : ٢٩٥/٢، مناقب آل أبي طالب: ٤٥٠/٣، إعلام الورىٰ: ٦٧/٢.

(٢) الوافي بالوفيات : ١٥٦/٢٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٤٥٣/٢.

(٤) الثقات : ٨ / ٤٥٦ ـ ٤٥٧ .

(٥) نهاية الإرب : ٢٢ / ٢١٠ .

(٦) مآثر الانافة في معالم الخلافة : ١ / ٢١١ .

وكان أهل طوس يرون أنّ المأمون سمّه، وقد اعترف المأمون بتهمة الناس له فقد دخل على الإمام (عليه السلام) قبيل موته فقال: «يا سيّدي والله ما أدري أي المصيبتين أعظم عليّ ؟ فقدي لك، وفراقي إيّاك ؟ أو تهمة الناس لي أنّي اغتلتك وقتلتك...»(١).

ولما كان اليوم الثاني اجتمع الناس وقالوا: إنّ هذا قتله واغتاله، يعنون المأمون(٢).

ومن الشواهد على أنّ المأمون قتله مسموماً، إنّه كان يخطط للتخلص منه.

قال المأمون لبني العبّاس: ... فليس يجوز التهاون في أمره، ولكنّا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً، حتى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، ثم ندبّر فيه بما يحسم عنّا مواد بلائه(٣).

ويأتي موت الإمام (عليه السلام) بعد قرار المأمون بالتوجه الى العراق ونقل عاصمة حكمه إليه، فقد وجد أنّ العبّاسيين في العراق سيبقون معارضين له ما دام الإمام(عليه السلام) ولياً لعهده، لذا نجده قد كتب لهم ليستميلهم: إنّكم إنّما نقمتم عليّ بسبب توليتي العهد من بعدي لعليّ بن موسىٰ الرضا، وها هو قد مات، فارجعوا الى السمع والطاعة(٤).

ولا يستبعد من المأمون أن يَقدم على قتله، وقد قتل من أجل الملك والسلطة أخاه وآلاف المسلمين من جنوده وجنود أخيه، فالملك عقيم كما أخبره أبوه من قبل .

---

(١) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٦٩، وعنه في بحار الأنوار: ٢٩٩/٤٩ .

(٢) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٧٠، وعنه في بحار الأنوار: ٢٩٩/٤٩.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١٨٢/٢، دلائل الإمامة: ٣٨٠، فرائد السمطين : ٢١٤/٢ ـ ٢١٥ .

(٤) انظر تاريخ الطبري: ١٥٠/٧، الكامل في التاريخ: ٣٥١/٦، البداية والنهاية: ٢٧٢/١٠ واللفظ للآخير.

أسباب إقدام المأمون على سمّ الإمام(عليه السلام) واغتياله:

من الأسباب التي دعت المأمون الى سمّ الإمام أنّه لم يحصل على ما أراد من توليته للعهد، فقد حدثت له فتنة جديدة وهي تمرّد العبّاسيين عليه، ومحاولتهم القضاء عليه .

ومن الأسباب التي وردت عن أحمد بن عليّ الأنصاري عن أبي الصلت الهروي في قوله : «... وجعل له ولاية العهد من بعده ليرىٰ الناس أنه راغب في الدنيا؛ فيسقط محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلّا ما ازداد به فضلاً عندهم، ومحلّاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً من أن يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء، وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة، فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلّا قطعه وألزمه الحجّة .

وكان الناس يقولون : والله إنّه أولىٰ بالخلافة من المأمون، وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه، فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده له ».

وكان الرضا لا يُحابي المأمون من حقّ، وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله؛ فيغيظه ذلك، ويحقده عليه، ولا يظهره له، فلمّا أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسمّ[1].

وقد نصحه الإمام (عليه السلام) ـ كما تقدم ـ بأن يبعده عن ولاية العهد لبغض البعض لذلك، وقد علّق إبراهيم الصولي على ذلك بالقول : كان هذا والله السبب فيما آل الأمر إليه[2].

---

(١) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٦٦، وعنه في بحار الأنوار: ٢٩٠/٤٩.

(٢) انظر عيون أخبار الرضا: ١٥٧/٢، نثر الدر: ٢٥١/١، وعن نثر الدر في كشف الغمّة: ١٠٢/٣، واللفظ للثاني.

إضافة الى ذلك أنّ بعض وزراء المأمون وقوّاده كانوا يبغضون الإمام (عليه السلام) ويحسدونه، فكثرت وشاياتهم على الإمام (عليه السلام)، فأقدم المأمون على سمّه[١].

وبدأت علامات الموت تظهر على الإمام (عليه السلام) بعد أن أكل الرمان، أو العنب الذي أطعمه المأمون، وبعد خروج المأمون ازدادت حالته الصحية تدهوراً، وكان آخر ما تكلم به : ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[٢] ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾[٣].

ودخل عليه المأمون باكياً، ثم مشىٰ خلف جنازته حافياً حاسراً يقول : «يا اخي لقد ثلم الإسلام بموتك وغلب القدر تقديري فيك» وشق لحد هارون ودفنه بجنبه[٤].

وقد رثاه دعبل الخزاعي بقصيدة رائعة، هذه بعض أبياتها:

أرىٰ أُميــة مــعذورين أن قـتلوا ولا أرىٰ لبـني العبّاس مـن عـذر
أربِع بطوس على قبر الزكي بـه إن كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلّهم وقبر شرهم هذا من العبر
ماينفع الرجس من قرب الزكي ومـا على الزكي بقرب الرجس من ضرر[٥]

وكانت شهادة الإمام الرضا (عليه السلام) في آخر صفر سنة (٢٠٣ هـ) كما ذكر ذلك أغلب الرواة والمؤرخين[٦].

---

(١) انظر الإرشاد: ٢٦٩/٢، إعلام الورى: ٨٠/٢.

(٢) آل عمران (٣): ١٥٤ .

(٣) الأحزاب (٣٣): ٣٨ .

(٤) انظر عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨، وعنه في بحار الأنوار: ٣٠٥/٤٩.

(٥) أمالي الصدوق: ٧٥٨ ـ ٧٥٩، عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٨١، وانظر تاريخ مدينة دمشق: ٢٦٠/١٧ واللفظ للأوّل.

(٦) انظر إعلام الورىٰ: ٤١/٢، تاريخ الطبري: ١٥٠/٧، الكامل في التاريخ: ٣٥١/٦، تاريخ ابن خلدون: ٢٥٠/٣.

كرامة زيارته:

قال ابن حبّان: قد زرته مراراً كثيرة، وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر عليّ بن موسىٰ الرضا، صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلّا استجيب لي، وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جربته مراراً، فوجدته كذلك[1].

وقد اشتهرت هذه الكرامات على مدى القرون ولا سيّما في عصرنا الراهن حتى أنّ القائمين بشؤون الحرم الرضوي قد أسّسوا قسماً خاصاً بتسجيل هذه الكرامات وتدوينها مع شواهدها وذاع صيتها واشتهر أمرها وأصبحت من الواضحات لدى عامة المؤمنين بل جملة من الأطباء الذين كانوا يشرفون على تطبيب بعض المرضى الذين لا علاج لهم.

* * *

(١) الثقات: ٨ / ٤٥٧.

الفَصلُ الثّالِثُ

مدرسة الإمام الرضا(عليه السلام)، احتجاجاته وتراثه

عاش الإمام الرضا(عليه السلام) في عصر انفتاح الأُمّة الإسلامية على تراث الأُمم الأُخرى التي أخذت تدخل في حاضرة المسلمين وتساهم معهم في بناء صرح حضارتهم الإسلامية.

وقد بلغ هذا الانفتاح مبلغاً عظيماً في عصر الإمام الرضا(عليه السلام) بشكل واضح حتى كان يهدّد الثقافة الإسلامية إن لم يتصدّ له المعنيّون بحفظ أصالة الثقافة الإسلامية من الذوبان في الثقافات الدخيلة عليها بشكل أو آخر.

وقد إعتنى الإمام الرضا(عليه السلام) بهذا الجانب الخطير فقام باعداد وتربية أجيال من العلماء ليحرصوا على صيانة التراث الإسلامي من الذوبان والإنهيار، ويقوموا بمهمّة نشر الفكر الإسلامي الصائب في أرجاء العالم الإسلامي ويهتمّوا بتربية أجيال تحمل هذه الرسالة الى العالم أجمع.

من هنا كانت للإمام الرضا(عليه السلام) مدرسة حيّة تتقوّم بعناصر عالمة ومتعلّمة وذات ثقافة رسالية فريدة.

وهذه المدرسة تعتبر جزءاً من التراث الحيّ للإمام الرضا(عليه السلام) . وهي بعدٌ متميّز من تراثه الثرّ.

وتأتي احتجاجات الإمام الطويلة والمتنوّعة مع أرباب شتى المذاهب والأديان لتشكّل علامة فارقة أُخرى في حياة الإمام الرضا(عليه السلام) وهي الجزء

الآخر من تراثه المعطاء.

كما يعتبر كل ما دوّن وروي عن الإمام الرضا(عليه السلام) من أحاديث ورسائل وكتب في شتى ميادين المعرفة الإسلامية الجزء الثالث من تراثه الخالد للأُمة الإسلامية بل البشرية جمعاء .

من هنا سوف نتكلّم عن هذه الحقول والأجزاء الثلاثة ضمن ثلاثة بحوث تأتي تباعاً.

البحث الأوّل: مدرسة الإمام الرضا(عليه السلام)

يتراوح عدد الرواة عن الإمام الرضا (عليه السلام) كما جاء في المصادر الموجودة بأيدينا بين (٣١٣) الى (٣٦٧) راوياً. وهؤلاء يعتبرون طلّاب مدرسته والمتخرجين على يديه. وقد أحصى عددهم صاحب مسند الإمام الرضا وترجم لِـ ٣١٢ راوياً منهم بشكل موجز جدّاً إستناداً الى ما جاء لهم من ذكر في أسانيد روايات المسند[1].

على أنّ الشيخ الطوسي (رحمه الله) قد ذكر نحو ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام)[2]، بينما أنهاهم الشيخ باقر شريف القرشي الى (٣٦٧) راوياً[3].

ونظرة سريعة إلى مسند الإمام الرضا(عليه السلام) تعطينا صورة إجمالية عن اتجاهات مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) وملامح عصره في مجالات التربية العلمية والأخلاقية كما كانت تتطلّبها الظروف التي عاشها الإمام (عليه السلام) هذا فضلاً عن الإعداد الخاص للمستقبل القريب والبعيد الذي كان قد خطط له الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، كما هو واضح لمن يتدبّر مجموع ما صدر عنهم من نصوص وما تضمّنتها من التوجيه الى آفاق المستقبل المشرق الذي ينتظر أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وهم الجماعة الصالحة التي التزمت خطّهم الفكري والسياسي وأصرّت على التضحية في سبيل العقيدة الصحيحة والمبدأ الحقّ.

وقد ازداد النشاط العلمي لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا العصر وتمثّل

---

(١) انظر مسند الإمام الرضا: ٥١١/٢ ـ ٥٥٥.

(٢) انظر رجال الطوسي: ٣٥٢ ـ ٣٧٠.

(٣) حياة الإمام الرضا: ٨٥/٢ ـ ١٨٠.

في كثرة التأليف والتدوين، والتدريس والرواية وشمل جميع الحقول المعرفية المعروفة آنذاك .

كما ازداد عدد الأفراد المنتمين لمدرسة الفقهاء الرواة من أتباع أهل البيت(عليهم السلام) ازدياداً ملحوظاً، ونلمس ذلك بوضوح من خلال عدد رواة الإمام الرضا(عليه السلام) حيث تكشف قائمة الرواة عن مدى الاهتمام منهم بإنتهال العلم من مدرسة الإمام الرضا(عليه السلام) الرسالية في عصره، لا سيّما إذا لاحظنا تنوّع مستوياتهم وتنوّع اتجاهاتهم وتنوع بلدانهم واهتماماتهم العلمية من خلال تنوع الأسئلة والمجالات التي رووا فيها الأحاديث عن الإمام الرضا(عليه السلام).

ونشير فيما يلي الى بعض أصحاب الإمام والى جملة من مؤلفاتهم .

لقد ذكرت كتب التراجم ليونس بن عبدالرحمن[١] الكتب التالية :

١ ـ كتاب الشرايع، ٢ ـ جوامع الآثار، ٣ ـ الجامع الكبير في الفقه، ٤ ـ الصلاة، ٥ ـ الوضوء، ٦ ـ يوم وليلة، ٧ ـ السهو، ٨ ـ الزكاة، ٩ ـ اختلاف الحجّ، ١٠ ـ العلل الكبير، ١١ ـ علل الحديث، ١٢ ـ الفرائض، ١٣ ـ الفرائض الصغير، ١٤ ـ الاحتجاج في الطلاق، ١٥ ـ التجارات، ١٦ ـ المزارعات، ١٧ ـ الآداب والدلالة على الخير، ١٨ ـ علل النكاح وتحليل المتعة، ١٩ ـ البيوع، ٢٠ ـ الديات، ٢١ ـ الحدود[٢].

---

(١) يونس بن عبدالرحمن هو أبو محمّد مولى آل يقطين ثقة من أصحاب الكاظم والرضا (عليهما السلام)، كان وجهاً في أصحابنا متقدماً عظيم المنزلة قال ابن النديم في الفهرست: ٢٧٦ : «يونس بن عبدالرحمن من أصحاب موسى بن جعفر(عليهما السلام) من موالي آل يقطين علّامة زمانه كثير التصنيف والتأليف على مذاهب الشيعة» ثم عدكتبه وكان يونس من أصحاب الإجماع ولد في أيام هشام بن عبدالملك ورأى جعفر بن محمّد (عليهما السلام) بين الصفا والمروة ولم يرو عنه وروى عن الكاظم والرضا (عليهما السلام) وكان الرضا (عليه السلام) يشير إليه في العلم والفتيا وكان ممن بذل على الوقف مالاً جزيلاً فما قبل، مات رحمه الله سنة ٢٠٨ .

(٢) انظر رجال النجاشي: ٤٤٦ ـ ٤٤٧، الفهرست للطوسي: ٥١١، حيث ذكر بعضاً من تلك الكتب، وراجع معجم رجال الحديث للخوئي: ٢٠٩/٢١ ـ ٢١٠.

وذكرت لصفوان بن يحيىٰ[1] ما يلي :

١ ـ كتاب الوضوء، ٢ ـ الصلاة، ٣ ـ الصوم، ٤ ـ الحجّ، ٥ ـ الزكاة، ٦ ـ النكاح، ٧ ـ الطلاق، ٨ ـ الفرائض، ٩ ـ الوصايا، ١٠ ـ الشراء والبيع، ١١ ـ العتق والتدبير، ١٢ ـ البشارات، ١٣ ـ النوادر[2].

وذكرت للحسن بن محبوب أيضاً : ١ ـ كتاب المشيخة، ٢ ـ الحدود، ٣ ـ الديات، ٤ ـ الفرائض، ٥ ـ النكاح، ٦ ـ الطلاق، ٧ ـ النوادر نحو ألف ورقة، ٨ ـ التفسير، ٩ ـ العتق[3].

كما ذكرت كتب أُخرى لعثمان بن عيسىٰ الرؤاسي ومحمّد بن أبي عمير وعليّ بن يقطين ومحمّد بن عيسىٰ اليقطيني حتى جاء عنه في مناقب ابن شهر آشوب انه جمع من مسائل أبي الحسن الرضا مما سئل عنه وأجاب ثمانية عشر ألف مسألة[4] .

---

(١) هو أبو محمّد صفوان بن يحيى البجلي الكوفي، بياع السابري من أصحاب الإمامين السابع والثامن(عليهما السلام) وأقرّوا له بالفقه والعلم، ثقة من أصحاب الإجماع وكان وكيل الرضا (عليه السلام) وصنف كتباً كثيرة كان من الورع والعبادة ما لم يكن احد في طبقته . ونقل الشيخ : «إنه أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وأعبدهم كان يصلي كل يوم خمسين ومائة ركعة ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ويخرج زكاة ماله كل سنة ثلاث مرات وذاك أنّه اشترك هو وعبدالله بن جندب وعليّ بن النعمان في بيت الله الحرام فتعاقدوا جميعاً إن مات واحد منهم يصلي من بقي بعده صلاته ويصوم عنه ويحج عنه ويزكي عنه ما دام حياً فمات صاحباه وبقى صفوان بعدهما وكان يفي لهما بذلك وكان يصلي عنهما ويزكي عنهما ويصوم عنهما ويحج عنهما وكل شيء من البر والصلاح يفعل لنفسه كذلك يفعله عن صاحبيه ـ الى أن قال ـ : وروى عن أربعين رجلا من أصحاب أبي عبدالله (عليه السلام) . وله كتب كثيرة مثل كتب الحسين بن سعيد وله مسائل عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) وروايات» .

مات(رحمه الله) بالمدينة وبعث إليه أبو جعفر بحنوطه وكفنه وأمر إسماعيل بن موسى بالصلاة عليه .

(٢) انظر رجال النجاشي: ١٩٧ ـ ١٩٨، الفهرست للطوسي: ٢٤١ ـ ٢٤٢، حيث ذكر بعضاً من كتبه، وراجع معجم رجال الحديث: ١٠/١٣٤ ـ ١٣٦.

(٣) انظر الفهرست: ١٢٢، وراجع معجم رجال الحديث: ٦/٩٦ ـ ٩٧ .

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣/٤٦١ .

البحث الثاني: احتجاجات الإمام الرضا(عليه السلام)

إنّ انفتاح الأُمّة الإسلامية على الأُمم والثقافات الأُخرى ـ بأيّ سبب كان[1] ـ كان يتطلّب من القيادة الرساليّة التي كانت مهمّتها الأُولى صيانة الرسالة الإسلامية والأُمّة المسلمة من الإنهيار والسقوط أن تقوم بتحصين الأُمّة والمجتمع الإسلامي تحصيناً علمياً وثقافياً يجعلها تصمد أمام الاختراق الثقافي المقصود أو غير المقصود.

وقد عرفنا أن عصر الإمام الرضا(عليه السلام) قد تميّز بانفتاح هذا الباب على مصراعيه، وأصبح الخطر محدقاً بالأُمة، وكان المأمون يبدي رغبة جامحة وشديدة في الحوار بين الإمام الرضا(عليه السلام) وسائر أرباب الأديان والمذاهب والاتجاهات العاملة في المجتمع الإسلامي آنذاك.

وقد تحقق هذا الحوار المفتوح على أصعدة شتّى، وتحدّى فيه الإمام الرضا(عليه السلام) ـ باعتباره الشخصية العلمية الوحيدة اللامعة في العالم الإسلامي ـ كل أصحاب الأديان والمذاهب والفرق وفاقهم جميعاً، وسجّل بذلك للعالم الإسلامي تفوّقه وقيمومته العلمية بالنسبة لهم، وتلألأت بذلك شخصية الإمام

(١) قد يكون هذا الانفتاح نتيجة طبيعية لدخول الأُمم الأُخرى في الحاضرة الإسلامية بعد إعتناق الإسلام أو معايشتها للمسلمين، وقد يكون السبب محاولة الاختراق منهم رغم الفتوحات الإسلامية التي أنتجت خضوعهم للدولة الإسلامية،كما يحتمل أن يكون للخلفاء دور في التشجيع على الترجمة للتراث الآخر رغبةً منهم في التوسع العلمي والإطلاع على سائر الثقافات أو رغبة منهم لانشغال طلّاب العلم بالثقافات الأُخرى لئلّا يتفرّغوا للتوجه الى معين أهل البيت(عليهم السلام) الرسالي، لأنّ هذا التوجه سيؤدي الى مرجعيتهم العلمية والتي تستتبعها مرجعيتهم السياسية ولو بعد فترة طويلة، وهذا مما لا يروق لهم بحالٍ من الأحوال.

الرضا(عليه السلام) بشكل خاص[١].

ولا ندري هل سجّلت كتب التراث كل ساحات الحوار ونصوصه التي دارت بين الإمام الرضا(عليه السلام) وسائر أرباب الأديان والمذاهب، غير أنّ ما وصل إلينا من حوارات غني في بابه وتنوّع مجالاته، بالرغم من وجود شواهد تاريخية على إصرار المأمون لحجب هذه الحوارات عن الانتشار.

وتكفّلت كُتب الاحتجاج بثبت جملة من هذه الحوارات وتجدها في كتاب الاحتجاج للطبرسي وبحار الأنوار للمجلسي فضلاً عن كتاب عيون أخبار الرضا(عليه السلام).

وقد أنتجت هذه الحوارات المهمّة ما يلي:

١ ـ تحدي أرباب الأديان والمذاهب، وإثبات التفوّق العلمي لمدرسة أهل البيت(عليهم السلام) الرسالية.

٢ ـ فتح الباب لانتشار ثقافة أهل البيت(عليهم السلام) في أوساط المجتمع الإسلامي.

٣ ـ توجيه المسلمين الى خط أهل البيت(عليهم السلام) الرسالي ودعوتهم للإنشداد بهم دون غيرهم دعوة صامتة.

٤ ـ دعم الدولة الإسلامية لأنها قدّمت للإنسانية الرصيد العلمي الذي تمتلكه الحضارة الإسلامية.

٥ ـ ولا نستبعد أن تكون هذه الفتوحات الكبيرة سبباً من أسباب الإسراع

---

(١) ولعل هذا التفوّق كان أحد أسباب استعجال المأمون في القضاء على شخص الإمام الرضا(عليه السلام) بعد أن ثبت للعالم الإسلامي إشراق هذه الشخصية، وأنّ المأمون لا يستطيع استيعابها واحتواءها، فيكون وجود المأمون حينئذٍ وجوداً هامشياً ـ كما هو كذلك ـ ولكن الملك عقيم والخلافة منصب لا يزهد فيه أصحاب المطامع الدنيوية، من هنا تجرّأ المأمون بكل قساوة وخطّط للقضاء على هذه الشخصية المشرقة التي أصبحت تنافسه في أعين الناس بل أصبحت تفوقه بما لا يتحمّله من أنواع التفوّق.

في القضاء على شخص الإمام الرضا(عليه السلام)، لأن تفوقه واشراقه يعود بنتائج سلبية على شخص الخليفة، فيكون وجوده مزاحماً لمثل المأمون الذي يحمل أكبر الآمال في إحكام السيطرة على العالم الإسلامي.

وعلى كل حال فقد تنوّعت مجالات الحوار فشملت التوحيد، والنبوّة والأنبياء(عليهم السلام) والإمامة والأئمة، والمذاهب الإسلامية، والخلافة والصحابة، وغيرها من مسائل الخلاف بين المسلمين.

ونستعرض فيما يلي نماذج من هذه الاحتجاجات لنقف على جانب من عظمة الإمام العلمية ونشاطه الخاص في هذا المجال الخطير.

١ ـ حواره مع الثنوية

روى الصدوق عن الفضل بن شاذان: سأل رجلٌ من الثنوية أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام) وأنا حاضر فقال له: إنّي أقول: إنّ صانع العالم اثنان فما الدّليل على أنّه واحد؟ فقال: «**قولك: إنّه اثنان دليل على أنّه واحد لأنّك لم تدّع الثاني إلّا بعد إثباتك الواحد، فالواحد مجمع عليه وأكثر من واحد مختلف فيه**»[1].

٢ ـ حواره مع أصحاب الأديان

قال الحسن بن محمّد النوفليّ: «لمّا قدم عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام) الى

(١) التوحيد: ٢٧٠، وعنه في الفصول المهمّة للحرّ العاملي: ١٣٥/١، وعن التوحيد أيضاً في بحار الأنوار: ٢٢٨/٣.

المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر، وأصحاب زردهشت وفسطاس الرّومي والمتكلّمين ليسمع كلامه وكلامهم فجمعهم الفضل بن سهل، ثم أعلم المأمون باجتماعهم، فقال: أدخلهم عليّ، ففعل، فرحّب بهم المأمون .

ثم قال لهم: إني إنّما جمعتكم لخير، وأحببت أن تناظروا ابن عمّي هذا المدنيّ القادم عليّ، فإذاكان بكرة فاغدوا عليَّ ولا يتخلّف منكم أحد، فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكّرون إن شاء الله.

قال الحسن بن محمّد النوفلي: فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا(عليه السلام) إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتولّى أمر أبي الحسن(عليه السلام) فقال له: يا سيّدي إنّ أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول:فداك أخوك إنه اجتمع إليّ أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلّمون من جميع الملل، فرأيك في البكور إلينا إن أحببت كلامهم وإن كرهت ذلك فلا تتجشّم وإن أحببت أن نصير إليك خفّ ذلك علينا .

فقال أبو الحسن(عليه السلام): **أبلغه السلام وقل له: قد علمت ما أردت وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله.** قال الحسن بن محمّد النوفلي: فلمّا مضى ياسر التفت إلينا، ثم قال لي: **يا نوفليّ أنت عراقي ورقّة العراقي غير غليظة فماعندك في جمع ابن عمّك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟** فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان ويحبّ أن يعرف ماعندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان وبئس ـ والله ـ ما بنى.

فقال لي: **وما بناؤه في هذا الباب؟** قلت: إنّ أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء وذلك أنّ العالم لا ينكر غير المنكر وأصحاب المقالات والمتكلّمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة، إن احتججت عليهم بأنّ الله واحد قالوا:

صحّح وحدانيّته وإن قلت: إنّ محمّد(صلى الله عليه وآله) رسول الله قالوا: أثبت رسالته، ثم يباهتون الرجل وهو يبطل عليهم بحجّته، ويغالطونه حتى يترك قوله فاحذرهم جعلت فداك.

قال: فتبسّم(عليه السلام) ثم قال: **يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا عليّ حجّتي؟**

قلت: لا والله ما خفت عليك قطّ وإنّي لأرجو أن يظفرك الله لهم إن شاءالله.

فقال لي: **يا نوفلي أتحبّ أن تعلم متى يندم المأمون؟** قلت: نعم.

قال: **إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزّبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى أهل الهرابذة بفارسيتهم وعلى أهل الرّوم بروميتهم وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم فإذا قطعت كلّ صنف ودحضت حجّته وترك مقالته ورجع إلى قولي علم المأمون أنّ الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له فعند ذلك يكون الندامة، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم.**

فلمّا أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك إنّ ابن عمّك ينتظرك، وقد اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه؟

فقال له الرضا(عليه السلام): **تقدمني فإنّي صائر الى ناحيتكم إن شاء الله**، ثم، توضأ(عليه السلام) وضوء الصلاة وشرب شربة سويق وسقانا منه، ثمّ خرج وخرجنا معه حتى دخلنا على المأمون، وإذا المجلس غاص بأهله ومحمّد بن جعفر وجماعة من الطالبيين والهاشميين والقوّاد حضور.

فلما دخل الرضا(عليه السلام) قام المأمون وقام محمّد بن جعفر وجميع بني هاشم فما زالوا وقوفاً والرضا(عليه السلام) جالس مع المأمون حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا، فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدّثه ساعة، ثم التفت الى الجاثليق، فقال: يا جاثليق هذا ابن عمّي عليّ بن موسى بن جعفر، وهو من ولد فاطمة

بنت نبينا وابن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم فأحب أن تكلّمه أو تحاجّه وتنصفه.

فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف أُحاجُّ رجلاً يحتجّ عليّ بكتاب أنا منكره ونبيّ لا أؤمن به؟

فقال له الإمام الرضا(عليه السلام): **يا نصرانيّ فإن احتججت عليك بانجيلك أتقرّ به؟!**

قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل، نعم والله أقرّ به على رغم أنفي.

فقال له الرضا(عليه السلام): **سل عمّا بدا لك وافهم الجواب.**

قال الجاثليق: ما تقول في نبوّة عيسى(عليه السلام) وكتابه هل تنكر منهما شيئاً؟

قال الرضا(عليه السلام): **أنا مقرّ بنبوّة عيسى وكتابه وما بشّر به أُمّته وأقرّت به الحواريون وكافر بنبوّة كل عيسي لم يقرَّ بنبوة محمّد(صلى الله عليه وآله) وبكتابه ولم يبشّر به أُمّته.**

قال الجاثليق: أليس إنّما تقطع الأحكام بشاهدي عدل؟

قال: **بلى.**

قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوّة محمّد ممّن لا تنكره النصرانية وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملّتنا.

قال الرضا(عليه السلام): **الآن جئت بالنصفة يا نصراني، ألا تقبل منّي العدل المقدّم عند المسيح عيسى بن مريم؟**

قال الجاثليق: ومن هذا العدل؟ سمه لي؟

قال: **ما تقول في يوحنا الدّيلمي.**

قال: بخٍ بخٍ ذكرت أحبّ الناس الى المسيح.

قال: **فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أنّ يوحنا قال إنّ المسيح أخبرني بدين محمّد العربي وبشّرني به إنّه يكون من بعده، فبشّرت به الحواريين فآمنوا به؟!**

قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشّر بنبوّة رجل وبأهل بيته ووصيّه ولم يلخّص متى يكون ذلك ولم يسمّ لنا القوم فنعرفهم.

قال الرضا(عليه السلام): **فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمّد وأهل بيته واُمّته أتؤمن به؟**

قال: سديداً.

قال الرضا(عليه السلام) لفسطاس الرومي: **كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل؟**

قال: ما احفظني له.

ثم التفت الى رأس الجالوت فقال له: **ألست تقرأ الإنجيل؟!**

قال: بلى لعمري.

قال: **فخذ على السفر الثالث، فإن كان فيه ذكر محمّد وأهل بيته واُمته سلام الله عليهم فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي.**

ثم قرأ(عليه السلام) السّفر الثالث حتى إذا بلغ ذكر النبيّ(صلى الله عليه وآله) وقف، ثم قال: **يا نصراني إنّي أسألك بحقّ المسيح واُمّه أتعلم أني عالم بالإنجيل؟** قال: نعم، ثم تلا علينا ذكر محمّد وأهل بيته واُمته ثم قال: **ما تقول يا نصرانيّ؟ هذا قول عيسى بن مريم فإن كذبت ما ينطق به الإنجيل فقد كذبت عيسى و موسى(عليهما السلام) ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لأنّك تكون قد كفرت بربّك وبنبيّك وبكتابك.**

قال الجاثليق: لا اُنكر ما قد بان لي في الإنجيل وإنّي لمقرّ به.

قال الرضا(عليه السلام): **أشهدوا على إقراره. ثم قال: يا جاثليق، سل عمّا بدا لك.**

قال الجاثليق: أخبرني عن حواري عيسى بن مريم كم كان عدّتهم، وعن علماء الإنجيل كم كانوا.

قال الرضا(عليه السلام): **على الخبير سقطت، أمّا الحواريون فكانوا اثنى عشر رجلاً وكان أعلمهم وأفضلهم ألوقا.**

وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنّا الأكبر باج، ويوحنّا بقرقيسيا، ويوحنّا الدّيلمي برجاز، وعنده كان ذكر النبيّ(صلى الله عليه وآله) وذكر أهل بيته وأُمته وهو الذي بشر أُمّة عيسى وبني إسرائيل به، ثم قال(عليه السلام) له: يا نصراني والله إنّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمّد(صلى الله عليه وآله) وما ننقم على عيساكم شيئاً إلّا ضعفه وقلّة صيامه وصلاته.

قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعّفت أمرك، وما كنت ظننت إلّا أنّك أعلم أهل الإسلام.

قال الرضا(عليه السلام): **وكيف ذلك؟**

قال الجاثليق: من قولك: إنّ عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قطّ، ولا نام بليل قطّ، ومازال صائم الدّهر، وقائم الليل.

قال الرضا(عليه السلام):**فلمن كان يصوم ويصلي ؟**

قال: فخرس الجاثليق وانقطع.

قال الرضا(عليه السلام): **يا نصراني! أسألك عن مسألة.**

قال: سل فإن كان عندي علمها أجبتك.

قال الرضا(عليه السلام): **ما أنكرت أنّ عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله عزّ وجلّ؟**

قال الجاثليق: أنكرت ذلك من أجل، أنّ من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فهو ربّ مستحق لأن يعبد.

قال الرضا(عليه السلام): **فإنّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى مشى على الماء وأحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم تتّخذه أُمّته رباً ولم يعبده أحد من دون الله عزّ وجلّ، ولقد صنع حزقيل النبيّ(عليه السلام) مثل ما صنع عيسى بن مريم (عليه السلام) فأحيى خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستّين سنة.**

ثم التفت الى رأس الجالوت فقال له: **يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب**

بني إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدّس ثم انصرف بهم الى بابل فأرسله الله عزّ وجلّ إليهم فأحياهم، هذا في التوراة لا يدفعه إلّا كافر منكم.

قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه.

قال: صدقت. ثم قال(عليه السلام): يا يهوديّ خذ على هذا السفر من التوراة فتلا(عليه السلام) علينا من التوراة آيات، فأقبل يهودي يترجّح لقراءته ويتعجّب.

ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟

قال: بل كانوا قبله.

فقال الرضا(عليه السلام): لقد اجتمعت قريش الى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فسألوه أن يحيي لهم موتاهم فوجّه معهم عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، فقال له: اذهب الى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك، يا فلان و يا فلان و يا فلان ويا فلان، يقول لكم محمّد رسول الله(صلى الله عليه وآله) قوموا بإذن الله عزّ وجلّ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أُمورهم.

ثم أخبروهم أنّ محمّداً قد بعث نبيّاً، فقالوا: وددنا أنا أدركناه فنؤمن به ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلّمه البهائم، والطير والجن والشياطين ولم نتخذه ربّاً من دون الله عزّ وجلّ ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، فمتى اتّخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل ربّاً لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم من إحياء الموتى وغيره، وأنّ قوماً من بني إسرائيل هربوا من بلادهم من الطاعون وهم أُلوف حذر الموت.

فأماتهم الله في ساعة واحدة فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميماً، فمرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجّب منهم ومن كثرة العظام البالية فأوحى الله إليه: أتحبّ أن أُحييهم لك فتنذرهم؟ قال: نعم يا ربّ،

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن نادهم.

فقال: أيتها العظام البالية قومي بإذن الله عزّ وجلّ فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم ثم إبراهيم(عليه السلام) خليل الرحمن حين أخذ الطير وقطعهنّ قطعاً ثمّ وضع على كل جبل منهنّ جزءاً، ثم ناداهن فأقبلن سعياً إليه، ثم موسى بن عمران وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه الى الجبل فقالوا له: إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته.

فقال لهم: إني لم أره. فقالوا: لن نؤمن حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً، فقال: يا ربّ اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وارجع وحدي فكيف يصدّقني قومي بما أخبرهم به، فلو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا، فأحياهم الله عزّ وجلّ من بعد موتهم.

وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه، لأنّ التوراة والانجيل والزبور والفرقان قد نطقت به، فإن كان كل من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يتّخذ ربّاً من دون الله، فاتّخذ هؤلاء كلّهم أرباباً، ما تقول يا نصراني؟

فقال الجاثليق: القول قولك ولا إله إلّا الله.

ثم التفت (عليه السلام) الى رأس الجالوت فقال: يا يهوديّ أقبل عليّ أسألك بالعشر الآيات التي أُنزلت على موسى بن عمران(عليه السلام)، هل تجد في التوراة مكتوباً نبأ محمّد وأُمّته إذا جاءت الأُمّة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبّحون الربّ جداً جداً تسبيحاً جديداً في الكنائس الجدد، فليفرغ بنو إسرائيل إليهم والى ملكهم لتطمئنّ قلوبهم فإنّ بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأُمم الكافرة في أقطار الأرض. أهكذا هو في التوراة مكتوب؟!

قال رأس الجالوت: نعم إنّا لنجده كذلك.

ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً.

قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم إني رأيت صورة راكب الحمار لابساً

جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر.

فقالا: قد قال ذلك شعيا.

قال الرضا(عليه السلام): **يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى: إني ذاهب الى ربّكم وربّي والبار قليطا جاء هو الذي يشهد لي بالحقّ كما شهدت له وهو الذي يفسّر لكم كلّ شيء وهو الذي يبدي فضائح الأُمم، وهو الذي يكسر عمود الكفر؟**

فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئاً من الإنجيل إلّا ونحن مقرّون به.

فقال: **أتجد هذا في الإنجيل ثابتاً يا جاثليق؟!**

قال: نعم.

قال الرضا(عليه السلام): **يا جاثليق ألا تخبرني عن الإنجيل الأوّل حين افتقدتموه عند من وجدتموه ومن وضع لكم هذا الإنجيل؟**

فقال له: ما افتقدنا الإنجيل إلّا يوماً واحداً حتى وجدناه غضّاً طريّاً فأخرجه إلينا يوحنّا ومتي.

فقال له الرضا(عليه السلام): **ما أقلّ معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه، فإن كان هذا كما تزعم فلم اختلفتم في الإنجيل؟ وإنّما وقع الاختلاف في هذا الانجيل الذي في أياديكم اليوم فلو كان على العهد الأوّل لم تختلفوا فيه، ولكني مفيدك علم ذلك، أعلم أنّه لمّا افتقد الإنجيل الأوّل أجتمعت النصارى الى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم(عليه السلام) وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم؟**

فقال لهم ألوقا ومرقابوس: إنّ الإنجيل في صدورنا، ونحن نخرجه إليكم سفراً سفراً في كل أحد، فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس، فإنّا سنتلوه عليكم في كلّ أحد سفراً سفراً حتّى نجمعه كلّه، فقعد ألوقا ومرقابوس ويوحنّا ومتي فوضعوا لكم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأوّل وإنّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ تلاميذ الأوّلين، أعلمت ذلك؟

قال الجاثليق: أما هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن، وقد بان لي من فضل علمك بالإنجيل وسمعت أشياء ممّا علمته، شهد قلبي أنّها حقّ فاستزدت كثيراً من الفهم.

فقال له الرضا(عليه السلام): **فكيف شهادة هؤلاء عندك؟**

قال: جائزة، هؤلاء علماء الإنجيل وكلّ ما شهدوا به فهو حقّ.

فقال الرضا(عليه السلام) للمأمون ومن حضره من أهل بيته ومن غيرهم: **أشهدوا عليه،** قالوا: قد شهدنا.

ثم قال للجاثليق: **بحقّ الابن وأُمّه هل تعلم أنّ متي قال: إنّ المسيح هو ابن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهوذا بن خضرون، وقال مرقابوس: في نسبة عيسى بن مريم: إنه كلمة الله أحلّها في جسد الآدمي فصارت إنساناً، وقال الوقا: إن عيسى بن مريم وأُمه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس.**

ثم إنّك تقول من شهادة عيسى على نفسه، حقّاً أقول لكم يا معشر الحواريين إنّه لا يصعد الى السماء إلّا من نزل منها إلّا راكب البعير خاتم الأنبياء ، فإنّه يصعد الى السماء وينزل، فما تقول في هذا القول؟

قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره .

قال الرضا(عليه السلام): **فما تقول في شهادة الوقا، ومرقابوس ومتي على عيسى وما نسبوه إليه؟**

قال الجاثليق: كذبوا على عيسى.

قال الرضا(عليه السلام): **يا قوم أليس قد زكّاهم وشهد أنهم علماء الإنجيل وقولهم حقّ؟**

فقال الجاثليق: يا عالم المسلمين أحبّ أن تعفيني من أمر هؤلاء.

قال الرضا(عليه السلام): **فإنا قد فعلنا، سل يا نصراني، عمّا بدالك؟**

قال الجاثليق: ليسألك غيري فلا وحقّ المسيح ما ظننت أنّ في علماء

المسلمين مثلك.

فالتفت الرضا(عليه السلام) الى رأس الجالوت فقال له: **تسألني أو أسألك؟**

قال: بل أسألك، ولست أقبل منك حجّة إلّا من التوراة، أو من الإنجيل، أو من زبور داود، أو بما في صحف إبراهيم وموسى.

قال الرضا(عليه السلام): **لا تقبل منّي حجّة إلّا بما تنطق به التوراة، على لسان موسى بن عمران، والإنجيل على لسان عيسى بن مريم، والزبور على لسان داود.**

فقال رأس الجالوت: من أين تثبت نبوّة محمّد؟

قال الرضا(عليه السلام): **شهد بنبوّته(صلى الله عليه وآله) موسى بن عمران وعيسى بن مريم وداود خليفة الله عزّ وجلّ في الأرض.**

فقال له: أثبت قول موسى بن عمران.

فقال الرضا(عليه السلام): **هل تعلم يا يهوديّ أنّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم: إنّه سيأتيكم نبيّ هو من إخوانكم فيه فصدّقوا، ومنه فاسمعوا، فهل تعلم أنّ لبني إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والنسب الذي بينهما من قبل إبراهيم(عليه السلام) ؟**

فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه.

فقال له الرضا(عليه السلام): **هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل نبي غير محمّد(صلى الله عليه وآله)** .

قال: لا.

قال الرضا(عليه السلام): **أوليس قد صحّ هذا عندكم؟!**

قال: نعم ولكنّي أحب أن تصحّحه لي من التوراة.

فقال له الرضا(عليه السلام): **هل تنكر أن التوراة تقول لكم: جاء النور من قِبل طورسيناء، وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران؟**

قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها.

قال الرضا(عليه السلام): أنا أخبرك به، أما قوله: جاء النّور من قبل طورسيناء فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى(عليه السلام) على جبل طور سيناء، وأما قوله: وأضاء لنا من جبل ساعير، فهو الجبل الذي أوحى الله عزّ وجلّ الى عيسى بن مريم(عليه السلام) وهو عليه، وأما قوله: واستعلن علينا من جبل فاران، فذلك جبل من جبال مكّة بينه وبينها يوم.

وقال شعياء النبيّ(عليه السلام) فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة: رأيت راكبين أضاء لهما الأرض أحدهما على حمار، والآخر على جمل، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟!

قال رأس الجالوت: لا أعرفهما فخبّرني بهما.

قال(عليه السلام): أما راكب الحمار فعيسى(عليه السلام)، وأما راكب الجمل، فمحمد(صلى الله عليه وآله) أتنكر هذا من التوراة؟، قال لا، ما أنكره .

ثم قال الرضا(عليه السلام): هل تعرف حيقوق النبيّ؟ قال: نعم إنّي به لعارف، قال(عليه السلام) فإنّه قال وكتابكم ينطق به: جاء الله بالبيان من جبل فاران، وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأُمّته، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البرّ يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقّدس يعني بالكتاب الفرقان أتعرف هذا وتؤمن به؟

قال رأس الجالوت: قد قال ذلك حيقوق (عليه السلام) ولا ننكر قوله.

قال الرضا(عليه السلام): وقد قال داود في زبوره وأنت تقرأه: اللهمّ إبعث مقيم السنّة بعد الفترة، فهل تعرف نبياً أقام السنّة بعد الفترة غير محمّد(صلى الله عليه وآله) ؟

قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولا ننكر، ولكن عنى بذلك عيسى، وأيّامه هي الفترة.

قال له الرضا(عليه السلام): جهلت أنّ عيسى لم يخالف السنّة وقد كان موافقاً لسنّة التوراة حتى رفعه الله إليه، وفي الإنجيل مكتوب: إنّ ابن البرّة ذاهب والبارقليطا جاء من بعده وهو الذي يخفّف الآصار، ويفسّر لكم كلّ شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال،

وهو يأتيكم بالتأويل أتؤمن بهذا في الإنجيل؟

قال: نعم .

فقال الرضا(عليه السلام): **يا رأس الجالوت أسألك عن نبيّك موسى بن عمران؟**

فقال: سل.

قال: **ما الحجّة على أنّ موسى ثبتت نبوّته؟**

قال اليهوديّ: إنّه جاء بما لم يجيء به أحد من الأنبياء قبله.

قال له: **مثل ماذا؟**

قال: مثل فلق البحر، وقلبه العصا حيّة تسعى وضربه الحجر فانفجرت منه العيون، وإخراجه يده بيضاء للناظرين وعلاماته لا يقدر الخلق على مثلها.

قال له الرضا(عليه السلام): **صدقت في أنّه كانت حجّة على نبوّته أنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله أفليس كلّ من ادّعى أنّه نبيّ ثم جاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه ؟**

قال: لا ؛ لأن موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربّه، وقربه منه ولا يجب علينا الإقرار بنبوّة من ادّعاها حتى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء به.

فقال الرضا(عليه السلام): **فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى(عليه السلام) ولم يفلقوا البحر ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عيناً، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ولم يقلب العصا حيّة تسعى؟!**

قال اليهودي: قد خبرتك أنه متى ما جاءوا على نبوّتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ولو جاءوا بما يجيء به موسى، أوكان على غير ما جاء به موسى وجب تصديقهم.

قال الرضا(عليه السلام): **يا رأس الجالوت فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم، وقدكان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون**

طيراً بإذن الله تعالىٰ؟

قال رأس الجالوت: يقال إنّه فعل ذلك ولم نشهده.

قال الرضا(عليه السلام): **أرأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته؟! أليس إنّما جاءت الأخبار من ثقات أصحاب موسى أنه فعل ذلك.**

قال: بلى.

قال: **فكذلك أيضاً أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم فكيف صدقتم بموسى ولم تصدّقوا بعيسى.**

فلم يحر جواباً.

قال الرضا(عليه السلام): **وكذلك أمر محمّد**(صلى الله عليه وآله) **وما جاء به وأمر كلّ نبي بعثه الله ومن آياته أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً لم يتعلّم كتاباً ولم يختلف الى معلّم، ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء وأخبارهم حرفاً حرفاً وأخبار من مضى ومن بقي الى يوم القيامة.**

ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم، وجاء بآيات كثيرة لا تحصى.

قال رأس الجالوت: لم يصحّ عندنا خبر عيسى ولا خبر محمّد ولا يجوز لنا أن نقرّ لهما بما لم يصحّ.

قال الرضا(عليه السلام): **فالشاهد الذي شهد لعيسى ولمحمّد**(صلى الله عليه وآله) شاهد زور.

فلم يحر جواباً.

ثم دعا(عليه السلام) بالهربذ الأكبر فقال له الرضا(عليه السلام): **أخبرني عن زردهشت الذي تزعم أنه نبي ما حجّتك على نبوّته؟**

قال: إنه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله ولم نشهده، ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنه أحل لنا ما لم يحلّه غيره فاتّبعناه.

قال(عليه السلام): **أفليس إنّما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟!**

قال: بلى.

قال: **فكذلك سائر الأُمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيّون، وأتى به موسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليهم فما عذركم في ترك الإقرار لهم، إذ كنتم إنّما أقررتم بزردهشت من قبل الأخبار المتواترة، بأنّه جاء بما لم يجيء به غيره؟!**

فانقطع الهربذ مكانه.

فقال الرضا(عليه السلام): **يا قوم إن كان فيكم أحدٌ يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم.**

فقام إليه عمران الصابي وكان واحداً من المتكلمين فقال: يا عالم الناس لولا أنّك دعوت الى مسألتك لم أُقدم عليك بالمسائل، فلقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بواحدنيّته أفتأذن لي أن أسألك؟

قال الرضا(عليه السلام): **إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو !**

قال: أنا هو.

قال(عليه السلام): **سل يا عمران وعليك بالنصفة وإيّاك والخطل والجور !**

فقال: والله يا سيّدي ما أُريد إلّا أن تثبت لي شيئاً أتعلّق به فلا أجوزه.

قال(عليه السلام): **سل عمّا بدا لك**، فازدحم عليه الناس وانضمّ بعضهم الى بعض.

فقال عمران الصابي: أخبرني عن الكائن الأوّل وعمّا خلق.

فقال(عليه السلام) له: **سألت فافهم أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض، ولا يزال كذلك ثمّ خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة لا في شيء أقامه ولا في شيء حدّه ولا على شيء حذاه ومثّله له.**

فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة واختلافاً وائتلافاً وألواناً وذوقاً وطعماً لا لحاجة كانت منه الى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلّا به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً، تعقل هذا يا عمران؟

قال: نعم والله يا سيّدي.

قال(عليه السلام): **وأعلم يا عمران! أنه لوكان خلق ما خلق لحاجة لم يخلق إلّا من يستعين به على حاجته ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق، لأنّ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى، والحاجة يا عمران لا يسعها لأنّه كان لم يحدث من الخلق شيئاً إلّا حدثت به حاجة أُخرى ولذلك أقول: لم يخلق الخلق لحاجة، ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم الى بعض وفضّل بعضهم على بعض بلا حاجة منه الى فضل ولا نقمةٍ منه على من أذلّ ، فلهذا خلق.**

قال عمران: يا سيّدي هل كان الكائن معلوماً في نفسه عند نفسه؟

قال الرضا(عليه السلام): **إنّما يكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجوداً، ولم يكن هناك شيء يخالفه فتدعوه الحاجة الى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها، أفهمت يا عمران؟**

قال : نعم والله يا سيّدي فأخبرني بأيّ شيء علم ما علم أبضمير أم بغير ذلك؟

قال الرضا(عليه السلام): **أرأيت إذا علم بضمير هل يجد بدّاً من أن يجعل لذلك الضمير حداً ينتهي إليه المعرفة؟!**

قال عمران: لابدّ من ذلك.

قال الرضا(عليه السلام): **فما ذلك الضمير؟**

فانقطع ولم يحر جواباً.

قال الرضا(عليه السلام): **لا بأس، إن سألتك عن الضّمير نفسه تُعرّفُه بضمير آخر؟!**

فإن قلت نعم أفسدت عليك قولك ودعواك يا عمران، أليس ينبغي أن تعلم أنّ الواحد ليس يوصف بضمير، وليس يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهّم منه مذاهب وتجزئة كمذاهب المخلوقين وتجزئتهم فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صواباً.

قال عمران: يا سيّدي ألا تخبرني عن حدود خلقه؟ كيف هي؟ وما

معانيها؟ وعلى كم نوع يكوّن؟

قال(عليه السلام): **قد سألت فاعلم إنّ حدود خلقه على ستّة أنواع: ملموس وموزون ومنظور إليه، وما لا ذوق له، وهو الروح ومنها منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولا حسّ ولا لون ولا ذوق والتقدير، والأعراض، والصور، الطول والعرض، ومنها العمل والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال الى حال وتزيدها وتنقصها.**

فأما الأعمال والحركات فإنّها تنطلق لأنّها لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه، فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة وبقي الأثر ويجري مجرى الكلام يذهب ويبقى أثره.

قال عمران: يا سيّدي ألا تخبرني عن الخالق إذاكان واحداً لا شيء غيره ولا شيء معه، أليس قد تغيّر بخلقه الخلق.

قال له الرضا(عليه السلام): **قديم لم يتغير عزّ وجلّ بخلقه الخلق ، ولكن الخلق يتغير بتغييره.**

قال عمران: فبأي شيء عرفناه.

قال(عليه السلام): **بغيره.**

قال: فأي شيء غيره؟

قال الرضا(عليه السلام): **مشيّته واسمه وصفته وما أشبه ذلك، وكلّ ذلك محدث مخلوق مدبّر .**

قال عمران: يا سيّدي فأيّ شيء هو؟

قال(عليه السلام): **هو نور بمعنى أنه هاد لخلقه من أهل السماء وأهل الأرض، وليس لك عليَّ أكثر من توحيدي إيّاه.**

قال عمران: يا سيّدي أليس قدكان ساكتاً قبل الخلق لا ينطق ثم نطق؟

قال الرضا(عليه السلام): **لا يكون السكوت إلّا عن نطق قبله، والمثل في ذلك أنّه لا يقال للسراج هو ساكت لا ينطق ولا يقال إنّ السراج ليضيء فيما يريد أن يفعل بنا، لأنّ الضوء من**

السراج ليس بفعل منه ولا كون وإنّما هو ليس شيء غيره، فلما استضاء لنا قلنا قد أضاء لنا حتى استضأنا به، فبهذا تستبصر أمرك.

قال عمران: يا سيّدي فإنّ الذي كان عندي أن الكائن قد تغيّر في فعله عن حاله بخلقه الخلق.

قال الرضا: **أحلت يا عمران في قولك: إن الكائن يتغيّر في وجه من الوجوه حتى يصيب الذات منه ما يغيره، يا عمران هل تجد النار يُغيّرها تغير نفسها؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها؟ أو هل رأيت بصيراً قطّ رأى بصره؟**

قال عمران: لم أرَ هذا، ألا تخبرني يا سيّدي أهو في الخلق أم الخلق فيه.

قال الرضا(عليه السلام): **جلّ يا عمران عن ذلك ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه، تعالى عن ذلك، وسأعلّمك ما تعرفه به، ولا قوة إلّا بالله، أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك؟! فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه، فبأي شيء استدللت بها على نفسك يا عمران؟**

قال: بضوء بيني وبينها.

قال الرضا(عليه السلام): **هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر ممّا تراه في عينك؟**

قال نعم.

قال الرضا(عليه السلام): **فأرناه؟** فلم يحر جواباً.

قال الرضا(عليه السلام): **فلا أرى النور إلّا وقد دلّك ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً ولله المثل الأعلى.**

ثم التفت(عليه السلام) الى المأمون فقال: **الصلاة قد حضرت.**

فقال عمران: يا سيّدي لا تقطع عليّ مسألتي فقد رقّ قلبي.

قال الرضا(عليه السلام): **نصلّي ونعود،** فنهض ونهض المأمون، فصلّى الرضا(عليه السلام) داخلاً وصلّى الناس خارجاً خلف محمّد بن جعفر، ثم خرجا ، فعاد

الرضا(عليه السلام) الى مجلسه ودعا بعمران فقال: **سل يا عمران.**

قال: يا سيّدي ألا تخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يوحد بحقيقة أم يوحد بوصف؟

قال الرضا(عليه السلام): **إنّ الله المبدئ الواحد الكائن الأوّل، لم يزل واحداً لا شيء معه، فرداً لا ثاني معه لا معلوماً ولا مجهولاً، ولا محكماً ولا متشابهاً، ولا مذكوراً ولا منسياً، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره، ولا من وقت كان ولا الى وقت يكون ولا بشيء قام ولا الى شيء يقوم، ولا الى شيء استند، ولا في شيء استكن، وذلك كلّه قبل الخلق إذ لا شيء غيره وما أوقعت عليه من الكلّ فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم.**

وأعلم أنّ الإبداع والمشيّة والإرادة معناها واحد، وأسماؤها ثلاثة، وكان أوّل إبداعه وإرادته ومشيّته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيء ودليلاً على كلّ مدرك وفاصلاً لكلّ مشكل. وتلك الحروف تفريق كلّ شيء من اسم حقّ وباطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى، وعليها اجتمعت الأُمور كلّها، ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها تتناهي ولا وجود لأنها مبدعة بالإبداع، والنّور في هذا الموضع أوّل فعل الله الذي هو نور السماوات والأرض.

والحروف هي المفعول بذلك الفعل وهي الحروف التي عليها مدار الكلام والعبارات كلّها من الله عزّ وجلّ، علّمها خلقه، وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً، فمنها ثمانية وعشرون حرفاً تدل على اللغات العربيّة، ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفاً تدلّ على اللغات السريانيّة، والعبرانيّة، ومنها خمسة أحرف متحرّفة في سائر اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلّها وهي خمسة أحرف تحرّفت من الثمانية والعشرين حرفاً من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً.

فأمّا الخمسة المختلفة فبحجج لا يجوز ذكرها أكثر ممّا ذكرناه ثمّ جعل الحروف بعد

إحصائها وإحكام عدّتها فعلاً منه كقوله عزّ وجلّ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[(١)] وكن منه صنع وما يكون به المصنوع، فالخلق الأوّل من الله عزّ وجلّ الإبداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حسّ.

والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون، وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها، والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلّها محسوساً ملموساً ذا ذوق منظوراً إليه والله تبارك وتعالى سابق للإبداع لأنّه ليس قبله عزّ وجلّ شيء، ولا كان معه شيء والإبداع سابق للحروف والحروف لا تدلّ على غير نفسها.

قال المأمون: وكيف لا تدلّ على غير أنفسها؟ قال الرضا(عليه السلام): لأنّ الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً، فإذا ألّف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقلّ لم يؤلفها لغير معنى ولم يك إلّا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً قال عمران: فكيف لنا بمعرفة ذلك؟

قال الرضا(عليه السلام): أمّا المعرفة فوجه ذلك وبيانه أنّك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فرداً فقلت: ا ب ت ث ج ح خ حتى تأتي على آخرها، فلم تجد لها معنى غير أنفسها، فإذا ألفتها وجمعت منها أحرفاً وجعلتها اسماً وصفة لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت كانت دليلة على معانيها داعية الى الموصوف بها، أفهمته؟ قال: نعم.

قال الرضا(عليه السلام): وأعلم أنّه لا يكون صفة لغير موصوف ولا اسم لغير معنى ولا حدّ لغير محدود، والصفات والأسماء كلّها تدلّ على الكمال والوجود ولا تدلّ على الإحاطة كما تدلّ على الحدود التي هي التربيع والتثليث والتسديس، لأنّ الله عزّ وجلّ تدرك معرفته بالصفات والأسماء، ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلّة والكثرة واللّون والوزن وما أشبه ذلك، وليس يحلّ بالله جلّ وتقدّس شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم

(١) ورد هذا المقطع القرآني في عدّة آيات من سور مختلفة فورد في سورة البقرة: ١١٧، وسورة آل عمران: ٤٧، الأنعام: ٧٣ وغيرها.

أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا.

ولكن يدلّ على الله عزّ وجلّ بصفاته ويدرك بأسمائه ويستدلّ عليه بخلقه حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد الى رؤية عين، ولا استماع أُذن ولا لمس كفّ ولا إحاطة بقلب، ولو كانت صفاته جلّ ثناؤه لا تدلّ عليه وأسماؤه لا تدعو إليه والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه، فلولا أنّ ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله تعالى، لأنّ صفاته وأسماءه غيره، أفهمت؟ قال: نعم يا سيّدي زدني.

قال الرضا(عليه السلام): إياك وقول الجهّال من أهل العمى والضلال الذين يزعمون أنّ الله جلّ وتقدّس موجود في الآخرة للحساب والثواب والعقاب، وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء ولو كان في الوجود لله عزّ وجلّ نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة أبداً، ولكنّ القوم تاهوا وعموا وصمّوا عن الحقّ من حيث لا يعلمون، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1] يعنى أعمى عن الحقائق الموجودة.

وقد علم ذوو الألباب أنّ الاستدلال على ماهناك لا يكون إلّا بما ههنا، ومن أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها لم يزدد من علم ذلك إلّا بعداً، لأنّ الله عزّ وجلّ جعل علم ذلك خاصة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون.

قال عمران : يا سيّدي ألا تخبرني عن الإبداع أخلقٌ هو أم غير خلق ؟

قال الرضا (عليه السلام) : بل خلقٌ ساكنٌ لا يُدرَك بالسكون وإنّما صار خلقاً، لأنّه شيءٌ محدَثٌ، والله تعالىٰ الذي أحدثه . فصار خلقاً له . وإنّما هو الله عزّ وجلّ وخلقُهُ لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما، فما خلق الله عزّ وجلّ لم يعد أن يكون خلقه وقد يكون الخلقُ ساكناً

(١) الإسراء (١٧): ٧٢.

ومتحرّكاً ومختلفاً ومؤتلفاً ومعلوماً ومتشابهاً وكلُّ ما وقع عليه حدٌّ فهو خلق الله عزّ وجلّ.

وأعلم أنّ كلّ ما أوجدتك الحواسّ فهو معنى مدرك للحواسّ، وكلّ حاسّة تدل على ما جعل الله عزّ وجلّ لها في إدراكها، والفهم من القلب بجميع ذلك كلّه وأعلم أنّ الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد، خلق خلقاً مقدّراً بتحديد وتقدير وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدّر، وليس في كل واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق، فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركين بأنفسهما، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للّذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده.

فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا يكنه، والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيئته، وإنّما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيّروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة في وصفهم الله بصفة أنفسهم فازدادوا من الحقّ بعداً.

ولو وصفوا الله عزّ وجلّ بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا، فلما طلبوا من ذلك ما تحيّروا فيه ارتبكوا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

قال عمران: يا سيّدي أشهد أنّه كما وصفت، ولكن بقيت لي مسألة.

قال: سل عمّا أردت.

قال: أسألك عن الحكيم في أي شيء هو؟ وهل يحيط به شيء؟ وهل يتحوّل من شيء الى شيء؟ أو به حاجة الى شيء؟

قال الرضا(عليه السلام): أخبرك ياعمران فاعقل ما سألت عنه فانّه من أغمض ما يرد على الخلق في مسائلهم وليس يفهمه المتفاوت عقله، العازب حلمه ولا يعجز عن فهمه أُولوا العقل المنصفون.

أما أوّل ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحوّل الى ما خلق لحاجته الى ذلك، ولكنه عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً لحاجته ولم يزل ثابتاً لا في شيء ولا على

شيء إلّا أنّ الخلق يمسك بعضه بعضاً ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه، والله جلّ وتقدّس بقدرته يمسك ذلك كلّه، وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه ولا يؤوده حفظه، ولا يعجز عن إمساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلّا الله عزّ وجلّ.

ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سرّه والمستحفظين لأمره وخزّانه القائمين بشريعته، وإنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئاً، فإنّما يقول له «كن فيكون» بمشيّته وإرادته، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد منه من شيء، أفهمت ياعمران؟

قال: نعم يا سيّدي قد فهمت، وأشهد أن الله تعالى على ما وصفت ووحدت، وأشهد أنّ محمّداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحقّ، ثم خرّ ساجداً نحو القبلة وأسلم.

قال الحسن بن محمّد النوفلي: فلمّا نظر المتكلمون الى كلام عمران الصابي وكان جدلاً لم يقطعه عن حجّته أحد قطّ، لم يدنُ من الرضا(عليه السلام) أحد منهم ولم يسألوه عن شيء وأمسينا فنهض المأمون والرضا(عليه السلام) فدخلا وانصرف الناس وكنت مع جماعة من أصحابنا إذ بعث اليّ محمّد بن جعفر فأتيته.

فقال لي: يا نوفليّ أما رأيت ما جاء به صديقك لا والله ما ظننت أنّ عليّ ابن موسى خاضّ في شيء من هذا قطّ. ولا عرفناه به إنّه كان يتكلّم بالمدينة أو يجتمع إليه أصحاب الكلام.

قلت: قد كان الحاجّ يأتونه ويسألونه عن أشياء من حلالهم وحرامهم فيجيبهم، وبّما كلّم من يأتيه بحاجة.

فقال محمّد بن جعفر: يا أبا محمّد إنّي أخاف عليه أن يحسده هذا الرّجل فيسمّه أو يفعل به بليّة، فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء، قلت: إذاً لا يقبل

منّي، وما أراد الرجل إلّا امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علوم آبائه(عليهم السلام) فقال لي: قل له إنّ عمك قدكره هذا الباب وأحبّ أن تمسك عن هذه الأشياء لخصال شتى.

فلمّا انقلبت الى منزل الرضا(عليه السلام) أخبرته بما كان من عمّه محمّد بن جعفر فتبسّم ثم قال: **حفظ الله عمّي ما أعرفني به، لمَ كره ذلك؟ يا غلام صر الى عمران الصابي فأتني به.**

فقلت: جعلت فداك أنا أعرف موضعه وهو عند بعض إخواننا من الشيعة.

قال(عليه السلام): **فلا بأس، قرّبوا إليه دابّة**،فصرت الى عمران فأتيته به فرحّب به ودعا بكسوة فخلعها عليه وحمله ، ودعا بعشرة آلاف درهم فوصله بها.

قلت: جعلت فداك حكيت فعل جدّك أمير المؤمنين(عليه السلام) .

قال: **هكذا نحبّ**، ثم دعا(عليه السلام) بالعشاء فأجلسني عن يمينه وأجلس عمران عن يساره حتّى إذا فرغنا قال لعمران: **انصرف مصاحباً وبكّر علينا نطعمك طعام المدينة** ، فكان عمران بعد ذلك يجتمع عليه المتكلّمون من أصحاب المقالات فيبطل أمرهم حتّى إجتنبوه، ووصله المأمون بعشرة آلاف درهم، وأعطاه الفضل مالاً وحمله، وولّاه الرضا(عليه السلام) صدقات بلخٍ فأصاب الرّغائب[1].

٣ـ حواره مع عليّ بن الجهم

عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن القاسم بن محمّد البرمكي عن أبي الصلت الهروي: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا(عليه السلام) أهل المقالات

(١) انظر الرواية باختلاف يسير في بعض الألفاظ في: عيون أخبار الرضا: ١٣٩/١ ـ ١٥٨، التوحيد: ٤١٧ ـ ٤٤١، الاحتجاج: ١٩٩/٢ ـ ٢١٥، لكنه حذف بعض المطالب الغامضة، وعنهم في بحار الأنوار: ٢٩٩/١٠ ـ ٣١٨.

من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وساير أهل المقالات فلم يقم أحد إلّا وقد ألزمه حجّته كأنّه قد أُلقم حجراً.

قام إليه عليّ بن محمّد بن الجهم فقال له: يابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟

قال: بلى.

قال: فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾(١) وقوله عزّ وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾(٢) وقوله في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾(٣) وقوله عزّ وجلّ في داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾(٤) وقوله في نبيّه محمّد(صلى الله عليه وآله): ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾(٥)؟

فقال مولانا الرضا(عليه السلام): ويحك يا عليّ! اتق الله ولا تنسب الى أنبياء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله عزّ وجلّ برأيك، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾(٦).

أما قوله عزّ وجلّ في آدم(عليه السلام) ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ فإن الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض لتتمّ مقادير أمر الله عزّ وجلّ. فلما أهبط الى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله

(١) طه (٢٠): ١٢١.
(٢) الأنبياء (٢١): ٨٧.
(٣) يوسف: (١٢): ٢٤.
(٤) سورة ص(٣٨): ٢٤.
(٥) الأحزاب (٣٣): ٣٧.
(٦) آل عمران (٣): ٧.

عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾[١].

وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ إنّما ظن أنّ الله عزّ وجلّ لا يضيق عليه رزقه ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[٢] أي ضيّق عليه، ولو ظنّ أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عزّ وجلّ في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنّها همّت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ماداخله ، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله : ﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءَ﴾ ـ يعني القتل ـ ﴿وَٱلْفَحْشَاءَ﴾[٣] يعني الزنا.

وأما داود فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال عليّ بن الجهم يقولون: إنّ داود كان في محرابه يصلّي إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير الى الدار، فخرج في أثره فطار الطير الى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود في أثر الطير فإذا بامرأة أُوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها وكان أُوريا قد أخرجه في بعض غزواته، فكتب الى صاحبه أن أقدم أُوريا أمام الحرب، فقدّم فظفر أُوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود.

فكتب إليه ثانية: أن قدّمه أمام التابوت فقتل أُوريا رحمه الله وتزوّج داود بامرأته .

قال: فضرب الرضا(عليه السلام) بيده على جبهته، وقال: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون! لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله الى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة ثم بالقتل.**

(١) آل عمران (٣): ٣٣.
(٢) الفجر (٨٩): ١٦.
(٣) يوسف (١٢): ٢٤.

فقال : يابن رسول الله! فماكانت خطيئته؟

فقال(عليه السلام): ويحك إنّ داود إنّما ظن أن ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا: ﴿خَصْمانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَٱهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ* إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾، فعجّل داود (عليه السلام) على المدّعىٰ عليه، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾[1] ولم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك، ولم يُقبل على المدعي عليه فيقول ما يقول.

فكان هذا خطيئة حكمه، لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْحَقِّ ...﴾ الى آخر الآية[2].

فقلت : يابن رسول الله فما قصته مع اُوريا؟

فقال الرضا(عليه السلام): إنّ المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوّج بعده أبداً، وأول من أباح الله عزّ وجلّ له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود(عليه السلام) ، فذلك الذي شقّ على الناس من قبل اُوريا، وأما محمّد نبيّه(صلى الله عليه وآله) وقول الله عزّ وجلّ له: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ فإن الله عزّ وجلّ عرّف نبيه(صلى الله عليه وآله) أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في الآخرة وإنّهنّ اُمهات المؤمنين واحد من سمي له زينب بنت جحش وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة.

فأخفى (صلى الله عليه وآله) اسمها في نفسه ولم يبده له لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأة في بيت رجل أنها أحد أزواجه من اُمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين قال الله عزّوجل: والله أحقّ أن تخشاه في نفسك وأن الله عزّ وجلّ ماتولى تزويج أحد من خلقه إلّا تزويج حواء من آدم وزينب من رسول الله(صلى الله عليه وآله) وفاطمة من عليّ(عليه السلام) .

---

(١) سورة ص (٣٨): ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) سورة ص (٣٨): ٢٦.

قال: فبكى عليّ بن الجهم وقال: يابن رسول الله أنا تائب الى الله عزّ وجلّ أن أنطق في أنبياء الله عزّ وجلّ بعد يومي هذا إلّا بما ذكرته[١].

٤ ـ حواره مع صاحب الجاثليق

عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى صاحب السابريّ، قال: سألني أبو قرّة صاحب الجاثليق أن أُوصله الى الرضا(عليه السلام) فاستأذنته في ذلك.

فقال(عليه السلام): **أدخله عليّ.** فلما دخل عليه قبّل بساطه وقال: هكذا علينا في ديننا أن نفعل بأشراف أهل زماننا، ثم قال: أصلحك الله ماتقول في فرقة ادّعت دعوى فشهدت لهم فرقة أُخرى معدّلون؟

قال: **الدعوى لهم.**

قال: فادعت فرقة أُخرى دعوى، فلم يجدوا شهوداً من غيرهم؟

قال: **لا شيء لهم.**

قال: فإنّا نحن ادّعينا أنّ عيسى روح الله وكلمته ألقاها، فوافقنا على ذلك المسلمون، وادّعى المسلمون أن محمّداً نبيّ، فلم نتابعهم عليه وما أجمعنا عليه خير ممّا افترقنا فيه.

فقال له الرضا(عليه السلام): **ما اسمك؟**

قال: يوحنا.

قال: **يا يوحنا إنّا آمنا بعيسى بن مريم(عليه السلام) روح الله وكلمته الذي كان يؤمن بمحمّد(صلى الله عليه وآله) ، ويبشّر به، ويقرّ على نفسه أنه عبد مربوب.**

---

(١) أمالي الصدوق: ١٥٠ ـ ١٥٣، عيون أخبار الرضا: ١/١٧٠ ـ ١٧٣، وعن الأمالي في بحار الأنوار: ١١/٧٢ ـ ٧٤.

فإن كان عيسى الذي هو عندك روح الله وكلمته ليس هو الذي آمن بمحمّد (صلى الله عليه وآله) ، وبشّر به ، ولا هو الذي أقرّ لله عزّ وجلّ بالعبوديّة والربوبية ، فنحن منه بُراء فأين اجتمعنا؟

فقام وقال لصفوان بن يحيى: قم فما كان أغنانا عن هذا المجلس![1]

٥ـ حواره مع أرباب المذاهب الإسلامية

لما حضر عليُّ بن موسى الرضا (عليه السلام) مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان . فقال المأمون : «أخبروني عن معنى هذه الآية ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[2] ؟

فقالت العلماء : أراد الله الاُمّة كلّها .

فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال الرضا (عليه السلام) : **لا أقول كما قالوا ولكن أقول : أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة (عليهم السلام) .**

فقال المأمون : وكيف عنى العترةَ دون الاُمّة ؟

فقال الرضا (عليه السلام) : **لو أراد الاُمّة لكانت بأجمعها في الجنّة؛ لقول الله : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[3] . ثم جعلهم كلّهم في الجنّة فقال عزّوجلّ : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾[4] فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم .** ثم قال الرضا (عليه السلام): **هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[5] . وهم الذين قال**

(١) عيون الأخبار: ٢٥٤/٢، وعنه في بحار الأنوار: ٣٤١/١٠ ـ ٣٤٢.
(٢) سورة فاطر (٣٥): ٣٢ .
(٣) سورة فاطر (٣٥): ٣٢ .
(٤) سورة فاطر (٣٥): ٣٣ .
(٥) الاحزاب (٣٣): ٣٣ .

رسول الله(صلى الله عليه وآله) : إني مخلّفٌ فيكم الثـقَلين كتابَ الله وعترتي ـ أهلَ بيتي ـ لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض . انظروا كيف تَخْلُفُوني فيهما، يا أيها النـاس لا تـعلّموهم فـإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أو غيرُ الآل ؟

فقال الرضا (عليه السلام) : **هم الآل.**

فقالت العلماء : فهذا رسول الله يؤثَر عنه [1] أنه قـال : **أُمّتي آلي** وهـؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه : آل محمّد أُمّته.

فقال الرضا (عليه السلام) : **أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمّد ؟**

قالوا : نعم . قال (عليه السلام) : **فتحرم على الأُمّة ؟** قالوا : لا .

قال (عليه السلام) : **هذا فرقٌ بين الآل وبين الأُمّة . ويحكم! أين يذهب بكم؟! أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قومٌ مسرفون؟! أما علمتم أنّما وقعت الرواية في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟!**

قالوا : من أين قلت يا أبا الحسن ؟

قال (عليه السلام) : من قول الله **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتابَ فَمِنْهُم مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2] فصارت وراثة النبوّة والكتاب في المهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أنَّ نوحاً سأل ربّه، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾[3] وذلك أنَّ الله وعده أن ينجيه وأهلَه، فقال له ربُّه تبارك وتعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ**

---

(١) أي ينقل عنه : يقال أثر الحديث من بابي ـ ضرب ونصر ـ: نقله .

(٢) الحديد (٥٧): ٢٦ .

(٣) هود (١١): ٤٥ .

ٱلْجَاهِلِينَ ﴾[١].

فقال المأمون: فهل فضَّل الله العترة على سائر الناس؟

فقال الرضا (عليه السلام): **إنَّ الله العزيز الجبّار فضّل العترة على سائر الناس في محكم كتابه.**

قال المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟

قال الرضا (عليه السلام): **«في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾[٢] وقال الله في موضع آخر: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ ٱلْكِتابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً ﴾[٣] ثمّ ردَّ المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٤] يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحُسِدوا عليهما بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ ٱلْكِتابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً﴾ يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين والمُلْكُ هٰهنا الطاعة لهم.**

قالت العلماء: هل فسَّر الله تعالى الإصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا (عليه السلام): **فسَّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعاً. فأوّل ذلك قول الله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ ﴾[٥] ـ ورهطك المخلصين ـ هكذا في قراءة أُبيّ بن كعب وهي ثابتةٌ في مصحف عبدالله بن مسعود فلمّا أمر عثمان زيدَ ابن ثابت أن يجمع القرآن خَنَسَ هذه الآية وهذه منزلةٌ رفيعة وفضلٌ عظيم وشرف عال حين عنى الله**

---

(١) هود (١١): ٤٦.
(٢) آل عمران (٣): ٣٣ ـ ٣٤.
(٣) النساء (٤): ٥٤.
(٤) النساء (٤): ٥٩.
(٥) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

عزّوجلّ بذلك الآل فهذه واحدة.

والآية الثانية في الاصطفاء قول الله : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١] وهذا الفضل الذي لايجحده معاند لأنّه فضلٌ بيّن .

والآية الثالثة حين ميّز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيّه في آية الابتهال فقال : ﴿فَقُلْ ـ يا محمّد ـ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾[٢] فأبرز النبيّ (صلى الله عليه وآله) عليّاً والحسنَ والحسينَ وفاطمةَ(عليهم السلام) فقَرَن أنفسهم بنفسه . فهل تدرون ما معنى قوله : ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ؟ قالت العلماء: عنى به نفسَه. قال أبوالحسن (عليه السلام) : غلطتم، إنّما عنى به عليّاً (عليه السلام) . ومما يدلُّ على ذلك قولُ النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين قال : لينتهينّ بنو وليعةَ[٣] أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي يعني عليّاً (عليه السلام) . فهذه خصوصيّة لا يتقدّمها أحدٌ . وفضل لا يختلف فيه بشر . وشرف لا يسبقه إليه خلقٌ؛ إذ جعل نفسَ عليٍّ (عليه السلام) كنفسه فهذه الثالثة .

وأمّا الرابعة : فاخراجه الناسَ من مسجده ما خلا العترةَ حين تكلّم الناسُ في ذلك، وتكلم العبّاسُ، فقال : يا رسول الله تركت عليّاً وأخرجتنا ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما أنا تركته وأخرجتكم ولكنَّ الله تركه وأخرجكم . وفي هذا بيان قوله لعليّ(عليه السلام) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى .

قال العلماء ، فأين هذا من القرآن ؟

قال أبو الحسن (عليه السلام) : أوجِدُكُم في ذلك قرآناً أقرؤه عليكم، قالوا : هات . قال(عليه السلام) : قول الله عزّوجلّ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) آل عمران (٣): ٦١ ، وليس في القرآن كلمة «يا محمّد» وهو تفسير وتوضيح منه (عليه السلام) .

(٣) بنو وليعة ـ كسفينة ـ : حيّ من كندة .

وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾(١) ففي هذه الآية منزلةُ هارون من موسى وفيها أيضاً منزلةُ عليٍّ(عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله). ومع هذا دليل ظاهر في رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين قال: انّ هذا المسجد لا يحلُّ لجُنُبٍ ولا لحائضٍ إلّا لمحمدٍ وآل محمّد.

فقالت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلّا عندكم معشرَ أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قال أبو الحسن (عليه السلام): ومن ينكر لنا ذلك ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد مدينةَ العلم فليأتها من بابها». ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا يُنكره إلّا معاندٌ. ولله عزّوجلَّ الحمدُ على ذلك. فهذه الرابعة.

وأمّا الخامسة: فقولُ الله عزّوجلَّ: ﴿ وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾(٢) خصوصية خصَّهم الله العزيز الجبّار بها واصطفاهم على الأُمّة. فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ادعوا لي فاطمة فدعوها له. فقال: يا فاطمة. قالت: لبيّك يا رسول الله. فقال: إنَّ فدك لم يُوجَف عليها بخيلٍ ولا ركاب وهي لي خاصَّة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخُذيها لك ولولدك. فهذه الخامسة.

وأمّا السادسة: فقول الله عزّوجلَّ ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾(٣) فهذه خصوصية للنبي (صلى الله عليه وآله) دون الأنبياء وخصوصيّة للآل دون غيرهم. وذلك أنَّ الله حكىٰ عن الأنبياء في ذكر نوح (عليه السلام) ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَلٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾(٤) وحكى عن

(١) يونس (١٠): ٨٧.
(٢) الإسراء (١٧): ٢٦.
(٣) الشورى (٤٢): ٢٣.
(٤) هود (١١): ٢٩.

هـود(عليه السلام) قـال : ﴿.... لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(١).

وقال لنبيّه (صلى الله عليه وآله) ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . ولم يفرض الله مودَّتهم إلا وقد علم أنَّهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً . وأُخرى أن يكون الرجل وادّاً للرجل فيكون بعضُ أهل بيته عدوّاً له فلا يَسلَمُ قلبٌ فأحبَّ الله أن لا يكون في قلبِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على المؤمنين شيءٌ . إذ فرض عليهم مودَّة ذي القربى، فمن أخذ بها وأحبَّ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) وأحبَّ أهـل بيته (عليهم السلام) لم يستطع رسولُ الله أن يبغضه . ومن تركها ولم يأخذها وأبغض أهل بيت نبيّه (صلى الله عليه وآله) فعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يبغضه؛ لأنّه قد ترك فريضة من فرائض الله . وأيُّ فضيلة وأيُّ شرف يتقدم هذا . ولمّا أنزل الله هذه الآية على نبيّه (صلى الله عليه وآله) ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قـام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أصحابه، فَحَمِد الله وأثنى عليه وقال : أيُّها الناس إنَّ الله قد فرض عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدُّوه فلم يجبه أحدٌ . فقام فيهم يوماً ثانياً، فقال مثل ذلك . فلم يجبه أحدٌ . فقام فيهم يومَ الثالث، فقال : أيُّها الناس إنَّ الله قد فرض عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدُّوه فلم يجبه أحد . فقال : أيُّها الناس إنَّه ليس ذهباً ولا فضة ولا مأكولاً ولا مشروباً . قالوا: فهات إذاً ؟ فتلا عليهم هذه الآية . فقالوا : أمَّا هذا فنعم . فما وفى به أكثرُهم . ثمَّ قال أبو الحسن(عليه السلام) : حدثني أبي، عن جدّي، عن آبائه، عن الحسين بن علـيّ (عليهما السلام) قـال : اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا : إن لك يا رسول الله مؤونةً في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها بارّاً مأجوراً، أعطِ ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج . فأنزل الله عزّوجلّ عليه الروح الأمين فقال : يا محمّد ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لا تؤذوا قرابتي من بعدي، فخرجوا ،

(١) هود (١١): ٥١ .

فقال أُناسٌ منهم : ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحُثّنا على قرابته من بعده إن هو إلّا شيء افتراه في مجلسه وكان ذلك من قولهم عظيماً . فأنزل الله هذه الآية ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١) فبعث إليهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال : هل من حدثٍ؟ فقالوا : إي والله يا رسول الله، لقد تكلّم بعضنا كلاماً عظيماً [فـ]كرهناه، فتلا عليهم رسول الله فبكوا واشتدَّ بكاؤهم، فأنزل الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٢) فهذه السادسة .

وأمّا السابعة فيقول الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(٣) وقد علم المعاندون [منهم] أنّه لمّا نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله، قد عرفنا التسليم [عليك] فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : تقولون : «اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد» وهل بينكم معاشر الناس في هذا اختلافٌ ؟ قالوا : لا . فقال المأمون : هذا ما لا اختلاف فيه [أصلاً] وعليه الإجماع فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن ؟ قال أبو الحسن (عليه السلام) : أخبروني عن قول الله : ﴿ يسٓ * وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٤) فمن عنى بقوله: يٓس؟ قال العلماء : يٓس محمّد ليس فيه شك قال أبو الحسن (عليه السلام) : أعطى الله محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لم يبلغ أحدٌ كنه وصفه لمن عقله وذلك أنَّ الله لم يسلّم على أحد إلّا على الأنبياء [صلوات الله عليهم] فقال تبارك وتعالى : ﴿ سَلاَمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَالَمِينَ ﴾(٥) وقال ﴿ سَلاَمٌ عَلَىٰ

(١) الأحقاف (٤٦): ٨ .
(٢) الشورى (٤٢): ٢٥ .
(٣) الأحزاب (٣٣): ٥٦ .
(٤) يس (٣٦): ١ ـ ٤ .
(٥) الصافات (٣٧): ٧٩ .

إِبْرَاهِيمَ﴾[1] وقال : ﴿ سَلاَمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[2] ولم يقل : سلامٌ على آل نوح ولم يقل: سلامٌ على آل إبراهيم ولا قال : سلامٌ على آل موسى وهارون؛ وقال عزَّوجلَّ : ﴿ سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِين ﴾[3] يعني آل محمّد . فقال المأمون : لقد علمت أنَّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه . فهذه السابعة .

وأمَّا الثامنة فقول الله عزَّوجلَّ : ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[4] فقرن سهم ذي القربى مع سهمه وسهم رسوله (صلى الله عليه وآله) فهذا فصل بين الآل والأُمّة، لأنَّ الله جعلهم في حيّز وجعل الناس كلَّهم في حيّزٍ دون ذلك ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه، وابتدأ بنفسه ثم ثنّى برسوله ثم بذي القربى في كلّ ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك مما رضيه عزّوجل لنفسه ورضيه لهم فقال ـ وقوله الحقُّ:ـ

﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فهذا توكيد مؤكد وأمرٌ دائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[5]. وأما قوله : ﴿وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ ﴾[6] فإنَّ اليتيم إذا انقطع يتمُهُ[7] خرج من المغانم ولم يكن له نصيبٌ وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيبٌ في المغنم ولا يحلُّ له أخذه وسهم ذي القربى إلى يوم القيامة قائم فيهم للغنيّ والفقير، لأنَّه لا أحد أغنى من الله ولا من رسوله (صلى الله عليه وآله) فجعل لنفسه منها سهماً ولرسوله (صلى الله عليه وآله) سهماً، فما رضي لنفسه ولرسوله رضيه لهم وكذلك الفيء ما رضيه لنفسه ولنبيّه (صلى الله عليه وآله) رضيه لذي القربى كما جاز لهم في الغنيمة فبدأ بنفسه، ثمَّ

---

(١) الصافات (٣٧): ١٠٩ .
(٢) الصافات (٣٧): ١٢٠ .
(٣) الصافات (٣٧): ١٣٠ .
(٤) الأنفال (٨): ٤١ .
(٥) فصّلت (٤١): ٤٢.
(٦) الأنفال (٨): ٤١.
(٧) اليتم ـ بالضم مصدر يتم ييتم ـ: الانفراد . وأيضاً حالة اليتيم .

برسوله(صلى الله عليه وآله)، ثمَّ بهم، وقرن سهم بسهم الله وسهم رسوله (صلى الله عليه وآله) وكذلك في الطاعة قال عزّوجلّ : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] فبدأ بنفسه، ثمَّ برسوله (صلى الله عليه وآله) ثم بأهل بيته وكذلك آية الولاية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2] فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونةً بطاعته كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقروناً بأسهمهم في الغنيمة والفيء فتبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلمّا جاءت قصةُ الصدقة نزَّه نفسه عزَّ ذكره ونزَّه رسوله (صلى الله عليه وآله) ونزّه أهل بيته عنها فقال : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ ٱللّهِ ﴾[3] فهل تجد في شيءٍ من ذلك أنَّه جعل لنفسه سهماً أو لرسوله (صلى الله عليه وآله) أو لذي القربى لأنّه لمّا نزَّههم عن الصدقة نزَّه نفسه ونزَّه رسولَه ونزَّه أهل بيته لا بل حرَّم عليهم، لأنَّ الصدقة محرّمةٌ على محمّد وأهل بيته وهي أوساخ الناس لا تحِلُّ لهم لأنهم طُهِّروا من كل دنس ووسخ، فلمّا طهَّرهم واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه.

وأما التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله في محكم كتابه : ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[4] فقال العلماء إنّما عنىٰ بذلك اليهود والنصارىٰ. قال ابو الحسن (عليه السلام) : وهل يجوز ذلك؟ إذاً يدعونا الى دينهم ويقولون:

إنّه أفضل من دين الإسلام. فقال المأمون : فهل عندك في ذلك شرح يخالف ما قالوا يا أبا الحسن؟ قال: نعم. الذكرُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن أهله وذلك بيّن في كتاب الله بقوله في سورة الطلاق : ﴿فَاتَّقُوا ٱللَّهَ يَا أُوْلِي ٱلأَلْبَابِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً* رَسُولاً

(١) النساء (٤): ٥٩ .
(٢) المائدة (٥): ٥٥ .
(٣) التوبة (٩): ٦٠ .
(٤) النحل (١٦): ٤٣ ، الأنبياء (٢١): ٧ .

يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾(١) فالذكر رسول الله ونحن أهله. فهذه التاسعة.

وأمّا العاشرة فقول الله عزَّوجلَّ في آية التحريم : ﴿حرِّمت عليكم أُمَّهاتُكم وبناتُكم وأخواتُكم﴾(٢) أخبروني هل تصلح ابنتي أو ابنة ابني أو ما تناسل من صلبي لرسول الله أن يتزوّجها لوكان حيّاً ؟ قالوا : لا . قال (عليه السلام) : فأخبروني هل كانت ابنةُ أحدكم تصلَحُ له أن يتزوّجها ؟ قالوا : بلى . قال: فقال(عليه السلام): ففي هذا بيان أ نّا من آله ولستم من آله ولوكنتم من آله لحرمت عليه بناتكم كما حرمت عليه بناتي. لِأنّا من آله وأنتم من أُمّته، فهذا فرق بين الآل والأُمّة، لأن الآل منه، والأمّة إذا لم تكن الآل فليست منه . فهذه العاشرة .

وأمّا الحادية عشرة فقوله في سورة المؤمن حكايةً عن قول رجل : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ﴾(٣) فكان ابنَ خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه . وكذلك خُصِّصنا نحن إذكنا من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بولادتنا منه وعُمِّمنا الناسَ بدينه، فهذا فرق ما بين الآل والأُمّة فهذه الحادية عشرة .

وأمّا الثانية عشرة فقوله : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٤) فخصّنا بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع أمره، ثم خصَّنا دون الأُمّة، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجيء إلى باب عليٍّ وفاطمة (عليهما السلام) بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كل يوم عند حضوركل صلاة خمس مرّات فيقول الصلاةَ يرحمكم الله، وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بهذه الكرامة التي أكرمنا الله بها وخصّنا من جميع أهل بيته فهذا فرق ما بين الآل والأُمَّة».

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمّد نبيّه(٥) .

---

(١) الطلاق (٦٥): ١٠ ـ ١١ .

(٢) النساء (٤): ٢٣ .

(٣) غافر (٤٠): ٢٨ .

(٤) طه (٢٠): ١٣٢ .

(٥) انظرالرواية بتفاوت في بعض الألفاظ في عيون أخبار الرضا: ٢٠٧/١ ـ ٢١٨، أمالي الصدوق: ٦١٥ ـ ٦٢٦، ←

٦ـ حواره مع المأمون

عن أبي الصلت الهروي قال: قال المأمون يوماً للرضا(عليه السلام): يا أبا الحسن أخبرني عن جدّك أمير المؤمنين بأيّ وجه هو قسيم الجنّة والنار؟ وبأي معنىٰ ؟ فقد كثر فكري في ذلك !

فقال له الرضا (عليه السلام): «**يا أمير المؤمنين ألم ترو، عن أبيك، عن آبائه، عن عبدالله ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر؟** فقال: بلى! فقال الرضا (عليه السلام): **فقسمة الجنّة والنار إذا كانت على حبّه وبغضه فهو قسيم الجنّة والنار.**

فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال أبو الصلت الهروي: فلما انصرف الرضا (عليه السلام) إلى منزله أتيته، فقلت له، يابن رسول الله ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين ؟ فقال الرضا (عليه السلام): **يا أبا الصلت إنّما كلّمته من حيث هو، ولقد سمعت أبي يحدّث عن آبائه عن عليّ** (عليه السلام) **أنّه قال: قال رسول الله** (صلى الله عليه وآله)**: يا عليّ أنت قسيم الجنّة والنار يوم القيامة، تقول للنار هذا لي وهذا لك**»[1].

٧ـ حواره مع متكلمي الفرق الإسلامية

عن الحسن بن الجهم، قال: «حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده عليّ ابن موسى الرضا (عليه السلام) وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة

← تحف العقول: ٤٢٥ ـ ٤٣٦، وعن العيون والأمالي في بحار الأنوار: ٢٢٠/٢٥ ـ ٢٣٣، واللفظ لتحف العقول.

(١) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٩٢، نثر الدر: ٢٥٢/١، وعنه في كشف الغمّة: ١٠٣/٣، وعن العيون في بحار الأنوار: ١٩٣/٣٩ ـ ١٩٤.

فسأله بعضهم، فقال له : يابن رسول الله بأيّ شيء تصح الإمامة لمدّعيها ؟

قال(عليه السلام): **بالنصّ والدليل**، قال له : فدلالة الإمام فيما هي ؟ قال **في العلم واستجابة الدّعوة**، قال : فما وجه إخباركم بما يكون قال : **ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله** (صلى الله عليه وآله) قال : فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس .

قال (عليه السلام) له: **أما بلغك قول الرسول (صلى الله عليه وآله) اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله** قال : بلى؛ قال : **وما من مؤمن إلّا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه، ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله الأئمة منّا ما فرّقه في جميع المؤمنين، وقال عزّوجلّ في محكم كتابه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[1] فأوّل المتوسمين رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده ثمّ الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين (عليهم السلام) إلى يوم القيامة .**

قال فنظر إليه المأمون فقال له : يا أبا الحسن زدنا ممّا جعل الله لكم أهل البيت فقال الرضا (عليه السلام) : **إنّ الله عزّوجل قد أيدنا بروح منه مقدّسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي مع الأئمة منّا تسدّدهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزوجلّ .**

قال له المأمون : يا أبا الحسن بلغني أنَّ قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدّ ؟ فقال الرضا (عليه السلام) : **«حدَّثني أبي موسى بن جعفر؛ عن أبيه، عن جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا ترفعوني فوق حقّي فإنَّ الله تبارك وتعالى اتّخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً .**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ

---

(١) الحجر (١٥): ٧٥.

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ ٱللّهِ وَلٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ* وَلاَ يَأْمُرُكُم أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُـرُكُمْ بـالْكُفْرِ بَـعْدَ إِذْ أَنْـتُم مُسْلِمُونَ ﴾(١).

قال (عليه السلام) : «يهلك فيّ اثنان ولا ذنب لي، محبّ مفرط ومبغض مفرّط وأنا أبرء إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حـدّنا كـبراءة عـيسى بـن مـريم (عليه السلام) مـن النصارى، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللّهُ يَاعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٢).

وقـال عـزّوجل : ﴿لَـن يَسْـتَنكِفَ ٱلْـمَسِيحُ أَن يَكُـونَ عَـبْداً لِـلّهِ وَلاَ ٱلْـمَلاَئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾(٣) .

وقال عزّوجلّ: ﴿ مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ ٱلطَّعَامَ ﴾(٤) ومعناه إنهما كانا يتغوّطان، فمن ادّعى للأنبياء ربوبية وادّعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة .

فقال المأمون : يا أبا الحسن فما تقول في الرّجعة فقال الرضا (عليه السلام) : إنها لحقّ قد كانت في الأُمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكون في هذه الأُمّة كلّ ما كان في الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بـالقذة قـال (عليه السلام) إذا خـرج

---

(١) آل عمران (٣): ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) المائدة (٥): ١١٦ ـ ١١٧.

(٣) النساء (٤): ١٧٢.

(٤) المائدة (٥): ٧٥.

المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم (عليه السلام) فصلّى خلفه .

وقال(عليه السلام)[١]: **إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء. قيل: يا رسول الله ثمّ يكون ماذا؟ قال: ثمّ يرجع الحقّ إلى أهله.**

فقال المأمون يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ ؟

فقال الرضا(عليه السلام) : **من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم مكذّب بالجنة والنار.**

قال المأمون : ما تقول في المسوخ ؟

قال الرضا (عليه السلام) : **اولئك قوم غضب الله عليهم، فمسخهم، فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا، فما يوجد في الدنيا من القردة والخنازير وغير ذلك مما وقع عليهم اسم المسوخيّة فهو مثل ما لا يحلّ أكلها والانتفاع بها.**

قال المأمون : لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، فو الله ما يوجد العلم الصحيح إلّا عند أهل هذا البيت وإليك انتهت علوم آبائك فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً.

قال الحسن بن الجهم : فلما قام الرضا (عليه السلام) تبعته فانصرف إلى منزله، فدخلت عليه وقلت له : يا ابن رسول الله، الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك .

فقال (عليه السلام) : **يابن الجهم لا يغرنَّك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع منّي فإنه سيقتلني بالسمّ وهو ظالم إليّ إني أعرف ذلك بعهد معهود إليّ من آبائي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاكتم هذا ما دمت حياً .**

قال الحسن بن الجهم : فما حدَّثت أحداً بهذا الحديث إلى أن مضى(عليه السلام) بطوس مقتولاً بالسمّ ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد الى جانبه[٢].

---

(١) يعني به للرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله).

(٢) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢١٦ ـ ٢١٨، وعنه في بحار الأنوار: ١٣٤/٢٥ ـ ١٣٧.

٨ـ حواره مع يحيى بن الضّحاك السمرقندي

لقد كان المأمون في باطنه يحبّ سقطات الرضا(عليه السلام)[١] وأن يعلوه المحتج وإن أظهر غير ذلك، فاجتمع عنده الفقهاء والمتكلمون فدس إليهم أن ناظروه في الإمامة.

فقال لهم الرضا (عليه السلام) : **«اقتصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه»**، فرضوا برجل يعرف بيحيى بن الضحاك السمرقندي ولم يكن بخراسان مثله، فقال الرضا (عليه السلام) : **يا يحيى سل عما شئت.**

فقال : نتكلّم في الإمامة، كيف ادّعيت لمن لم يؤمّ وتركت من أمَّ ووقع الرضا به ؟

فقال له : **يا يحيى أخبرني عمن صدّق كاذباً على نفسه أو كذّب صادقاً على نفسه أيكون محقّاً مصيباً أو مبطلاً مخطئاً ؟** فسكت يحيى.

فقال له المأمون : أجبه، فقال : يعفيني أمير المؤمنين من جوابه، فقال المأمون : يا أبا الحسن عرّفنا الغرض في هذه المسألة.

فقال(عليه السلام) : **لابدّ ليحيى من أن يخبر عن أئمته أنهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا ؟ فإن زعم أنهم كذبوا فلا أمانة لكذّاب، وإن زعم أنهم صدقوا، فقد قال أوّلهم : وليتكم ولست بخيركم، وقال تاليه كانت بيعته فلتة، فمن عاد لمثلها فاقتلوه، فوالله ما رضي لمن فعل مثل فعلهم إلا بالقتل، فمن لم يكن بخير الناس والخيرية لا تقع الا بنعوت منها العلم، ومنها الجهاد، ومنها سائر الفضائل وليست فيه.**

ومن كانت بيعته فلتة يجب القتل على من فعل مثلها، كيف يقبل عهده الى غيره وهذه صورته ؟! ثمّ يقول على المنبر : إنَّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا مال بي

(١) بمعنى أنّه يحبّ أنْ يرىٰ سقطات للرضا(عليه السلام)، وقد أثبتنا الكلمة أعلاه كما هي في نصّ الخبر الذي رواه محمّد بن يحيى الصولي بالمعنىٰ كما صرّح بذلك.

فقوموني وإذا أخطأت فارشدوني فليسوا أئمة بقولهم إن صدقوا أوكذبوا، فما عند يحيى في هذا جواب.

فعجب المأمون من كلامه، وقال: يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذاسواك»[١].

٩ ـ حواره مع سليمان المروزي

قال الحسن بن محمّد النوفليّ: قدم سليمان المروزي متكلّم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله.

ثم قال له: إنّ ابن عمّي عليّ بن موسى قدم عليَّ من الحجاز وهو يحبّ الكلام وأصحابه، فلا عليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين إنّي أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم، فينتقص عند القوم إذاكلّمني ولا يجوز الاستقصاء عليه.

قال المأمون: إنّما وجهت إليك لمعرفتي بقوّتك وليس مرادي إلّا أن تقطعه عن حجّة واحدة فقط.

فقال سليمان: حسبك يا أمير المؤمنين. أجمع بيني وبينه وخلّني وإياه وألزم.

فوجّه المأمون الى الرضا(عليه السلام) ، فقال: إنّه قدم علينا رجلٌ من أهل مرو وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام، فإن خفَّ عليك أن تتجشّم المصير إلينا فعلت.

---

(١) عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦، الاحتجاج: ٢٣٤/٢ ـ ٢٣٥، وعن العيون في بحار الأنوار: ٣١٨/٢٧ ـ ٣١٩.

فنهض(عليه السلام) للوضوء وقال لنا: تقدّموني وعمران الصابي معنا، فصرنا الى الباب فأخذ ياسر وخالد بيديّ فأدخلاني على المأمون، فلمّا سلمت قال: أين أخي أبو الحسن أبقاه الله؟

قلت: خلّفته يلبس ثيابه وأمرنا أن نتقدّم ، ثم قلت: يا أمير المؤمنين إنّ عمران مولاك معي وهو بالباب.

فقال: من عمران؟ قلت الصابي الذي أسلم على يدك.

قال: فليدخل ، فدخل فرحّب به المأمون، ثم قال له: يا عمران لم تمتْ حتى صرت من بني هاشم.

قال: الحمدلله الذي شرّفني بكم يا أمير المؤمنين.

فقال له المأمون: يا عمران هذا سليمان المروزي متكلّم خراسان.

قال عمران: يا أمير المؤمنين إنّه يزعم أنه واحد خراسان في النظر وينكر البداء.

قال: فلم لا تناظره؟

قال عمران: ذلك إليه.

فدخل الرضا(عليه السلام) فقال: **في أيّ شيء كنتم؟**

قال عمران: يابن رسول الله هذا سليمان المروزي.

فقال سليمان: أترضى بأبي الحسن وبقوله فيه؟

قال عمران: قد رضيت بقول أبي الحسن في البداء على أن يأتيني فيه بحجّة احتجّ بها على نظرائي من أهل النظر.

قال المأمون: يا أبا الحسن ما تقول فيما تشاجرا فيه؟

قال: **وما أنكرت من البداء يا سليمان؟ والله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ ٱلإِنسَانُ أَنَّا**

خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾[١] ويقول عزّ وجلّ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[٢] ويقول: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾[٣] ويقول عزّوجل: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[٤] ويقول: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[٥] ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ ٱللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[٦] ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾[٧].

قال سليمان: هل رويت فيه شيئاً عن آبائك؟

قال: نعم، رويت عن أبي عبدالله(عليه السلام) أنّه قال: «إنّ لله عزّ وجلّ علمين، علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلّا هو، من ذلك يكون البداء وعلماً علّمه ملائكته ورسله، فالعلماء من أهل بيت نبيّه يعلمونه.

قال سليمان: أحبّ أن تنزعه لي من كتاب الله عزّ وجلّ.

قال(عليه السلام): قول الله عزّوجل لنبيه (صلى الله عليه وآله): ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[٨] أراد هلاكهم ثم بدا لله فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٩].

قال سليمان: زدني جعلت فداك.

قال الرضا(عليه السلام): **لقد أخبرني أبي عن آبائه أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى الى نبي من أنبيائه: أن أخبر فلان الملك أني متوفّيه الى كذا وكذا فأتاه ذلك النبيّ فأخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير، فقال: يا ربّ أجّلني حتى**

(١) مريم (١٩): ٦٧.
(٢) الروم (٣٠): ٢٧.
(٣) البقرة (٢): ١١٧، الأنعام(٦): ١٠١.
(٤) فاطر(٣٥) : ١.
(٥) السجدة (٣٢): ٧ .
(٦) التوبة (٩): ١٠٦.
(٧) فاطر (٣٥): ١١.
(٨) الذاريات (٥١): ٥٤.
(٩) الذاريات (٥١): ٥٥.

يشبّ طفلي وأقضي أمري فأوحى الله عزّ وجلّ الى ذلك النبيّ أن ائت فلان الملك فأعلمه أنّي قد أنسيت في أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة.

فقال ذلك النبيّ: يارب انّك لتعلم أني لم أكذب قطّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّما أنت عبد مأمور، فأبلغه ذلك والله لا يسأل عمّا يفعل، ثم التفت الى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب.

قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟

قال: قالت ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[1] يعنون أنّ الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً.

فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾[2] ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفر(عليه السلام) عن البداء فقال: وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره.

قال سليمان: ألا تخبرني عن ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[3] في أي شيء أُنزلت؟

قال الرضا(عليه السلام): يا سليمان ليلة القدر يقدّر الله عزّ وجلّ فيها ما يكون من السنة الى السنة من حياة أو موت أو خير أو شر، أو رزق فما قدره من تلك الليلة فهو من المحتوم.

قال سليمان الآن قد فهمت جعلت فداك فزدني.

قال(عليه السلام): يا سليمان إنّ من الأُمور أُموراً موقوفة عند الله تبارك وتعالى يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، يا سليمان إنّ عليّاً(عليه السلام) كان يقول: العلم علمان: فعلم علّمه الله ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه يكون ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله.

---

(١) المائدة(٥): ٦٤.

(٢) المائدة (٥): ٦٤.

(٣) القدر (٩٧): ١.

وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً[١] من خلقه يقدم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت مايشاء.

قال سليمان للمأمون: يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا البداء، ولا أُكذّب به إن شاء الله.

فقال المأمون: يا سليمان سل أبا الحسن عما بدا لك وعليك بحسن الاستماع والإنصاف.

قال سليمان: يا سيّدي أسألك؟

قال الرضا(عليه السلام): **سل عمّا بدا لك.**

قال: ما تقول فيمن جعل الإرادة اسماً وصفة مثل حيّ وسميع وبصير وقدير؟

قال الرضا(عليه السلام): **إنّما قلتم حدثت الأشياء واختلفت لأنّه شاء وأراد ولم تقولوا حدثت واختلفت لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنها ليست بمثل سميع بصير ولا قدير.**

قال سليمان: فإنّه لم يزل مريداً.

قال: **يا سليمان فإرادته غيره؟**

قال: نعم.

قال: **فقد أثبتّ معه شيئاً غيره لم يزل .**

قال سليمان: ما أثبت؟

قال الرضا(عليه السلام): **أهي محدّثة؟**

قال سليمان : لا ماهي محدّثة.

فصاح به المأمون وقال: يا سليمان مثله يعايا أو يكابر؟ عليك بالإنصاف أما ترى من حولك من أهل النظر ثم قال:كلّمه يا أبا الحسن فإنّه متكلّم

(١) في توحيد الصدوق نسخة (ط) و(ج) (لم يطّلع عليه أحد من خلقه).

خراسان، فأعاد عليه المسألة .

فقال: **هي محدثة، يا سليمان فإنّ الشيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزليّاً.**

قال سليمان: إرادته منه كما أن سمعه منه وبصره منه وعلمه منه.

قال الرضا(عليه السلام): **فإرادته نفسه.**

قال : لا.

قال(عليه السلام): **فليس المريد مثل السميع والبصير.**

قال سليمان: إنّما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه.

قال الرضا(عليه السلام): **ما معنى أراد نفسه أراد أن يكون شيئاً أو أراد أن يكون حيّاً أو سميعاً أو بصيراً أو قديراً؟!**

قال: نعم.

قال الرضا(عليه السلام): **أفبإرادته كان ذلك؟!** قال سليمان: لا. قال الرضا(عليه السلام): **فليس لقولك أراد، أن يكون حيّاً سميعاً بصيراً معنى إذا لم يكن ذلك بإرادته .**

قال سليمان: بلى؛ قد كان ذلك بإرادته.

فضحك المأمون ومن حوله وضحك الرضا(عليه السلام) ثم قال لهم: ارفقوا بمتكلّم خراسان. يا سليمان فقد حال عندكم عن حالة وتغيّر عنها وهذا ممّا لا يوصف الله عزّ وجلّ به ، فانقطع.

ثم قال الرضا(عليه السلام): **يا سليمان أسألك مسألة.**

قال: سل جعلت فداك.

قال: **أخبرني عنك وعن أصحابك تكلّمون الناس بما يفقهون ويعرفون ، أو بما لا يفقهون ولا يعرفون؟!**

قال : بل بما يفقهون ويعرفون.

قال الرضا(عليه السلام) : **فالذي يعلم الناس أنّ المريد غير الإرادة وأنّ المريد قبل الإرادة**

وأنّ الفاعل قبل المفعول وهذا يبطل قولكم: إنّ الإرادة والمريد شيء واحد.

قال: جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون.

قال(عليه السلام): **فأراكم ادّعيتم علم ذلك بلا معرفة، وقلتم: الإرادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل،** فلم يحر جواباً.

ثم قال الرضا(عليه السلام): **يا سليمان هل يعلم الله عزّ وجلّ جميع ما في الجنّة والنار؟!**

قال سليمان: نعم.

قال: **أفيكون ماعلم الله عزّوجل أنه يكون من ذلك؟**

قال: نعم.

قال: **فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلّا كان، أيزيدهم أو يطويه عنهم؟!**

قال سليمان: بل يزيدهم.

قال: **فأراه في قولك: قد زادهم مالم يكن في علمه أنّه يكون.**

قال: جعلت فداك والمزيد لا غاية له.

قال(عليه السلام): **فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غاية ذلك، وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.**

قال سليمان: إنّما قلت لا يعلمه لأنّه لا غاية لهذا، لأنّ الله عزّ وجلّ وصفهما بالخلود، وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً.

قال الرضا(عليه السلام): **ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنّه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم، وكذلك قال الله عزّ وجلّ في كتابه:** ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[1] وقال عزّ وجلّ لأهل الجنّة: ﴿عَطَاءً غَيْرَ

(١) النساء (٤): ٥٦.

مَجْذُوذٍ﴾[١] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾[٢] فهو عزّ وجلّ يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا أليس يخلف مكانه؟

قال: بلى .

قال: أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه؟

قال سليمان: لا.

قال: فكذلك كل ما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم.

قال سليمان: بل يقطع عنهم فلا يزيدهم.

قال الرضا(عليه السلام): إذاً يبيد ما فيها، وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب، لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ لَهُم مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[٣] ويقول عزّ وجلّ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٤] ويقول عزّوجل: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[٥] ويقول عزّ وجلّ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾[٦] ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾.

فلم يحر جواباً.

ثم قال الرضا(عليه السلام): يا سليمان ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل؟

قال: بل هي فعل.

قال: فهي محدثة لأنّ الفعل كلّه محدث.

قال: ليست بفعل.

قال: فمعه غيره لم يزل.

---

(١) هود(١١) : ١٠٨.

(٢) الواقعة (٥٦): ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) سورة ق (٥٠): ٣٥.

(٤) هود (١١): ١٠٨.

(٥) الحجر (١٥): ٤٨.

(٦) وردت مرّات عديدة في سور مختلفة منها: النساء: ٥٧، المائدة: ١١٩، وغيرها.

قال سليمان: الإرادة هي الإنشاء.

قال: يا سليمان هذا الذي ادّعيتموه على ضرار وأصحابه من قولهم: إنّ كلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو بحر أو برّ، من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة، إرادة الله عزّ وجلّ وأن إرادة الله عزّ وجلّ تحيا وتموت، وتذهب ، وتأكل وتشرب وتنكح وتلد، وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك ، فتبرؤُ منها وتعاديها، وهذا حدّها.

قال سليمان: إنّها كالسمع والبصر والعلم.

قال الرضا(عليه السلام): قد رجعت الى هذا ثانية، فاخبرني عن السمع والبصر والعلم أمصنوع.

قال سليمان: لا.

قال الرضا(عليه السلام): فكيف نفيتموه فمرّة قلتم لم يرد، ومرة قلتم أراد، وليست بمفعول له؟!

قال سليمان: إنّما ذلك كقولنا مرّة علم ومرة لم يعلم.

قال الرضا(عليه السلام): ليس ذلك سواء ، لأنّ نفي المعلوم ليس بنفي العلم، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون، لأنّ الشيء إذا لم يرد لم يكن إرادة، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر، فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المبصر، ويكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم.

قال سليمان: إنّها مصنوعة.

قال(عليه السلام): فهي محدثة ليست كالسمع والبصر لأنّ السمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة.

قال سليمان: إنّها صفة من صفاته لم تزل.

قال : فينبغي أن يكون الإنسان لم يزل ، لأن صفته لم تزل.

قال سليمان: لا لأنه لم يفعلها.

قال الرضا(عليه السلام): يا خراسانيّ ما أكثر غلطك، أفليس بإرادته وقوله تكوّن الأشياء؟

قال سليمان: لا.

قال: فإذا لم يكن بإرادته ولا مشيّته ولا أمره ولا بالمباشرة فكيف يكون ذلك؟! تعالى الله عن ذلك.

فلم يحر جواباً.

ثم قال الرضا(عليه السلام): ألا تخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾[1] يعني بذلك أنه يحدث إرادة؟!

قال له: نعم.

قال: فإذا أحدث إرادة كان قولك: إن الإرادة هي هو أم شيء منه باطلاً، لأنّه لا يكون أن يحدث نفسه ولا يتغيّر عن حاله، تعالى الله عن ذلك.

قال سليمان: إنّه لم يكن عنى بذلك أنّه يحدث إرادة.

قال : فما عنى به؟

قال: عنى فعل الشيء.

قال الرضا(عليه السلام): ويلك كم تردّد هذه المسألة، وقد أخبرتك أن الإرادة محدثة، لأنّ فعل الشيء محدث.

قال: فليس لها معنى.

قال الرضا(عليه السلام): قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له، فإذا لم يكن لها معنى قديم ولا حديث بطل قولكم: إنّ الله لم يزل مريداً.

قال سليمان: إنّما عنيت أنها فعل من الله لم يزل .

قال: ألا تعلم أنّ ما لم يزل لا يكون مفعولاً وحديثاً وقديماً في حالة واحدة .

فلم يحر جواباً.

قال الرضا(عليه السلام): لا بأس، أتمم مسألتك.

(١) الإسراء (١٧): ١٦.

قال سليمان: قلت: إن الإرادة صفة من صفاته.

قال الرضا(عليه السلام): **كم تردّد عليّ أنها صفة من صفاته، وصفته محدثة أو لم تزل؟!**

قال سليمان: محدّثة.

قال الرضا(عليه السلام) : **الله أكبر فالإرادة محدثة، وإن كانت صفة من صفاته لم تزل.**

فلم يرد شيئاً.

قال الرضا(عليه السلام): **إنّ ما لم يزل لا يكون مفعولاً.**

قال سليمان: ليس الأشياء إرادة ولم يرد شيئاً.

قال الرضا(عليه السلام): **وسوست يا سليمان فقد فعل وخلق مالم يرد خلقه ولا فعله، وهذه صفة من لا يدري ما فعل، تعالى الله عن ذلك.**

قال سليمان: يا سيّدي قد أخبرتك أنها كالسمع والبصر والعلم.

قال المأمون: ويلك يا سليمان كم هذا الغلط والتردّد اقطع هذا وخذ في غيره، إذ لست تقوى على هذا الردّ.

قال الرضا(عليه السلام): **دعه يا أمير المؤمنين لا تقطع عليه مسألته فيجعلها حجّة، تكلّم يا سليمان؟**

قال: قد أخبرتك أنها كالسمع والبصر والعلم.

قال الرضا(عليه السلام): **لا بأس أخبرني عن معنى هذه ، أمعنى واحد أم معان مختلفة؟!**

قال سليمان: بل معنى واحد.

قال الرضا(عليه السلام): **فمعنى الإرادات كلّها معنى واحد .**

قال سليمان: نعم.

قال الرضا(عليه السلام): **فإن كان معناها معنىً واحداً كانت إرادة القيام وإرادة القعود وإرادة الحياة وإرادة الموت إذا كانت إرادته واحدة لم يتقدّم بعضها بعضاً ولم يخالف بعضها بعضاً، وكان شيئاً واحداً.**

قال سليمان: إن معناها مختلف.

قال(عليه السلام): **فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها؟**

قال سليمان: بل هو الإرادة.

قال الرضا(عليه السلام): **فالمريد عندكم يختلف إن كان هو الإرادة.**

قال: يا سيّدي ليس الإرادة المريد.

قال(عليه السلام): **فالإرادة محدثة، وإلّا فمعه غيره أفهم وزد في مسألتك.**

قال سليمان: فإنها اسم من أسمائه.

قال الرضا(عليه السلام): **هل سمّى نفسه بذلك؟**

قال سليمان: لا لم يسمّ نفسه بذلك.

قال الرضا(عليه السلام): **فليس لك أن تسمّيه بما لم يسمّ به نفسه؟**

قال: قد وصف نفسه بأنه مريد.

قال الرضا(عليه السلام): **ليس صفته نفسه أنّه مريد إخباراً عن أنه إرادة ولا إخباراً عن أنّ الإرادة اسم من أسمائه.**

قال سليمان: لأنّ إرادته علمه.

قال الرضا(عليه السلام): **ياجاهل فإذا علم الشيء فقد أراده.**

قال سليمان: أجل.

قال(عليه السلام): **فإذا لم يرده لم يعلمه.**

قال سليمان: أجل.

قال(عليه السلام): **من أين قلت ذاك؟ وما الدليل على أنّ إرادته علمه وقد يعلم ما لا يريده أبداً، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[1] فهو يعلم كيف يذهب به ويذهب به أبداً.**

قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً.

---

(١) الإسراء (١٧): ٨٦.

قال الرضا(عليه السلام): **هذا قول اليهود، فكيف قال عزّ وجلّ : ﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(١)]؟**

قال سليمان: إنّما عنى بذلك أنه قادر عليه.

قال(عليه السلام): **أفيعد ما لا يفي به؟ فكيف قال عزّ وجلّ : ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[(٢)] وقال عزّ وجلّ: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ ٱلْكِتَابِ﴾[(٣)] وقد فرغ من الأمر.**

فلم يحر جواباً.

قال الرضا(عليه السلام): **يا سليمان هل يعلم أنّ إنساناً يكون ولا يريد أن يخلق إنساناً أبداً وأنّ إنساناً يموت اليوم ولا يريد أن يموت اليوم؟**

قال سليمان: نعم.

قال الرضا(عليه السلام): **فيعلم أنّه يكون ما يريد أن يكون أو يعلم أنه يكون ما لا يريد أن يكون؟!**

قال: يعلم أنّهما يكونان جميعاً.

قال الرضا(عليه السلام): **إذن يعلم أنّ إنساناً حيّ ميّت، قائم قاعد، أعمى بصير في حال واحدة وهذا هو المحال.**

قال: جعلت فداك فإنّه يعلم أنّه يكون أحدهما دون الآخر.

قال(عليه السلام): **لا بأس فأيّهما يكون؟ الذي أراد أن يكون، أو الذي لم يرد أن يكون .**

قال سليمان: الذي أراد أن يكون فضحك الرضا(عليه السلام) والمأمون وأصحاب المقالات .

قال الرضا(عليه السلام): **غلطت وتركت قولك: إنّه يعلم أنّ إنساناً يموت اليوم وهو لا يريد أن يموت اليوم وإنه يخلق خلقاً وهو لا يريد أن يخلقهم. فإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد**

---

(١) غافر (٤٠): ٦٠ .

(٢) فاطر (٣٥): ١.

(٣) الرعد (١٣): ٣٩.

أن يكون فإنّما يعلم أن يكون ما أراد أن يكون.

قال سليمان: فانّما قولي: إن الإرادة ليست هو ولا غيره.

قال الرضا(عليه السلام): **ياجاهل إذا قلت: ليست هو فقد جعلتها غيره وإذا قلت: ليست هي غيره فقد جعلتها هو.**

قال سليمان: فهو يعلم، فكيف يصنع الشيء.

قال(عليه السلام): **نعم.**

قال سليمان: فإنّ ذلك إثبات للشيء.

قال الرضا(عليه السلام): **أحلت، لأنّ الرجل قد يحسن البناء، وإن لم يبن، ويحسن الخياطة وإن لم يخط، ويحسن صنعة الشيء وإن لم يصنعه أبداً.**

ثم قال له: **يا سليمان، هل يعلم أنه واحد لا شيء معه؟!**

قال: نعم.

قال: **أفيكون ذلك إثباتاً للشيء؟!**

قال سليمان: ليس يعلم أنه واحد لا شيء معه.

قال الرضا(عليه السلام): **أفتعلم أنت ذلك؟!**

قال: نعم.

قال: فأنت يا سليمان أعلم منه إذاً.

قال سليمان: المسألة محال.

قال: **محال عندك أنه واحد لا شيء معه، وأنّه سميع بصير، حكيم، عليم، قادر؟**

قال: نعم.

قال(عليه السلام): **فكيف أخبر الله عزّ وجلّ أنه واحد حيّ سميع ، بصير، عليم خبير وهو لا يعلم ذلك؟ وهذا ردّ ما قال وتكذيبه، تعالى الله عن ذلك.**

ثم قال الرضا(عليه السلام): **فكيف يريد صنع مالا يدري صنعه، ولا ماهو؟! وإذا كان الصانع لا يدري كيف يصنع الشيء قبل أن يصنعه فإنّما هو متحيّر، تعالى الله عن ذلك.**

قال سليمان: فإنّ الإرادة القدرة.

قال الرضا(عليه السلام): **وهو عزّ وجلّ يقدر على ما لا يريده أبداً، ولابدّ من ذلك لأنّه قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[1]، فلو كانت الإرادة هي القدرة، كان قد أراد أن يذهب به لقدرته.**

فانقطع سليمان.

قال المأمون عند ذلك: يا سليمان هذا أعلم هاشميّ، ثم تفرّق القوم[2].

١٠ ـ حواره مع فقهاء المذاهب الإسلامية

حلف رجل بخراسان بالطّلاق أنّ معاوية ليس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأفتى الفقهاء بطلاقها.

فسئل الرضا (عليه السلام)، فأفتى: **أنها لا تطلّق.**

فكتب الفقهاء رقعة وأنفذوها إليه، وقالوا له: من أين قلت يا ابن رسول الله أنها لم تطلق؟

فوقّع (عليه السلام) في رقعتهم: **قلت هذا من روايتكم، عن أبي سعيد الخدريّ أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لمسلمة يوم الفتح وقد كثروا عليه: أنتم خير وأصحابي خير ولا هجرة بعد الفتح، فأبطل الهجرة، ولم يجعل هؤلاء أصحاباً له.**

قال: فرجعوا إلى قوله(عليه السلام)»[3].

---

(١) الإسراء (١٧): ٨٦.

(٢) انظر الرواية باختلاف يسير في الألفاظ في التوحيد: ٤٤١ ـ ٤٥٤، عيون أخبار الرضا: ١/١٥٩ ـ ١٦٨، وأورده الطبرسي في الاحتجاج بنحو اختصار: ٢/١٧٨ ـ ١٨٤، وعن العيون والتوحيد في بحار الأنوار: ١٠/٣٢٩ ـ ٣٣٨.

(٣) انظر عيون أخبار الرضا: ٢/٩٣ ـ ٩٤، وعنه في بحار الأنوار: ١٩/٨٩ ـ ٩٠.

البحث الثالث: تراث الإمام الرضا(عليه السلام)

إنّ الثروة العلمية الهائلة التي قدّمها الإمام الرضا (عليه السلام) للعالم الإسلامي، بل للعالم الإنساني عامة، ولأتباع أهل البيت خاصة، قد شملت ألوان العلوم والمعارف من فلسفة وكلام وطب وفقه وتفسير وتاريخ و تربية وآداب وسياسة واجتماع ...

وقد أتاحَ المأمون من حيث لا يشعر فرصة ذهبية لظهور علم الإمام(عليه السلام) وبروزه إلى الساحة الاجتماعية وتحدّيه لكل العلماء الذين جمعهم لتضعيف الإمام، وتسقيطه من خلال المواجهة العلمية، التي جمع من أجلها علماء الفرق والأديان.

وقد عرفنا كيف استجاب علماء الفرق والمذاهب الإسلامية لدعوة المأمون حتى طرحوا أعقد الأسئلة على الإمام (عليه السلام) تحقيقاً لرغبة المأمون، فسألوه عمّا كان غامضاً لديهم، وقد روى المؤرخون أنّ ما طرح على الإمام(عليه السلام) يبلغ أكثر من عشرين ألف مسألة في مختلف أبواب المعرفة فأجابهم الإمام(عليه السلام) على جميعها؛ متحدّياً جبروت المأمون والعبّاسيين خاصة وسائر من يجهل فضل أهل البيت(عليهم السلام) عامّة.

كما أُثرت عن الإمام الرضا (عليه السلام) سوى هذه الاحتجاجات مجموعة من النصوص التي نصّ عليها المعنيّون بالتراجم، مثل (طب الإمام الرضا(عليه السلام))[1]، و(مسند الإمام الرضا (عليه السلام))[2]، أو (صحيفة الإمام

(١) وهي الرسالة الذهبية في الطب والتي بعثها الإمام الرضا(عليه السلام) إلى المأمون العبّاسي، وقد نقلها العلّامة المجلسي في بحار الأنوار: ٣٠٦/٥٩ ـ ٣٢٨، كما أنّها مطبوعة الآن ومتداوله في الأسواق.

(٢) نقله صاحب البحار في بحاره: ٣٦٦/١٠ ـ ٣٦٩، كما توجد له نسخ مطبوعة مختلفة في عدد رواياتها ←

الرضا(عليه السلام)) أو صحيفة أهل البيت والمعبّر عنها بالرضويات ، و (رسالة جوامع الشريعة)[١]،كما نسب إليه أيضاً كتاب فقهي عُرف بـ(فقه الرضا عليه السلام)[٢][٣].

إنّ حديث سلسلة الذهب هو الحديث الذي رواه الإمام الرضا(عليه السلام) عن آبائه المعصومين عن جدّهم سيّد المرسلين عن جبرائيل عن ربّ العزّة سبحانه وتعالى ونصّه هو :

«لا إله إلّا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمِن من عذابي»[٤].

قال أحمد بن حنبل عن مثل سند هذا الحديث: «وهذا إسناد لو قرئ على المجنون لأفاق»[٥].

ثم إنّ النصوص التي جُمعت في مسند الإمام الرضا (عليه السلام) للعطاردي المعاصر تناهز الألفين، وتتنوّع على مجالات شتىٰ، فالعقائد والفقه والأخلاق

← وأسمائها، فسمي تارة بـ(مسند الرضا)، وأُخرى بـ(صحيفة الإمام الرضا عليه السلام)، ويرجع ذلك الى تعدد النسخ الخطية وتعدد رواتها. فاعتمد بعضهم على رواية داود بن سليمان الغازي وبعضهم على رواية عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه.

(١) نقلها الشيخ الصدوق بعنوان (ماكتبه الرضا(عليه السلام) للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين) في: عيون أخبار الرضا: ١٢٩/٢ وما بعدها، ونقلها الحراني بعنوان (جوابه(عليه السلام) في جوامع الشريعة لما سأله جمع ذلك) في تحف العقول: ٤١٥ وما بعدها.

(٢) وهو أحد مصادر كتاب بحار الأنوار، ومطبوع ومنتشر في الأسواق ويشتهر بنسبته للإمام الرضا(عليه السلام)، إلّا أنّ هذه النسبة محلّ كلام بين العلماء الأعلام، فمن أراد التعرف على ذلك فليراجع مظانّه.

(٣) وقد ذكر السيّد محسن الأمين عنواناً باسم (مؤلفات) أيّ مؤلفات الإمام الرضا(عليه السلام)، وذلك في فصل الإمام الرضا(عليه السلام) من كتابه أعيان الشيعة ذكر فيه تلك الرسائل مع ذكر لُمحٍ عنها. راجع أعيان الشيعة: ٢٦/٢ ـ ٢٧.

(٤) انظر الحديث في:كشف الغمّة: ١٠١/٣ ـ ١٠٢، الصواعق المحرقة: ٥٩٥/٢، ينابيع المودّة: ١٢٢/٣.

(٥) انظر قول أحمد في: مناقب آل أبي طالب: ٤٢٢/٣،كشف الغمّة: ١٠٠/٣، الصواعق المحرقة: ٥٩٥/٢، واللفظ للأوّل.

والتفسير والتاريخ والاحتجاجات هي أهم الموضوعات التي رتب على أساسها المسند، ولكن المجالات المعرفية التي اهتمت بها نصوص الإمام(عليه السلام) لا تنحصر في هذه الأبواب.

على أنا نلاحظ اهتماماً خاصاً بأُصول العقيدة والشريعة ولاسيّما قضايا الإمامة بتفاصيلها الكثيرة التي قد نالت اهتماماً خاصاً كما نلاحظه في هذه النصوص[1] وقد تصدى الإمام (عليه السلام) في هذه النصوص الى سدّ كل الطرق والمنافذ ردّاً على المذاهب والفرق الأُخرى التي ابتعدت عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بشكل أو آخر.

فاحتجاجات الإمام (عليه السلام) صريحة وصارخة في محتواها ولا تجد فيها أي مجال للتقية أو الاقتصار على طرح بعض الحقائق التاريخية دون بعض، بل نجد الإمام (عليه السلام) يدخل الساحة العقائدية المذهبية بكل ثقله وهو يعلم بأنّ القتل في سبيل المبدأ والاغتيال الذي ينتظره هو آخر الخطّ. وإنّه يدخل معترك الصراع بكل أبعاده ليقرر حقيقة المذهب وأدلّته ومبررات وجوده، وانه هو الخط الوحيد الذي يمثّل رسالة الله في الأرض وأنّه إمتداد خط الرسول(صلى الله عليه وآله) دون سواه.

وإليك بعض ما اخترناه من تراثه (عليه السلام) كنموذج للدلالة على عظمة هذا التراث وتنوع أغراضه ومجالاته.

---

(١) تبلغ نصوص الإمامة حوالي ٥٠٠ نص ويضاف إليها ما جاء في احتجاجاته التي دارت حول الإمامة وما جاء في كتابي الاصطفاء والنبوّة والأدعية وتفسير القرآن مما يرتبط بالإمامة فيها فتكون حجماً هائلاً بالقياس الى ما سواها فهي تشكّل ربع تراث الإمام تقريباً.

في رحاب العقل والعلم والمعرفة :

١ ـ «**العقل حباء**[١] **من الله والأدب كُلفة، فمن تكلّف الأدب قدر عليه ومن تكلّف العقل لم يزدد إلّا جهلاً**»[٢].

٢ ـ «**ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، وإنّما العبادة التفكّر في أمر الله عزّ وجلّ**»[٣].

٣ ـ «**ما استودع الله عبداً عقلاً إلّا استنقذه به يوماً**»[٤].

في رحاب القرآن الكريم:

١ ـ عن الحسين بن خالد، قال: قلت للرّضا عليّ بن موسى(عليهما السلام): يا ابن رسول الله أخبرني عن القرآن أخالق أو مخلوق؟ فقال: «**ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنّه كلام الله عزّ وجلّ**»[٥].

٢ ـ عن الرّيان بن الصلت، قال قلت للرضا(عليه السلام): ما تقول في القرآن؟ فقال: «**كلام الله لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا**»[٦].

٣ ـ عن أبي حيون مولى الرضا(عليه السلام)، قال: «**من ردّ متشابه القرآن الى محكمه هدي الى صراط مستقيم**»، ثم قال: «**إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ومحكماً**

(١) الحباء: عطاء بلا مَنّ ولا جزاء، حبوته أحبوه حباء،كتاب العين: ٣٠٩/٣.

(٢) الكافي : ١ / ٢٤ ح١٨، تحف العقول: ٤٤٨.

(٣) الكافي : ٢ / ٥٥، وعنه في بحار الأنوا: ٣٢٢/٦٨ .

(٤) أمالي الطوسي : ١ / ٥٥ ح ٤، وعنه في بحار الأنوار: ٨٨/١، ونسب في نهج البلاغة: ٩٥/٤، للإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام).كما أنه نسب للنبيّ(صلى الله عليه وآله) باختلاف يسير، انظر كنز العمّال: ١٧٣/١٠ عن مسند الديلمي.

(٥) التوحيد: ٢٢٣، أمالي الصدوق: ٦٣٩، وعنهما في بحار الأنوار: ١١٧/٨٩.

(٦) التوحيد: ٢٢٣ ـ ٢٢٤، الأمالي: ٦٣٩، عيون أخبار الرضا: ٦٢/٢، وعنهم في بحار الأنوار: ١١٧/٨٩.

كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها الى محكمها، ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا»[١].

٤ ـ ذكر الرضا(عليه السلام) يوماً القرآن فعظّم الحجّة فيه والآية والمعجزة في نظمه، فقال: **«هو حبل الله المتين، وعروته الوثقى وطريقته المثلى، المؤدّي الى الجنّة، والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة ولا يغثّ على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان والحجّة على كل إنسان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»**[٢].

في رحاب التوحيد:

١ ـ سأله رجل عن الدليل على حدوث العالم فقال: **«أنت لم تكن ثمّ كنت وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ولاكوّنك من هو مثلُك»**[٣].

٢ ـ جاء رجل إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) من وراء نهر بلخ، فقال: «إني أسألك عن مسألة فإن أجبتني فيها بما عندي قلت بإمامتك، فقال أبو الحسن (عليه السلام) سل عما شئت، فقال: أخبرني عن ربك متى كان؟ وكيف كان؟ وعلى أي شيء كان اعتماده؟

فقال أبو الحسن (عليه السلام): **إنّ الله تبارك وتعالى أيّن الأين بلا أين، وكيّف الكيف بلا كيف، وكان اعتماده على قدرته**، فقام إليه الرجل فقبّل رأسه وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّ عليّاً وصيُّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) والقيّم بعده بما

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٦١، الاحتجاج: ١٩٢/٢، وعن العيون في بحار الأنوار: ١٨٥/٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٣٧/٢ ـ ١٣٨، وعنه في بحار الأنوار: ٢١٠/١٧ ـ ٢١١.

(٣) التوحيد: ٢٩٣، أمالي الصدوق: ٤٣٣، عيون أخبار الرضا: ١٢٢/١ ـ ١٢٣، الاحتجاج: ١٧١/٢.

قام به رسول الله، وأنكم الأئمة الصادقون وأنك الخلف من بعدهم»[1].

٣ ـ حدثنا الحسين بن بشار، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا(عليهما السلام) فقال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ أو لا يعلم إلّا ما يكون؟ فقال: **«إنّ الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء»**[2].

٤ ـ عن يونس بن عبدالرحمن، قال: قلت: لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): روينا أنّ الله علم لا جهل فيه، حياة لا موت فيه، نور لا ظلمة فيه، قال: **«كذلك هو»**[3].

في رحاب النبوّة والأنبياء:

١ ـ قال ابن السكيت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) لماذا بعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر وبعث عيسى (عليه السلام) بالطب وبعث محمّداً(صلى الله عليه وآله) بالكلام والخطب؟

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): **«إنّ الله تبارك وتعالى لما بعث موسى (عليه السلام) كان الأغلب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله عزوجلّ بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجّة عليهم وإنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى (عليه السلام) في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله عزّوجل بما لم يكن عندهم مثله وبما أحيى لهم الموتى وأبرأ لهم الأكمه والأبرص بإذن الله عزّ وجلّ وأثبت به**

(١) الكافي: ١ / ٨٨، وعنه في بحار الأنوار: ٤٩/١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) التوحيد: ١٣٦، عيون أخبار الرضا: ١/١٠٨، وعنهما في بحار الأنوار: ٤/٧٨.

(٣) التوحيد: ١٣٨، وعنه في بحار الأنوار: ٤/٨٤.

الحجّة عليهم.

وإنّ الله بعث محمّداً (صلى الله عليه وآله) في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنّه قال[١]**: والشعر، فأتاهم من كتاب الله عزوجلّ ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم**، فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك اليوم قطّ، فما الحجّة على الخلق اليوم؟ **فقال (عليه السلام): العقل يعرف به الصادق على الله فيصدّقه والكاذب على الله فيكذّبه»** فقال ابن السكيت هذا والله الجواب[٢].

٢ ـ وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام): **«إنما سمي أُولوا العزم، أُولي العزم لأنهم كانوا أصحاب الشرائع والعزائم وذلك أنّ كل نبي بعد نوح (عليه السلام) كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه الى زمن إبراهيم الخليل (عليه السلام).**

وكلّ نبي كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعته ومنهاجه، وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى (عليه السلام)، وكلّ نبي كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيام عيسى (عليه السلام)، وكلّ نبيّ كان في أيام عيسى (عليه السلام) وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمّد (صلى الله عليه وآله)، فهؤلاء الخمسة أُولوا العزم فهم أفضل الأنبياء والرسل. وشريعة محمّد (صلى الله عليه وآله) لا تنسخ إلى يوم القيامة ولا نبي بعده إلى يوم القيامة، فمن ادّعى بعده النبوّة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه»[٣].

---

(١) الظن من الراوي.

(٢) علل الشرائع: ١ / ١٢١ ـ ١٢٢، عيون أخبار الرضا: ٢/٨٦، الاحتجاج: ٢/٢٢٤ ـ ٢٢٥، وعنهم في بحار الأنوار: ١١/٧٠ ـ ٧١.

(٣) عيون الأخبار: ٢ / ٨٦ ـ ٨٧، علل الشرائع: ١/١٢٢ ـ ١٢٣، وعن العيون في بحار الأنوار: ١١/٣٤ ـ ٣٥.

في رحاب الإمامة والأئمّة:

١ ـ عن عبدالعزيز بن مسلم قال :كنّا مع الرضا (عليه السلام) بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيّدي (عليه السلام) فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم (عليه السلام) ثمّ قال : **«يا عبدالعزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنّ الله عزّوجلّ لم يقبض نبيه (صلى الله عليه وآله) حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال عزّوجلّ : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[١]، وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره (صلى الله عليه وآله): ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[٢] وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض (صلى الله عليه وآله) حتى بيّن لأُمتّه معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحقّ وأقام لهم عليّاً (عليه السلام) علماً وإماماً، وما ترك [لهم] شيئاً يحتاج إليه الأُمّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عزّوجل لم يكمل دينه فقد ردكتاب الله، ومن ردكتاب الله فهو كافرٌ به .**

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة فيجوز فيها اختيارهم، إنَّ الإمامة أجلُّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خص الله عزّوجلّ بها إبراهيم الخليل (عليه السلام) بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها و أشاد بها ذكره، فقال : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ فقال الخليل (عليه السلام) سروراً بها : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَتِي ﴾ قال الله تبارك وتعالى : ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٣] فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة

---

(١) الأنعام (٦): ٣٨.

(٢) المائدة (٥): ٣.

(٣) البقرة (٢): ١٢٤.

وصارت في الصفوة، ثم أكرمها الله تعالى بأن جعلها في ذريّته أهل صفوة والطهارة فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[1].

فلم تزل في ذرّيته يرثها بعضٌ عن بعض قرناً فقرناً حتى ورّثها الله تعالى النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فقال جلّ وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] فكانت له خاصّة فقلّدها (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) بامر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾[3] فهي في ولد عليّ (عليه السلام) خاصّة إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبي بعد محمّد (صلى الله عليه وآله) فمن أين يختار هؤلاء الجهّال.

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، انّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) ومقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وميراث الحسن والحسين (عليهما السلام)، إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إنّ الإمامة أُس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار، الإمام البدر المنير، والسّراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظماء، والدالّ على الهدى والمنجي من الردى، الإمام

(١) الانبياء (٢١): ٧٢ ـ ٧٣.
(٢) آل عمران (٣): ٦٨.
(٣) الروم (٣٠): ٥٦.

النار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به والدليل في المهالك من فارقه فهالك، الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأُمّ البرّة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد[1]، الإمام أمين الله في خلقه وحجته على عباده وخليفته في بلاده، والداعي الى الله، والذاب عن حرم الله.

الإمام المطهّر من الذنوب، والمبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم، بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين»[2].

٢ ـ عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أحبّ أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليّاً بعدي، وليعاد عدوّه وليأتمّ بالأئمة الهداة من ولده فإنهم خلفائي وأوصيائي، وحجج الله على الخلق بعدي وسادة أُمّتي وقادة الأتقياء إلى الجنّة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان»[3].

٣ ـ عنه(عليه السلام) ـ بهذا الإسناد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا عليّ أنت أخي ووزيري، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضي، من أحبّك أحبّني ومن أبغضك أبغضني»[4].

---

(١) الداهية: الأمر العظيم، والنآد: السحاب ومعناها (في) القاموس المحيط: ١/٣٤٠.

(٢) راجع تمام الحديث في: الكافي: ١/١٨٩ ـ ٢٠٣، كمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٥ ـ ٦٨١، عيون أخبار الرضا: ١/١٩٥ ـ ٢٠٠

(٣) أمالي الصدوق: ٧٠، عيون أخبار الرضا: ١/٢٦٢، وعن العيون في بحار الأنوار: ٢٣/١٤٤.

(٤) أمالي الصدوق: ١١٦، عيون أخبار الرضا: ١/٢٦٤، وعن الأمالي في بحار الأنوار: ٨/١٩، وعن العيون في بحار الأنوار أيضاً: ٣٩/٢١١.

في رحاب الغدير:

روي عن أبي الحسن الرضا(عليه السلام) في يوم الغدير أنّه قال:

«وهو يوم التهنئة يهنّئ بعضكم بعضاً فإذا لقى المؤمن أخاه يقول : الحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة(عليهم السلام)، وهو يوم التبسّم في وجوه الناس من أهل الإيمان فمن تبسّم في وجه أخيه يوم الغدير نظر الله إليه يوم القيامة بالرحمة، وقضى له ألف حاجة، وبنى له قصراً في الجنّة من درّة بيضاء ونضر وجهه[1].

وهو يوم الزينة فمن تزيّن ليوم الغدير غفر الله له كلَّ خطيئة عملها، صغيرة أو كبيرة وبعث الله إليه ملائكة يكتبون له الحسنات، ويرفعون له الدرجات إلى قابل مثل ذلك اليوم، فإن مات مات شهيداً، وإن عاش عاش سعيداً، ومن أطعم مؤمناً كان كمن أطعم جميع الأنبياء والصدّيقين ومن زار فيه مؤمناً أدخل الله قبره سبعين نوراً ووسع في قبره ويزور قبره كلّ يوم سبعون ألف ملك ويبشّرونه بالجنة .

وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السموات السّبع، فسبق إليها أهل السماء السابعة فزيّن بها العرش، ثمَّ سبق إليها أهل السّماء الرابعة، فزيّنها بالبيت المعمور، ثمَّ سبق إليها أهل السماء الدنيا فزيّنها بالكواكب ثمَّ عرضها على الأرضين فسبقت مكة فزيّنها بالكعبة ثمَّ سبقت إليها المدينة فزيّنها بالمصطفى محمّد(صلى الله عليه وآله)، ثم سبقت إليها الكوفة فزيّنها بأمير المؤمنين (عليه السلام) وعرضها على الجبال فأوَّل جبل أقرّ بذلك ثلاثة جبال : جبل العقيق وجبل الفيروزج وجبل الياقوت فصارت هذه الجبال جبالهن وأفضل الجواهر[2].

(١) أي نعمه... حُسن الوجه وبريقه، وإنّما حسن خلقه وقدره، لسان العرب: ٢١٢/٥ مادة (نضر).

(٢) إقبال الأعمال: ٢٦١/٢ ـ ٢٦٢، ونقل قطعة منه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٦٢/٢٧ عن الإقبال.

في رحاب فقه الإمام الرضا (عليه السلام):

إنّ التراث الفقهي للإمام الرضا (عليه السلام) يتمثل في النصوص الفقهية التي وصلتنا بشكل مسند. فالعبادات المتمثلة في الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحجّ والزيارة تبلغ عدد النصوص الواصلة عنه نحو (٤٣٧) نصّاً. ونصوص النكاح والطلاق نحو(١٦٢) نصّاً ونصوص المعيشة والصيد والأطعمة والأشربة نحو (٢٥٥) نصّاً ونصوص التجمل نحو (٨٢) نصّاً والجهاد نحو (١٢) نصّاً والحدود والديات والقضاء والشهادة نحو (٣٩) نصّاً والأيمان والنذور والوصايا والجنائز والمواريث نحو (٦٢) نصّاً ويبلغ مجموع هذه النصوص الفقهية حوالي (١٠٤٩) نصّاً وهذا الحجم يشكل أكثر من نصف النصوص التي وصلتنا عنه(عليه السلام) حيث أحصيناها وبلغت حوالي (٢٠٣٣) نصّاً.

وفي هذا دلالة واضحة على مدى الاهتمام الذي بذله الإمام (عليه السلام) لإحكام قواعد وأُصول مدرسة أهل البيت الفقهية[1].

في رحاب مواعظه وقصار كلماته:

١ ـ قال الرضا (عليه السلام) : **«لا يكون المؤمن مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث خصال : سنّة من ربّه وسنّة من نبيّه (صلى الله عليه وآله) وسنّة من وليّه (عليه السلام) . فأما السنّة من ربّه فكتمان السرِّ . أمّا السنّة من نبيّه (صلى الله عليه وآله) فمداراة الناس . وأمّا السنّة من وليّه (عليه السلام) فالصبر في البأساء والضراء»**[2].

(١) راجع في ذلك مسند الإمام الرضا للشيخ العطاردي، حيث تكفّل الجزء الثاني ببيان نصوص الأبواب التي ذكرناها وعَدَدَ نصوص كلّ باب منها.

(٢) انظر الكافي: ٢/٢٤١ ـ ٢٤٢، أمالي الصدوق: ٤٠٨، تحف العقول: ٤٤٢ واللفظ للأخير.

٢ ـ وقال (عليه السلام) : «صاحب النعمة يجب أن يوسّع على عياله»[١].

٣ ـ وقال (عليه السلام) : «من أخلاق الأنبياء التَّنظّف»[٢].

٤ ـ وقال (عليه السلام) : «لم يخنك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن»[٣].

٥ ـ وقال (عليه السلام) : «إذا أراد الله أمراً سلب العباد عقولهم، فأنفذ أمره وتمّت إرادته. فإذا أنفذ أمره ردَّ إلى كل ذي عقل عقله، فيقول : كيف ذا ومن أين ذا»[٤].

٦ ـ وقال (عليه السلام) : «الصمت باب من أبواب الحكمة، إنَّ الصمت يكسب المحبّة، إنّه دليلٌ على كل خير»[٥].

٧ ـ وقال (عليه السلام) : «التودُّدُ إلى الناس نصف العقل»[٦].

٨ ـ وقال (عليه السلام) : «إنَّ الله يبغض القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال»[٧].

٩ ـ وسُئِل عن خيار العباد ؟ فقال (عليه السلام) : «الذين إذا أحسنوا استبشروا . وإذا أساؤا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتُلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا»[٨].

١٠ ـ وسُئل (عليه السلام) عن حد التوكُّل ؟ فقال (عليه السلام) : «أن لا تخاف أحداً إلّا الله»[٩].

١١ ـ وقال (عليه السلام) : «من السُنَّة إطعام الطعام عند التزويج»[١٠].

---

(١) انظر الكافي: ١١/٤، تحف العقول: ٤٤٢ واللفظ للثاني.
(٢) الكافي: ٥٦٧/٥، تحف العقول: ٤٤٢.
(٣) تحف العقول: ٤٤٢، وعنه في بحار الأنوار: ٣٣٥/٧٥.
(٤) تحف العقول: ٤٤٢، وعنه في بحار الأنوار: ٣٣٥/٧٥.
(٥) انظر الكافي: ١١٣/٢، الخصال: ١٥٨، تحف العقول: ٤٤٢ واللفظ للأخير.
(٦) الكافي: ٦٤٣/٢، تحف العقول: ٤٤٣.
(٧) الكافي: ٣٠١/٥، تحف العقول: ٤٤٣.
(٨) تحف العقول: ٤٤٥، وعنه في بحار الأنوار: ٣٣٨/٧٥، وفي الكافي: ٢٤٠/٢، وأسنده عن الباقر(عليه السلام) عن النبيّ(صلى الله عليه وآله).
(٩) أمالي الصدوق: ٣١١، تحف العقول: ٤٤٥، وعنه في بحار الأنوار: ٣٣٨/٧٥.
(١٠) تحف العقول: ٤٤٥، وعنه في بحار الأنوار: ٣٣٨/٧٥.

١٢ ـ وقال (عليه السلام) : «الإيمان أربعة أركان : التوكل على الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله، قال العبد الصالح : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ...* فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾[1]»[2].

١٣ ـ وقال (عليه السلام) : «صل رحمك ولو بشربة من ماء . وأفضل ما تُوصل به الرحم كفُّ الأذى عنها وقال في كتاب الله : ﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَٱلأَذَىٰ﴾[3]»[4].

١٤ ـ وقال (عليه السلام) : «إنَّ من علامات الفقه : الحلم والعلم، والصمت بابٌ من أبواب الحكمة إنَّ الصمتَ يكسب المحبّة، إنّه دليلٌ على كلّ خير»[5].

١٥ ـ وقال (عليه السلام) : «إنَّ الذي يطلُبُ من فضل الله عزّ وجلّ ما يكُفُّ به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله»[6].

١٦ ـ وقيل له :كيف أصبحت ؟ فقال (عليه السلام) : **«أصبحت بأجلٍ منقوص، وعملٍ محفوظ، والموتُ في رقابنا، والنارُ من ورائنا، ولا ندري ما يفعل بنا»[7].**

ونكتفي بهذه الجولة السريعة في رحاب تراثه الثرّ الذي لازال ينبوعاً فيّاضاً بالعلوم والمعارف الربّانية التي تأخذ المتفقّه فيها الى منازل السعداء .

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

---

(١) غافر(٤٠): ٤٤ ـ ٤٥، وأراد بالعبد الصالح: مؤمن آل فرعون.

(٢) قرب الإسناد: ٣٥٤، تحف العقول: ٤٤٥.

(٣) البقرة (٢): ٢٦٤ .

(٤) تحف العقول: ٤٤٥، وعنه في بحار الأنوار: ٣٣٨/٧٥.

(٥) الكافي: ١١٣/٢، الخصال: ١٥٨، تحف العقول: ٤٤٥.

(٦) الكافي: ٨٨/٥، تحف العقول: ٤٤٥، واللفظ للأوّل.

(٧) تحف العقول: ٤٤٦، وعنه في بحار الأنوار: ٣٣٩/٧٥.

فهرس المصادر

ـ أ ـ

١ ـ **إثبات الوصية**، عليّ بن الحسين المسعودي المتوفى (٣٤٦ هـ)، نشر مؤسسة أنصاريان، قم، إيران، طبع سنة (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م).

٢ ـ **إثبات الهُداة**، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى (١١٠٤ هـ)، علّق عليه: أبو طالب التجليل التبريزي، المطبعة العلمية، قم، إيران.

٣ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدىٰ**، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٧ هـ).

٤ ـ **أعيان الشيعة**، السيّد محسن عبدالكريم الأمين العاملي المتوفى (١٣٧٠ هـ)، تحقيق: حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٥ ـ **إقبال الأعمال**، عليّ بن موسىٰ بن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيّومي الإصفهاني، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٤ هـ).

٦ ـ **الأئمة الاثنا عشر**، محمّد بن طولون المتوفى (٩٥٣ هـ)، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، منشورات الرضي، قم، إيران.

٧ ـ **الإتحاف بحب الأشراف**، عبدالله بن عامر الشبراوي المتوفى (١١٧١ هـ)،

تحقيق: سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران، الطبعة الأُولى (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م).

٨ـ **الاحتجاج**، أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، تعليق: محمّد باقر الخرسان، نشر دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، العراق، طبع سنة (١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م).

٩ـ **الاختصاص**، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري المعروف بالمفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، نشر دار المفيد، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م).

١٠ـ **الإرشاد**، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري المعروف بالمفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، نشر دار المفيد، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م).

١١ـ **الاستبصار**، محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق: حسن الخرسان، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، الطبعة الرابعة (١٣٦٣ش).

١٢ـ **الأغاني**، عليّ بن الحسين بن محمّد أبو الفرج الإصفهاني المتوفى (٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ / ـ ١٩٩٤م).

١٣ـ **الأمالي**، محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٤ هـ).

١٤ ـ الأمـالي، محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٧ هـ).

١٥ ـ الأمالي، محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق: الحسين أُستاد ولي، عليّ أكبر الغفاري، نشر دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م).

١٦ ـ الأنساب، عبدالكريم بن محمّد السمعاني المتوفى (٥٦٢ هـ)، تعليق: عبدالله عمر البارودي، نشر دار الجنان، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

١٧ ـ الأنوار البهيّة في تواريخ الحجج الإلهية، عبّاس بن محمّد رضا القمّي المتوفى (١٣٥٩ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٧ هـ).

ـ ب ـ

١٨ ـ البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى (٧٧٤ هـ)، تحقيق: عليّ شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

١٩ ـ بحار الأنوار، محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي المتوفى (١١١١ هـ)، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

٢٠ ـ بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ، محمّد بن عليّ الطبري (من علماء القرن

السادس الهجري)، تحقيق: جواد القيّومي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤٢٠ هـ).

ـ ت ـ

٢١ ـ **التحرير الطاووسي**، حسن بن زيد الدين المتوفى (١٠١١ هـ)، تحقيق: فاضل الجواهري، نشر مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١١ هـ).

٢٢ ـ **التوحيد**، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين، قم، إيران.

٢٣ ـ **تاريخ ابن خلدون**، عبدالرحمٰن بن محمّد بن خلدون المتوفى (٨٠٨ هـ)، نشر دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة.

٢٤ ـ **تاريخ الإسلام**، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبدالسلام، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م).

٢٥ ـ **تاريخ الخلفاء**، عبدالرحمٰن بن أبي بكر السيوطي المتوفى (٩١١ هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبدالحميد، نشر مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأُولى (١٣٧١ هـ / ١٩٥٢م).

٢٦ ـ **تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك)**، محمّد بن جرير الطبري المتوفى

(٣١٠هـ) نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

٢٧ـ **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى (٢٨٤هـ)، نشر دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٨ـ **تاريخ بغداد**، أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي المتوفى (٤٦٣ هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفىٰ عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

٢٩ـ **تاريخ مدينة دمشق**، عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي المتوفى (٥٧١ هـ)، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبع سنة (١٤١٥ هـ).

٣٠ـ **تحف العقول**، الحسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني (من علماء القرن الرابع الهجري)، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الثانية (١٤٠٤ هـ / ١٣٦٣م).

٣١ـ **تذكره الخواص**، يوسف بن قزاوغلي البغدادي (سبط ابن الجوزي) المتوفى (٦٥٤ هـ)، تحقيق: حسين تقي زادة، نشر مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤٢٦هـ).

٣٢ـ **تهذيب الأحكام**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق: حسن الخرسان، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، الطبعة الثالثة (١٣٦٤ هـ).

٣٣ـ **تهذيب التهذيب**، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ)، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م).

٣٤ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمٰن المزي

المتوفى (٧٤٢ هـ)، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥م).

ـ ث ـ

٣٥ـ الثاقب في المناقب، محمّد بن عليّ الطوسي (أبو حمزة) المتوفى (٥٦٠ هـ)، تحقيق: نبيل رضا علوان، نشر مؤسسة أنصاريان، قم، إيران، الطبعة الثانية (١٤١٢ هـ).

٣٦ـ الثقات، محمّد بن حبّان البستي المتوفى (٣٥٤ هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأُولى (١٣٩٣ هـ).

ـ ج ـ

٣٧ـ جامع الرواة، محمّد بن علي الأردبيلي المتوفى (١١٠١ هـ)، نشر مكتبة المحمّدي.

٣٨ـ جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى (١٣٥٠ هـ)، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، دار المعرفة، بيروت، لبنان، طبع سنة (١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م).

٣٩ـ جواهر العقدين في فضائل الشرفين، عليّ بن عبدالله السمهودي المتوفى (٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور موسىٰ بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، العراق، طبع سنة (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م).

- خ -

٤٠ ـ **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي المتوفى (٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤٠٩ هـ).

٤١ ـ **الخصال**، محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، صحّحه وعلّق عليه: عليّ أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين، قم، إيران، طبعه سنة (١٤٠٣هـ / ١٣٦٢ ش).

٤٢ ـ **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال (رجال العلّامة الحلّي)**، الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّي المتوفى (٧٢٦ هـ)، تحقيق: جواد القيّومي، مؤسسة نشر الفقاهة، إيران، طبع سنة (١٤١٧ هـ).

٤٣ ـ **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال**، صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي المتوفى (بعد سنة ٩٢٣ هـ)، تحقيق: مجدي منصور الشورىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م).

- د -

٤٤ ـ **الدر النظيم في مناقب الأئمة**، يوسف بن حاتم الشامي العاملي المتوفى (٦٦٤هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران.

٤٥ ـ **دلائل الإمامة**، أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر مؤسسة البعثة، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٣ هـ).

ـ ذ ـ

٤٦ ـ **ذوب النضّار في شرح الثار**، جعفر بن محمّد المعروف بابن نما الحلّي المتوفى (٦٤٥ هـ)، تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٦ هـ).

٤٧ ـ **ذيل تاريخ بغداد**، محمّد بن محمود (ابن النجّار البغدادي) المتوفى (٦٤٣هـ)، تحقيق: مصطفىٰ عبدالقادر يحيىٰ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م).

ـ ر ـ

٤٨ ـ **ربيع الأبرار**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ)، تحقيق: سليم النعيمي دار الذخائر للمطبوعات، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٠ هـ).

٤٩ ـ **رجال الطوسي**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الثانية (١٤٢٠ هـ).

٥٠ ـ **رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)**، محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل البيت، مطبعة بعثت، قم، إيران، طبع سنة (١٤٠٤ هـ).

٥١ ـ **رجال النجاشي**، أحمد بن عليّ النجاشي المتوفى (٤٥٠ هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الخامسة (١٤١٦هـ).

- س -

٥٢ـ **السرائر**، محمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي المتوفى (٥٩٨ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الرابعة (١٤١٧ هـ).

٥٣ـ **السيرة النبويّة**، إسماعيل بن كثير المتوفى (٧٤٧ هـ)، تحقيق: مصطفىٰ عبدالواحد، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، طبع سنة (١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م).

٥٤ـ **السيرة النبويّة**، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى (٢١٨ هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهر،، مصر، طبع سنة (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م).

٥٥ـ **سنن ابن ماجة**، محمّد بن يزيد القزويني المتوفى (٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر.

٥٦ـ **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى (٢٧٥ هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمّد اللحّام، نشر دار الفكر، الطبعة الأُولى (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م).

٥٧ـ **سير أعلام النبلاء**، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ)، تخريج وإشراف شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان الطبعة التاسعة (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م).

- ش -

٥٨ـ **شرح نهج البلاغة**، عبدالحميد بن داود بن أبي الحديد المعتزلي المتوفى

(٦٥٥ هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأُولىٰ (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م).

- ص -

٥٩ـ **الصراط المستقيم**، عليّ بن يونس العاملي المتوفى (٨٧٧ هـ)، تحقيق: محمّد باقر البهبودي، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، إيران، الطبعة الأُولى (١٣٨٤ هـ).

٦٠ـ **الصواعق المحرقة**، أحمد بن محمّد ابن حجر الهيتمي المكّي المتوفى (٩٧٤هـ)، تحقيق: عبدالرحمٰن التركي وكامل محمّد الخرّاط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٩٩٧م).

- ط -

٦١ـ **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**، عليّ بن موسى بن طاووس الحلّي المتوفى (٦٦٤ هـ)، مطبعة خيّام، قم، إيران، طبع سنة (١٣٩٩ هـ).

- ع -

٦٢ـ **العبر في أخبار مَن غبر**، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى (٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، نشر مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية (١٩٤٨م).

٦٣ـ **العقد الفريد**، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي المتوفى (٣٢٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م).

٦٤ـ **العمدة (عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار)**، يحيىٰ بن الحسن الأسدي المعروف بـ (ابن البطريق) المتوفى (٦٠٠ هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، طبع سنة (١٤٠٧ هـ).

٦٥ـ **عقد الدرر في أخبار المنتظر**، يوسف بن يحيىٰ بن عليّ المقدسي الشافعي السلمي (من علماء القرن السابع الهجري) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م).

٦٦ـ **علل الشرائع**، محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، طبع سنة (١٣٨٥ هـ / ١٩٩٦م).

٦٧ـ **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، جمال الدين أحمد بن عليّ الحسيني المعروف بابن عنبة المتوفى (٨٢٨ هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، الطبعة الثانية (١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م).

٦٨ـ **عيون أخبار الرضا** عليه السلام، محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م).

ـ غ ـ

٦٩ـ **الغيبة**، محمّد بن إبراهيم النعماني المتوفى (٣٨٠ هـ)، تحقيق: فارس

حسون كريم، نشر أنوار الهدىٰ، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤٢٢ هـ).

٧٠ـ **الغيبة**، محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ عليّ أحمد ناصح، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١١ هـ).

ـ ف ـ

٧١ـ **الفتن**، أبو عبدالله نعيم بن حمّاد المروزي المتوفى (٢٢٩ هـ)، تعليق: مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٧٢ـ **الفصول المهمّة في أُصول الأئمة**، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى (١١٠٤ هـ)، تحقيق: محمّد بن محمّد الحسين القائيني، نشر مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٨ هـ / ١٣٧٦ ش).

٧٣ـ **الفصول المهمّة في معرفة الأئمة**، عليّ بن محمّد بن أحمد (ابن الصبّاغ المالكي)، المتوفى (٨٥٥ هـ)، تحقيق: سامي الغريري، نشر دار الحديث، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤٢٢ هـ).

٧٤ـ **الفهرست**، محمّد بن أبي يعقوب (ابن النديم البغدادى) المتوفى (٤٣٨ هـ)، تحقيق: رضا تجدد.

٧٥ـ **الفهرست**، محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة نشر الفقاهة، المحقق: الشيخ جواد القيّومي، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٧ هـ).

٧٦ـ **فوات الوفيّات**، محمّد بن شاكر الكتبي المتوفى (٧٦٤ هـ)، تحقيق: عليّ محمّد بن يعوض الله، أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنا، الطبعة الأُولى (٢٠٠٠م).

ـ ق ـ

٧٧ـ **القاموس المحيط**، محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى (٨١٧ هـ)، شرح ديباجة القاموس الشيخ نصر الهوريني.

٧٨ـ **قرب الإسناد**، عبدالله بن جعفر الحميري المتوفى (٣٠٠ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٣ هـ).

ـ ك ـ

٧٩ـ **الكافي**، محمّد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى (٣٢٩ هـ)، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، الطبعة الخامسة (١٣٦٣ ش).

٨٠ـ **الكامل في التاريخ**، عز الدين عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى (٦٣٠ هـ)، نشر دار صادر، بيروت، لبنان، طبع سنة (١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م).

٨١ـ **كتاب العين**، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى (١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة ط٢ (١٤٠٩ هـ).

٨٢ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمة**، عليّ بن عيسىٰ الإربلي المتوفى (٦٩٣ هـ)، نشر دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م).
٨٣ـ **كمال الدين وتمام النعمة**، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر غفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين، قم، إيران، طبع سنة (١٤٠٥ هـ / ١٣٦٣ش).

- ل -

٨٤ـ **لسان العرب**، أبو الفضل محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري المتوفى (٧١١ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط١ (١٤٠٥ هـ).

- م -

٨٥ـ **المحاسن**، أحمد بن محمّد بن خالد البرقي المتوفى (٢٧٤ هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسيني (المحدّث)، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، طبع سنة (١٣٧٠ هـ / ١٣٣٠ ش).
٨٦ـ **المصنّف**، عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي المتوفى (٢٣٥ هـ)، تحقيق: سعيد اللحّام، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م).
٨٧ـ **المقنعة**، محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الثانية

(١٤١٠ هـ).

٨٨ـ **المناقب**، الموفّق بن أحمد بن محمّد المكّي الخوارزمي المتوفى (٥٦٨هـ)، تحقيق: مالك المحمودي، مؤسسة سيّد الشهداء، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ).

٨٩ـ **مآثر الأنافة في رتبة الخلافة**، أبو العبّاس أحمد بن عليّ القلقشندي المتوفى (٨٢١هـ)، تحقيق: عبدالستّار أحمد، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٩٠ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، أسعد بن عليّ بن سليمان اليافعي اليمني المكّي المتوفى (٧٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٩١ـ **مروج الذهب**، عليّ بن الحسين المسعودي المتوفى (٣٤٦هـ)، تحقيق: أمير مهنّا، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٩٢ـ **مسند الإمام الرضا**عليه السلام ، جمعه ورتّبه عزيز الله العطاردي (معاصر)، دار الصفوة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٩٣ـ **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**، أبو الفضل عليّ بن الحسن الطوسي، المتوفى في أوائل القرن السابع، تحقيق: مهدي هوشمند، نشر دار الحديث، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٨ هـ).

٩٤ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**، محمّد بن طلحة الشافعي المتوفى (٦٥٢هـ) تحقيق: ماجد أحمد العطيّة، نشر مؤسسة أُم القرىٰ للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٢٠ هـ).

٩٥ ـ **معجم رجال الحديث**، أبو القاسم الموسوي الخوئي المتوفى (١٤١٣ هـ)، الطبعة الخامسة، طبع سنة (١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م).

٩٦ ـ **مقاتل الطالبيين**، عليّ بن الحسين بن محمّد أبو الفرج الإصفهاني المتوفى (٣٥٦ هـ)، تحقيق: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، العراق، الطبعة الثانية (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م).

٩٧ ـ **مقتل الحسين**، الموفّق بن أحمد الخوارزمي المتوفى (٥٦٨ هـ)، تحقيق: محمّد السماوي، نشر أنوار الهدىٰ، قم، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٨ هـ).

٩٨ ـ **مكارم الأخلاق**، الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، إيران، الطبعة السادسة، طبع سنة (١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م).

٩٩ ـ **مناقب آل أبي طالب**، محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السروي المازندراني المتوفى (٥٨٨ هـ)، تصحيح وشرح لجنة من أساتذة النجف، نشر المكتبة الحيدرية، النجف العراق، طبع سنة (١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦م).

١٠٠ ـ **مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب**(عليه السلام)، عليّ بن محمّد بن محمّد الواسطي الشافعي (ابن المغازلي) المتوفى (٤٨٣ هـ)، دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م).

١٠١ ـ **مُهج الدعوات ومنهج العبادات**، عليّ بن موسىٰ بن جعفر (ابن طاووس) المتوفى (٦٦٤ هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م).

- ن -

١٠٢ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، يوسف بن تغري القاهري الحنفي المتوفى (٨٧٤ هـ)، نشر المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.

١٠٣ ـ **نثر الدرر في المحاضرات**، أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي المتوفى (٤٢١ هـ)، تحقيق: خالد عبدالغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م).

١٠٤ ـ **نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر**، يحيىٰ بن سعيد الحلّي المتوفى (٦٨٩هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، نور الدين الواعظي، مطبعة الآداب، النجف، العراق طبع سنة (١٣٨٦ هـ).

١٠٥ ـ **نور الأبصار**، مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي المتوفى (بعد ١٢٩٨ هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى (١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م).

١٠٦ ـ **نهاية الإرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري المتوفى (٧٣٣ هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد جابر عبدالعال، إبرهيم مصطفىٰ، طبع القاهرة سنة (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م).

- و -

١٠٧ ـ **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين الصفدي المتوفى (٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، طبع سنة (١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م).

١٠٨ـ **وفيات أعيان**، أحمد بن محمّد بن خلكان المتوفى (٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس، نشر دار الثقافة، بيروت، لبنان.

- ي -

١٠٩ـ **اليقين باختصاص مولانا عليّ بإمرة المؤمنين**، عليّ بن موسىٰ بن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، تحقيق الأنصاري، نشر مؤسسة دار الكتاب، إيران، الطبعة الأُولى (١٤١٣ هـ).

١١٠ـ **ينابيع المودّة**، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي المتوفى (١٢٩٤ هـ)، تحقيق: سيّد عليّ جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأُسوة، إيران الطبعة الأُولى (١٤١٦ هـ).

الفهرس التفصيلي

الباب الثالث

الباب الرابع